

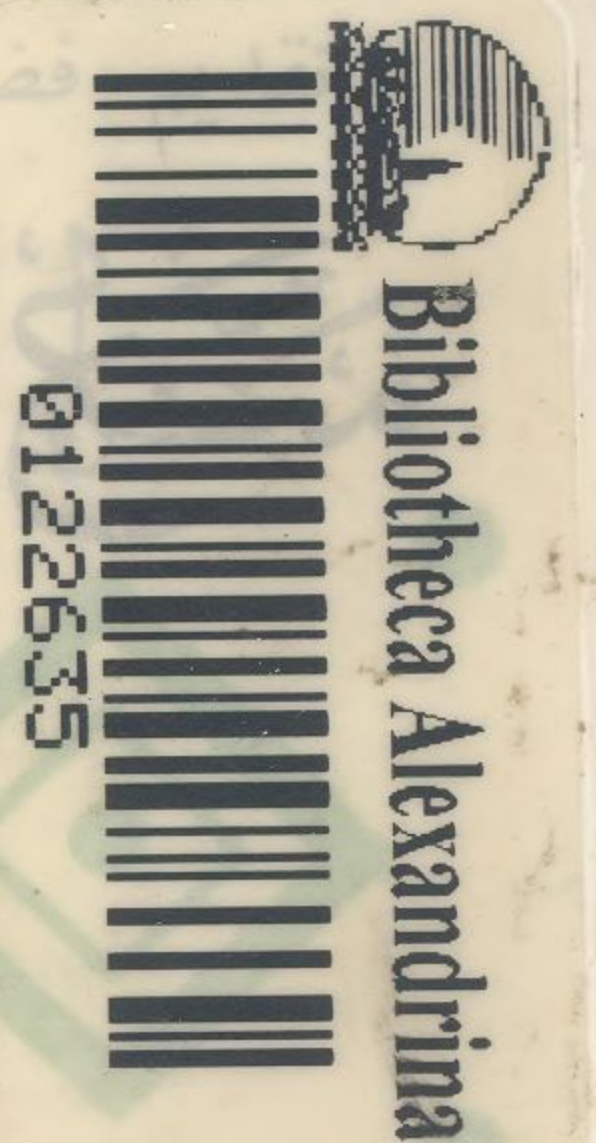
عَبْدُ رَبِّ النَّبِيِّ عَلَى أَبِي السَّعُودِ
جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية

أَحْسِبْ أَعْمَالَ اللَّهِ

الصَّلَاةُ لَوْ قُنِيَهَا .. بِرَّ الْوَالِدَيْنِ .. الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

مكتبة الشيخ

الْقَطَّانِ



مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
تليفون ٣٩١٧٤٧٠

عَبْدُ رَبِّ النَّبِيِّ عَلِيٌّ أَبُو السَّعُودِ
جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية

الحَبِيبُ الْمَلِكُ إِلَى اللَّهِ

الصَّلَاةُ لَوْ قُنِيَهَا .. بِرِ الْوَالِدَيْنِ .. الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

تقديم فضيلة الشيخ

مَنْبِجُ الْقَطَّانِ

مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
تليفون ٣٩١٧٤٧٠

الطبعة الأولى

1990-1411

جميع الحقوق محفوظة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله . . . والصلاة والسلام على رسول الله .

تنمو مشاعر الايمان فى نفس المؤمن بالتذكرة التى يستحضر بها القلب معانى العقيدة ومقتضياتها فى العمل والسلوك ، وأجل ما تكون به التذكرة اذا استندت الى كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم : ﴿ وهذا ذكر مبارك أنزلناه ﴾ (١) .

﴿ انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ﴾ (٢) .

﴿ قد أنزل الله اليكم ذكرا . رسولا ﴾ (٣) .

واذا كانت جوانب الاسلام متعددة فان جماعها فى صلة العبد بربه ، وفى صلته بغيره ، وفى حماية حوزة الدين .

وعماد الصلة بين العبد وربّه الصلاة التى تجعل القلب موصولا بالله . يخضع لجلاله ، ويلهج بالثناء عليه قائما وراكعا وساجدا . ويعاود هذا فى اليوم الواحد خمس مرات على الأقل ، يفتتح يومه بقاء مع ربه فى صلاة الصبح ، ويختمه بقاء آخر قبل أن ينام فى صلاة العشاء ، فتزكو نفسه ويظل قلبه يقظا حيا ، يخشى الله فى السر والعلانية ، وينفر من الرذيلة والاثم : ﴿ ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴾ (٤) .

(١) الانبياء : ٥٠

(٢) الحجر : ٩

(٣) الطلاق : ١٠ ، ١١

(٤) العنكبوت : ٤٥

وصلة الانسان بغيره تتوثق رابطتها فى نواتها الأولى مع الوالدين
فى ظل حنان الأمومة ، وعطف الأبوة ، والرعاية الكاملة التى تكتنف
مطلع الحياة ، مع ما يحيط بها من مشاق ومتاعب ، تستمتع بها الأم
باحساسها المرهف نحو من حملته فى بطنها كرها ووضعته كرها
وهنا على وهن .

وهذا الجو الذى يعبق بالعواطف الجياشة تنمو فيه بذور الود
والمرحمة وصلات الحب الدافق ازاء الآخرين ، حتى تقوم العلاقة
بين الانسان وأخيه فى المجتمع الاسلامى على أواصر القرابة والرحم ،
وأواصر الحب فى الله ، والاخاء فى العقيدة ، ونواة هذا فيما يعرف
ببر الوالدين الذى اقترن فى القرآن بتوحيد العبادة : ﴿ وقضى ربك ألا
تعبدا إلا إياه وبالوالدين أحسانا ﴾ (١) .

وإذا تحققت العبودية الخالصة لله فى صلة العبد بربه ، وتوثقت
عرى المحبة بالاخاء فيه . اشتد أزر الأمة ، وصلب عودها ، وكان عليها
أنه تحمى حوزة دينها بالجهاد فى سبيل الله لاعلاء كلمته ، وإقامة
شريعته ، والحراسة الدائمة التى تجعل أمة الاسلام ، عزيزة الجانب ،
موفورة الكرامة . ولذا كان الجهاد ذروة سنام الاسلام .

وقد أدرك الأخ « عبد رب النبى على أبو السعود » ما لتلك
الجوانب الثلاثة من أثر بالغ فى الاسلام ، فكتب فيها هذا البحث ،
وأحسبه - والله حسبيه ولا أزكى على الله أحدا - قد اتقى فأحسن
الاتقاء ، واختار فأحسن الاختيار ، نسأل الله أن ينفعه وأن ينفع به .
وأن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه .

مناع بن خليل القطان

أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ

عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه^(١) فى الصحيحين قال :

« سألت النبى صلى الله عليه وسلم ، أى الأعمال أحب الى الله عز وجل ؟ قال : « الصلاة لوقتها » ، قلت : ثم أى ؟ قال : « بر الوالدين » ، قلت : ثم أى ؟ قال : « الجهاد فى سبيل الله » .
قال : وحدثنى بهن ولو استزدته لزادنى^(٢) .

(١) هو عبد الله بن مسعود الهذلى أبو عبد الرحمن ، من اكابر الصحابة فضلا وعقلا ، ومن السابقين الى الاسلام ، واول من جهر بالقرآن بمكة ، وهو وعاء ملىء علما ، توفى بالمدينة المنورة سنة (٣٢ هـ) رضى الله عنه .

(٢) رواه البخارى ج ٢ ص ٧ و ٨ فى مواقيت الصلاة : باب فضل الصلاة لوقتها و ج ١٠ ص ٣٣٦ فى الأدب : باب البر والصلة وقول الله تعالى : ﴿ووصينا الانسان بوالديه حسنا﴾ (العنكبوت : ٨) ومسلم رقم (٨٥) ، (١٣٩) فى الايمان : باب كون الايمان بالله تعالى افضل الأعمال ، ورواه أيضا الترمذى رقم (١٨٩٩) فى البر والصلة : باب رقم (٢) ، والنسائى ج ١ ص ٢٩٢ ، ٢٩٣ فى المواقيت : باب فضل الصلاة لمواقيتها ، وأحمد فى « المسند » ج ١ ص ٥١ من حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه .

الفصل الأول

الصَّلَاةُ لَوْ قُنِيَهَا..

● تمهيد :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبي الهدى المرسل
رحمة للعالمين ، سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ، وقدوة
المربين ، وعلى آله وصحبه ، ومن سار على هججه ، واستمسك بسنته ،
ودعا بدعوته الى يوم الدين . وبعد ..

من أسمى الغايات ، وأنبأ الأغراض التي يستهدفها المرء في
حياته ، الظفر بمحبة الله ، وتحصيل بركه ورضاه .

والله سبحانه وتعالى اذا أحب انسانا وفقه للصالحات ، وأعانه
على السمو الى أقصى الغايات ، وأمدّه بالنصر الذي يعلى من شأنه ،
ويرفع من قدره ، وحفظه من كل سوء يصيبه أو أذى يناله .

وللظفر بمحبة الله منهج مرسوم ، وطريق معلوم . وفي طليعة
هذا المنهج متابعة رسول الله ، وحسن الاقتداء به ، والتأسي به في أقواله
وأفعاله ، والتخلق بأخلاقه وآدابه ، فذلك أهدي السبل وأقرب الطرق
وآية كمال الايمان وصدق اليقين .

يقول الله تعالى : ﴿ قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر
لكم ذنوبكم ، والله غفور رحيم ﴾ (١) .

والقيام بشرائع الاسلام وشعائره والاضطلاع بفرائضه ونوافله ،
واحتمال أعبائه وتبعاته . هي الركائز الأساسية لمن يحاول القرب
من الله .

ومن ثمار محبة الله للانسان ، أن يلقي الله في قلوب الصالحين

(١) آل عمران : ٣١

من عباده ، محبته ، قيل : يا رسول الله ، انا نعمل العمل لله ويحبنا الناس فقال : « تلك عاجل بشرى المؤمن » .

ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام : « ان الله اذا أحب عبدا دعا جبريل فقال : انى أحب فلانا فأحبه . فيحبه جبريل ، ثم ينادى فى السماء فيقول : ان الله يحب فلانا فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول فى الأرض . واذا أبغض عبدا ، دعا جبريل فيقول : انى أبغض فلانا فأبغضوه ، ثم توضع له البغضاء فى الأرض » (١) .

الا أتنى فى هذا الكتاب .. لا يسعنى أن أقول أكثر من أتنى أسجد لله سبحانه وتعالى شكرا وعرفانا .. اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك .. والتقرب اليك بصالح وأحب الأعمال .

فالفضل والتوفيق كله .. لله عز وجل .. فأنا لم أفعل شيئا ، ولكن الله عز وجل وفقنى وهدانى الى حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه (فى الصحيحين) قال : سألت النبى صلى الله عليه وسلم : أى الأعمال أحب الى الله عز وجل ؟ قال : « الصلاة لوقتها » ، قلت : ثم أى ؟ قال : « بر الوالدين » . قلت : ثم أى ؟ قال : « الجهاد فى سبيل الله » قال : وحدثنى بهن ولو استزدته لزادنى (٢) .

ولقد بذلت جهدى أن أستنبط من القرآن الكريم ومن سنة النبى صلى الله عليه وسلم شيئا ينفعنا وينفع المؤمنين .. وبأسلوب سهل ميسر حبا وتقربا لله سبحانه وتعالى .. راجيا وجهه الكريم .. فنسأل الله تعالى أن ينفع به كل قارئ وسامع يبادر لنيل العلوم النافعة .

وآخر دعوانا : أن الحمد لله رب العالمين . والله الموفق ..

(١) رواه مسلم ج ٤ ص ٢٠٣ (٤٨) باب اذا أحب الله عبدا . رقم الحديث (٢٦٣٧) .

(٢) رواه البخارى ج ٢ ص ٧ ، ٨ فى مواقيت الصلاة : باب فضل الصلاة لوقتها ، ورواه مسلم رقم (٨٥) ، (١٣٩) فى الايمان ، ورواه الترمذى رقم (١٨٩٩) .

تقديم

يقول الله تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ﴾ (١) .
العبادة في اللغة هي : الطاعة والاتقياء والخضوع ، والتعبد هو
التذلل والخضوع .

والعبادة كما تعنيها الأديان : اسم جامع لكل ما يحبه الله عز وجل
ويرضاه ، من الأقوال ، والأعمال الظاهرة والباطنة .

فالصلاة والزكاة والصيام والحج عبادة .

والدعاء والاستغفار والذكر وتلاوة القرآن الكريم عبادة .

وضدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين ، وصلة الأرحام
والوفاء بالعهود عبادة ، والدعوة الى الخير ، والأمر بالمعروف والنهي
عن المنكر ، وجهاد الكفار والمنافقين عبادة .

والاحسان الى الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والخادم ،
والرحمة بالضعيف ، والرفق بالحيوان عبادة .

وحب الله ورسوله ، وخشية الله ، والاقابة اليه ، وإخلاص
الدين له ، والصبر والحكمة ، والرضا بقضائه ، والتوكل عليه ،
والرجاء في رحمته ، والخوف من عذابه ، وأمثال ذلك كله عبادة (٢) .



وما كانت عبادة الجن والانس ، من أجل نفع يصل الى الله سبحانه
وتعالى من وراء ذلك ، فهو سبحانه غنى عن العالمين ، لا تنفعه طاعة ،

(١) الذاريات : ٥٦

(٢) العبادة في الاسلام - يوسف القرضاوى ص ٢٨

ولا تضره معصية ، وانما خلقهم من أجل عبادته : ليكملهم بهذه العبادة
وليصل بهم ، عن طريقها ، ليكونوا أهلا للقاءه ، سبحانه ، وليتجلى
عليهم اذا تزكوا - بأفواره - وفيوضاته .

وقد نوع لهم ، سبحانه ، العبادة فلم يجعلها على وتيرة واحدة
حتى لا يملوا ، وحتى يكون فى تنوعها تزكية لجوانب متعددة ،
وزوايا مختلفة من الطبيعة البشرية ، وحتى تتناسب - على تفاوت
فيما بينها - مع كل الفطر والاستعدادات .

وفهم بعض الناس مراد الله ، سبحانه ، وفهموا توجيهه للبشرية
نحو الكمال الذى يجب أن يصل اليه كل من يرجو لقاء الله ، سبحانه ،
وعلموا أن السعادة كل السعادة : انما هى فى الانضواء تحت اللواء
الالهى ، والدخول فى الساحات الربانية فطبعوا الحياة بطابع العبادة ،
وجعلوا أعمالهم عبادة ، وحركاتهم عبادة ، وسكناتهم عبادة . بل وأنفاسهم
عبادة ، وجعلوا من المصنع محرابا ، ومن المعمل معبدا ، فكانت حياتهم
عبادة . وحاولوا جاهدين ، أن يقاربوا المثل الأعلى الذى أمر الله سبحانه
رسوله صلوات الله عليه وسلامه - أن يكونوا : ﴿ قل ان صلاتى
ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين . لا شريك له ، وبذلك أمرت
وأنا أول المسلمين ﴾ (١) .

* * *

الصلاة

الصلاة هى الركن الثانى من أركان الاسلام الخمسة .

فما هى الصلاة ؟

الصلاة فى اللغة : تعنى الدعاء ، والصلاة من الله لعبده تعنى الرحمة ،
وسميت هذه العبادة بالدعاء لاشتغالها عليه ، والصلاة فى واقعها صلة
بين العبد وربّه يدعوه فيها ويناجيه ويعظمه بالسجود والركوع .

(١) الانعام : ١٦٢ ، ١٦٣

واصطلاحاً : الأفعال المخصوصة المفتحة بالتكبير والمختمة بالتسليم .

فرض الله تعالى على المسلمين خمس صلوات فى اليوم والليلة ، وكان ذلك ليلة الاسراء والمعراج ، اذ عرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السماء من بيت المقدس بعد أن أسرى به فى نفس الليلة من مكة المكرمة وكان ذلك قبل الهجرة بثلاث سنوات (١) .

* * *

● منزلة الصلاة فى الاسلام :

للصلاة فى الاسلام منزلة كبرى فهمى عماد الدين ، وهى أول ما أوجبه الله تعالى من العبادات ، تولى ايجابها بمخاطبة رسوله ليلة المعراج من غير واسطة .

وهى أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة ، وهى آخر وصية وصى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته عند مفارقتة الدنيا ، جعل يقول قبل اللحظة التى صعدت فيها روحه الطاهرة للرفيق الأعلى : « الصلاة الصلاة ، وما ملكت أيمانكم » .

وقد بلغ من عناية الاسلام بالصلاة أن أمر بالمحافظة عليها فى الحضر والسفر ، والأمن والخوف ، فقال تعالى :

﴿ حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين . فان خفتهم فرجالا او ركبانا ، فان امنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون ﴾ (٢) .

وقد عرض القرآن للصلاة فى مواقع كثيرة ومن جهات متعددة ، عرض لها فى مفتتح أطول سورة من كتاب الله وهى سورة البقرة ، وأوضح أنها من صفات المتقين ، الذين استحقوا أن يكونوا على هدى من ربهم وأنهم المفلحون .

(١) الطريق الى الاسلام — احمد صالح محايرى ، ص ٤٠

(٢) البقرة : ٢٣٨ ، ٢٣٩

كما عرض لها في كثير من السور وأمر باقامتها والاستعانة بها والمحافظة عليها ، ووصفها بأنها كتاب موقوت على المؤمنين ، وجعل اقامتها أول عمل بعد الايمان بالله ، وبين أثرها في تهذيب النفوس ووقايتها للانسان من الفحشاء والمنكر .

كما قرن الفلاح والنجاح باقامتها والمحافظة على أركانها وحضور القلب فيها ، قال تعالى : ﴿ قد افلح المؤمنون . الذين هم في صلاتهم خاشعون ﴾ (١) .

وقد ذكر القرآن عقاب تاركها وشدد النكير على من يفرط فيها ، قال تعالى : ﴿ فويل للمصلين . الذين هم عن صلاتهم ساهون ﴾ (٢) . وقال سبحانه : ﴿ ما سألكم في سقر . قالوا لم نك من المصلين ﴾ (٣) . ولأن الصلاة من الأمور الكبرى التي تحتاج الى هداية خاصة ، قال الله تعالى على لسان ابراهيم عليه السلام : ﴿ رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتى ، ربنا وتقبل دعاء ﴾ (٤) .

* * *

● أثار الصلاة وفوائدها :

للصلاة فوائد صحية ، وروحية ، واجتماعية لا تعد ولا تحصى منها :

- ١ - أن الصلاة تنشط القلب ، والجسم ، والروح .
- ٢ - الصلاة تنهى من يقيمه عن الفحشاء والمنكر واقتراف المحرمات ، كما أنها تقوم الأخلاق ، وذلك لأن المواظب عليها سيذكر حال وقوعه في المعصية أنه سيناجي ربه المطلع عليه فيقلع عنها .

(٢) الماعون : ٤ ، ٥

(١) المؤمنون : ١ ، ٢

(٣) المدثر : ٤٢ ، ٤٣

(٤) ابراهيم : ٤٠ ، انظر : فقه العبادات - عبد الله شحاتة ، ص ١١

قال الله تعالى : ﴿ واقم الصلاة ، ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴾ (١) .

٣ - الصلاة تمحو الخطايا ، وتريح الضمير ، وتطمئن القلب .

٤ - الصلاة تجمع الناس ، وتؤلف فيما بينهم ، وتواخيههم بشعور واحد تابع من القلب .

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أرأيتم لو أن نهرا يباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات . هل يبقى من درته شيء » ؟ قالوا : لا يبقى من درته شيء . قال : « فذلك مثل الصلوات الخمس . يمحو الله بهن الخطايا » (٢) .

● من أسرار الصلاة :

جعل الله الصلاة صلة بين العبد وربّه ووسيلة للمناجاة والمناذاة ومصباحا هاديا للمؤمن الى طريق الخير ، وهى الزاد الحقيقى للروح وجلاء القلب وشفاء النفس ، ووسيلة الهداية والاستقامة ، كلما غلبت الانسانه شئون الحياة أو نازعته نفسه الى الشر والانحراف تذكر أنه سيقف بين يدي الله متطهرا مكبرا راکما ساجدا فيكون ذلك من أسباب تمسكه بالفضيلة وبعده عن الرذيلة ﴿ ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴾ (٣) . والصلاة وسيلة تحقيق رضوان الله وثوابه وتوفيقه وهدايته ، وهى شفاء الأمراض النفس ووساوس الصدر ، وقد ذكر بعض الأطباء الأجانب أن بعض الأمراض المستعصية كان علاجها ارشاد المريض الى الصلاة .

قال تعالى : ﴿ واقم الصلاة لذكرى ﴾ (٤) . أى حافظ على الصلاة

(١) العنكبوت : ٤٥

(٢) رواه مسلم ج ١ ص ٤٦٢/٥١ رقم الحديث (٦٦٧) ، والبخارى

ج ١ ص ١٢٤/٥

(٤) طه : ١٤

(٣) العنكبوت : ٤٥

لتذكرني فان ذكر الله دواء وشفاء قال تعالى : ﴿ فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون ﴾ (١) .

والصلاة أولا وأخيرا عبادة مفروضة جعلها الله سبيلا لمناجاته ومناداته ودليلا الى الوقوف بين يديه ودعائه وعبادته ، وهي طريق الانابة والمغفرة والتمتع بثواب الله ورحمته ، قال صلى الله عليه وسلم : « خمس صلوات افترضهن الله تعالى ، من أحسن وضوءهن وصلاهن لوقتهن وأتم ركوعهن وخشوعهن كان له على الله عهد أن يغفر له ، ومن لم يفعل فليس له على الله عهد ، إن شاء غفر له وإن شاء عذبه » (٢) .

* * *

● سر تكرار الصلاة في اليوم :

جعل الله الصلاة على المؤمنين كتابا موقوتا ، أمرهم بإقامتها حين يمسون وحين يصبحون ، وعشيا وحين يظهرون . كررها خمس مرات في اليوم لتكون « حماما » روحيا للمسلم يتطهر بها من غفلات قلبه ، وأدران خطاياه ، وقد مثل النبي صلى الله عليه وسلم هذا المعنى في حديثه الشريف فقال : « رأيتم لو أن نهرا على باب أحدكم ، يغتسل فيه كل يوم خمس مرات ، فهل يبقى من درنة شيء ؟ » قالوا : لا . قال : « كذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا » (٣) . وأي انسان يمر عليه يوم من غير خطايا وهفوات ؟ لقد خلق هذا الانسان خلقا عجيبا ، فيه من الملاك روحانيته ، ومن البهيمة شهوتها ، ومن السباع حميتها . وكثيرا ما تغلبه الشهوة ، ويستفزه الغضب ، ويجذبه تراب الأرض الذي خلق منه ، فيقع في الأخطاء ،

(١) البقرة : ١٥٢

(٢) رواه أبي داود ج ١ ص ٢٩٥ / ٩ رقم الحديث (٤٢٥) ، وأخرجه أحمد والنسائي برقم (٤٦٢) ، وابن ماجه برقم (١٠٤١) ، وأخرجه الترمذي برقم (١٧٠) ، وأخرجه النسائي برقم (٤٧٢) .

(٣) رواه مسلم ج ١ ص ٤٦٢ / ٥١ رقم الحديث (٦٦٧) (متفق عليه) .

ويتردى في الخطايا ، وليس من الغيب أن يخطيء الانسان ، فكل
بنى آدم خطاء ، ولكن العيب أن يتمادى في الخطأ ، ويستمر في
الانحدار ، حتى يصير كالأنعام أو أضل سبيلا .

وفي الصلوات اليومية الخمس فرصة يثوب فيها المخطيء الى
رشده ، ويفيق المغرور من سباته ، ويرجع الانسان الى ربه ، ويظفء
هذا السعار المادى الذى أججته المطامع والشهوات ، ونسيان الله
والدار الآخرة .

وفي هذا المعنى يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ابن لله
ملكا ينادى عند كل صلاة : يا بنى آدم قوموا الى نيرانكم التى
أوقدتموها فأطفئوها » (١) .

انها نار موقدة ، تطلع على الأفئدة ، وتلفح القلوب والعقول .
والصلاة هى مضخة الاطفاء التى تخمد هذه النار ، وتمسح دخانها
وسوادها ، وتغسل أثرها من بين جوانح الانسان .

ويصور الرسول لأصحابه - بكل وسائل التوضيح - عمل الصلاة
فى محو الخطايا التى تبدر من الانسان فى صباحه ومساءله ، فيروى لنا
عن سلمان الفارسي : أنه كان معه تحت شجرة ، وأخذ منها غصنا يابسا ،
فهزه حتى تحات ورقه . فقال : « يا سلمان ، ألا تسألنى لم أفعل هذا ؟
قلت : ولم تفعله ؟ قال : « ان المسلم اذا توضأ فأحسن الوضوء ، ثم صلى
الصلوات الخمس ، تحاتت خطاياه كما تحات هذا الورق » (٢) .

ثم تلا الآية الكريمة : « واقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل ،
ان الحسنات يذهبن السيئات ، ذلك ذكرى للذاكرين » (٣) .

وليس أثر الصلوات مقصورا على هذا الجانب من غسل الأدران

(١) الترغيب والترهيب للمنذرى ج ١ ص ٢٣٥ / ٨
(٢) الترغيب والترهيب للمنذرى ج ١ ص ٢٣٧ / ١٤ (رواه أحمد
والنسائى والطبرانى) .
(٣) هود : ١١٤

وتكفير الخطايا ، ومطاردة السيئات ، ولكنها تقوم بمهمة ايجابية أخرى ، فانها للحظات خصبة مباركة ، تلك المرات الخمس التي ينتزع الانسان فيها نفسه كل يوم من دنياه ، دنيا الطين والحمأ المسنون ، دنيا الأحقاد والصراع ، وتنازع البقاء أو تنازع الفناء ، ليقف بين يدي مولاه لحظات خاشعة يخفف بها من غلواء الحياة ، وضغط الطين والمادة الكثيفة على القلوب والأرواح . انها تقوم بتغذية ذلك الجزء العلوى الالهى فى كيان الانسان ، وهو المشار اليه بقوله تعالى : ﴿ ونفخت فيه من روحي ﴾ (١) ذلك الكائن الروحى الذى يعيش بين جوانح الانسان ، لا يكفى لتغذية علم العلماء ، ولا أدب الأدباء ، ولا فلسفة المتفلسفين ، ولا يغذيه الا معرفة الله وحسن الصلة به . وهذه الصلوات الخمس هى وجبات الغذاء اليومى للروح ، كما أن للمعدة وجباتها اليومية ، ففى مناجاة العبد لربه فى صلاته شحنة روحية تنير قلبه ، وتشرح صدره ، وتأخذ بيده من الأرض الى السماء ، وتدخله الى الله بلا باب ، وتقفه بين يديه بلا حجاب ، فيكلمه بلا ترجمان ويناجيه ، فيناجى قريباً غير بعيد ، ويستعين به فيستعين بعزيز غير ذليل ، ويسأل فيسأل غنياً غير بخيل ، تكاد تشف روحه وتصفو نفسه فتسمع كلام الله الذى يقول : « قسمت الصلاة بينى وبين عبدى قسمين ولعبدى ما سأل ، فاذا قال العبد : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ ، قال الله تعالى : حمدنى عبدى ، فاذا قال : ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ قال الله : أثنى على عبدى ، فاذا قال : ﴿ مالك يوم الدين ﴾ قال : مجدنى عبدى ، فاذا قال : ﴿ اياك نعبد و اياك نستعين ﴾ قال الله : هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل ، فاذا قال : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ قال الله : هذا لعبدى ولعبدى ما سأل » (٢) .

* * *

(١) الحجر : ٢٩

(٢) رواه مسلم ج ١ ص ٢٩٦/١١ رقم الحديث (٣٩٥) ، انظر : العبادة فى الاسلام - يوسف القرضاوى ، ص ٢١٤ ، ٢١٧

● الصلوات رحلات الهية :

ان الصلوات الخمس خمس رحلات الهية ، أوجبها الله على عباده في أوقات متفرقة من اليوم واللييلة ، يخلص فيها المؤمن من دنياه ، ويتفرغ لربه ، بالتكبير والمناجاة ، وطلب المعونة والهداية ، ويلقى فيها بنفسه في كفالة الربوبية الرحيمة ، متمثلا العظمة المطلقة ، التي تصغر أمامها كل عظمة في هذه الدنيا . وان تلك الرحلات لجديرة أن تفرج همه ، وأن تخفف ويله ، وأن تحقق رغائبه الخيرة . لقد كان من سنة النبي صلى الله عليه وسلم اذا حز به أمر أن يفرع الى الصلاة . وكان يقول : « جعلت قرعة عيني في الصلاة » ﴿ يا ايها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ﴾ (١) .

﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة ، وانها لكبيرة الا على الخاشعين .
الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون ﴾ (٢) .

* * *

شروط الصلاة

● شروط الصلاة تسعة :

الاسلام ، والعقل ، والتمييز ، ورفع الحدث ، وازالة النجاسة ،
وستر العورة ، ودخول الوقت ، واستقبال القبلة ، والنية .

١ - الاسلام وضده الكفر : والكافر عمله مردود ولو عمل أى عمل ، والدليل قوله تعالى : ﴿ ما كان للمشركين ان يعمرؤا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر ، اولئك حبطت اعمالهم وفي النار هم خالدون ﴾ (٣) .

وقوله تعالى : ﴿ وقد منّا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا ﴾ (٤)

* * *

(١) البقرة : ١٥٣

(٢) البقرة : ٤٥ ، ٤٦ ، انظر : الاسلام عقيدة وشريعة - محمود

شلتوت ، ص ٨٤

(٣) التوبة : ١٧

(٤) الفرقان : ٢٣

٢ - العقل وضده الجنون : والمجنون مرفوع عنه القلم حتى يفيق والدليل الحديث : « رفع القلم عن ثلاثة : النائم حتى يستيقظ ، والمجنون حتى يفيق ، والصغير حتى يبلغ » (١) .

* * *

٣ - التمييز وضده الصفر : وحده سبع سنين حتى يؤمر بالصلاة لقوله صلى الله عليه وسلم : « مروا أبناءكم بالصلاة لسبع ، واضربوهم عليها لعشر ، وفرقوا بينهم في المضاجع » (٢) .

* * *

٤ - رفع الحدث (وهو الوضوء المعروف) :

قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ، وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطْهَرُوا ، وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَیَتَمَمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَاْمَسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ ، مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٣) .

تفيد هذه الآية وغيرها من نصوص الكتاب والسنة أن فرائض الوضوء أربعة :

١ - غسل الوجه المحدود طولا بالذقن ومنبت شعبي الرأس المعتاد ، وعرضا بوتردي الأذنين .

(١) رواه أحمد في مسنده وأبو داود والنسائي وابن ماجه ورواه الحاكم في مستدرکه ج ١ ص ٢٥٨
(٢) رواه الحاكم ج ١ ص ٢٥٨ ، ورواه أحمد في المسند وأبو داود في سننه .
(٣) المائدة : ٦

- ٢ - غسل اليدين الى المرفقين •
- ٣ - مسح بعض الرأس •
- ٤ - غسل الرجلين الى الكعبين •

● سنن الوضوء :

سنن الوضوء كثيرة منها : التسمية فى أوله والشهادة فى آخره
والبدء بالميا من وغسل اليدين الى الرسغين ، المضمضة والاستنشاق
والاستنثار ، تثليث الغسل ، تعميم مسح الرأس ، مسح الأذنين
ظاهرهما وباطنهما ، الدلك ، الترتيب ، الموالاة •

● نواقض الوضوء :

ما خرج من السبيلين - النوم الا النوم اليسير من القائم والقاعد -
مس فرج آدمى المتصل بلا حائل - لمس امرأة أجنبية بشهوة - أكل
لحم الأبل - الردة - تغسيل الميت - كل نجس خرج من باقى البدن^(١) •

* * *

الفصل

الغسل هو الطهارة الكبرى للجسد من الحدث الأكبر ،
ومن الحيض والنفاس وقد أوجبه الله سبحانه وتعالى : **وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا**
فَاطْهَرُوا (٢) •

والغسل شرعا هو تعميم جميع البدن بالماء الطهور ، وكيفية
الغسل بصفة عامة هى كما علمنا صلى الله عليه وسلم ، عن عائشة
قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اذا اغتسل من الجنابة ،
يبدأ فيغسل يديه ، ثم يفرغ يمينه على شماله • فيغسل فرجه •
ثم يتوضأ وضوءه للصلاة • ثم يأخذ الماء فيدخل أصابعه فى أصول

(١) انظر : الصلاة - محمد اسماعيل ابراهيم ص ١٠١

(٢) المائدة : ٦

الشعر ، حتى اذا رأى أن قد استبرأ ، حفن على رأسه ثلاث حفنات ،
ثم أفاض على سائر جسده ثم غسل رجليه^(١) .

والغسل سواء أكان لازالة الجنابة أو الاستحمام لازالة ما علق
بالجسم من الغبار والعرق الذى هو فى الحقيقة مادة ضارة وسامة تفرزها
مسام الجلد كما تفرز الكليتان البول ، فانه يجب ازالته من الجسم ،
والغسل ينشط البدن ويريجه وينظم الدورة الدموية ، ويجدد الحيوية ،
ويصبح الانسان على أثره فى حالة من الاشرار والصفاء ، فيزول
الكسل عن الجسم وينشط الى العبادة ، وبذلك ينتقل الى حالة معنوية
غير التى كان عليها قبل الغسل ، ويباح له لمس المصحف وقلاوة القرآن ،
ودخول المسجد وأداء الفرائض والطواف حول الكعبة الشريفة ،
وبهذا شرع الاسلام الغسل لما فيه من صحة وعافية وصفاء نفس
وسلامة دين .

* * *

● موجبات الغسل :

موجبات الغسل هى الجنابة^(٢) والحيض بعد انقطاعه والنفاس
بعد انقضاء مدته وهى أربعون يوماً وان انقطع دم النفاس قبل تمام
الأربعين تغتسل وتطهر .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا جلس بين شعبها^(٣)
الأربع ثم جهلها فقد وجب الغسل وان لم ينزل »^(٤) .

ولما كان تعظيم شعائر الله واجبا - ومن الشعائر الصلاة والكعبة
والقرآن ، كان أعظم التعظيم أن لا يقرب منه الانسان الا بطهارة كاملة .

(١) رواه مسلم ج ١ ص ٢٥٣/٩ باب غسل الجنابة رقم الحديث
(٣١٦) .

(٢) تحدث الجنابة بنزول المنى بشهوة من الرجل والمرأة سواء أكان
ذلك بالاحتلام أو الجماع أو بالملاعبة أو بالنظر أو بالفكر .

(٣) شعبها : يديها ورجليها .

(٤) رواه مسلم ج ١

ويسن الغسل عند حضور الاجتماعات الدينية والأعياد وعرفات
وسائر مناسك الحج ، هذا ويجب غسل الميت الا اذا كان شهيدا
فانه لا يغسل .

ويسن الغسل أيضا لمن أسلم خاليا من الحدث الأكبر ، ولمن أفاق
من الجنون والاعماء ، وفي غسل يوم الجمعة وردت أحاديث كثيرة
نورد منها :

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « اذا كان يوم الجمعة فاغتسل الرجل وغسل رأسه ، ثم تطيب
من أطيب طيبه ولبس من صالح ثيابه ، ثم خرج الى الصلاة ولم يفرق
بين اثنين ، ثم استمع الى الامام غفر له من الجمعة الى الجمعة ، وزيادة
ثلاثة أيام » (١) .

التميم

الاسلام دين يسر ، فقد ذلل للناس ما يصادفهم من عوائق قد
تعترض الانسان عند أداء الفرائض حتى لا يفوته شيء منها ، فاذا فقد
الانسان الماء أو تعذر الحصول عليه فقد أباح له الشرع أن يتطهر
بالتراب على وجه الخصوص ، وهذه الطهارة الترايية تبيح له القيام
بصلاة الفرائض والنوافل وصلاة الجمع والعيدين والطواف ، وقد ذكر
الله سبحانه وتعالى هذه الطهارة الترايية بقوله تعالى : ﴿ فلم تجدوا ماء
فتيمموا صعيدا طيبا ﴾ (٢) أى من تراب الأرض .

وقد ورد فى حديث لعمار بن ياسر رضى الله عنه أنه قال :
« بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حاجة فأجسبت . فلم أجد
الماء . فتمرغت فى الصعيد » (٣) كما تمرغ الدابة . ثم أتيت النبى صلى
الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال :

(١) الترغيب والترهيب ج ١ ص ٤٩٧ رقم (٣) الترغيب فى الغسل
يوم الجمعة ، رواه ابن خزيمة فى صحيحه .

(٢) المائدة : ٦ (٣) التراب .

« انما كان يكفيك أن تصنع هكذا : وضرب بكفه ضربة على الأرض ثم نفضها ، ثم مسح بها ظهر كفه بشماله أو ظهر شماله بكفه ، ثم مسح بها وجهه (١) » ..

* * *

● أسبابه :

الأسباب المبيحة للتييم هي :

أولا : فقد الماء بأن لم يجد الانسان أصلا أو وجد ماء لا يكفي للطهارة •

ثانيا : العجز عن استعمال الماء أو الاحتياج اليه ، بأن يجد الماء الكافي للطهارة ولكن لا يقدر على استعماله ، أو كان يقدر على استعماله ولكن يحتاجه لشرب ونحوه •

أما من فقد الماء فانه يتيم لكل ما يتوقف على الطهارة بالماء من صلاة مكتوبة ، وصلاة جنازة ، وجمعة ، وعيد ، وطواف ، ونافلة • وأما من وجد الماء وعجز عن استعماله لسبب من الأسباب التسريعية فانه كفاقد الماء يتيم لكل ما يتوقف على الطهارة • كخوفه من عدو يحصل بينه وبين الماء اذا خشى على نفسه أو ماله أو عرضه سواء أكان العدو آدميا أو حيوانا مفترسا •

* * *

● ما هي كيفية التيمم :

كيفية التيمم أن يضرب يديه على التراب ويقول بقلبه حال ضربه : « نويت استباحة فرض الصلاة » ثم يمسح بهما وجهه ، ثم يضرب بهما على التراب ثانيا ، ويمسح اليد اليمنى باليسرى واليسرى باليمنى ، مستوعبا بالمسح جميع يديه من أطراف أصابعهما الى المرفقين ، ويتيمم

(١) رواه مسلم ج ١ ص ٢٨١/٢٨ باب التيمم رقم الحديث (٣٦٨) .

على التراب الطاهر ، وكل ما كان من جنس الأرض طيبا طاهرا ، وهو ما لا ينطبع بالنار ويصير رمادا ، فيجوز التيمم عليه ولو حجرا أملس لا غبار عليه ، ولا بد من نزع الخاتم والنية ، وتخليل الأصابع ما لم يدخل بينهما غبار^(١) .

* * *

● شروط التيمم :

أحدها : العجز عن استعمال الماء . لعدمه أو خوف الضرر باستعماله لمرض أو برد شديد ، أو خوف العطش على نفسه أو ماله أو رفيقه ، أو خوف على نفسه أو ماله في طلبه أو اعوازه إلا بثمن كثير ، فإن أمكنه استعماله في بعض بدنه أو وجد ماء لا يكفيه لطهارته استعماله وتيمم للباقي .

الثاني : الوقت . فلا يتيمم لفريضة قبل وقتها ، ولا لنافلة في وقت النهي عنها .

الثالث : النية . فإن تيمم لنافلة لم يصل به فرضا ، وإن تيمم لفريضة فله فعلها ، وفعل ما شاء من الفرائض والنوافل حتى يخرج وقتها .

الرابع : التراب . فلا يتيمم إلا بتراب طاهر له غبار . ويبطل التيمم ما يبطل طهارة الماء ، وخروج الوقت ، والقدرة على استعمال الماء وإن كان في الصلاة^(٢) .

* * *

المسح على الخفين

من يسر الدين وسماحة أحكامه جواز الاقتصار على مسح الخفين بدل غسل الرجلين في الوضوء ، بشرط أن تكون قد لبست على طهارة

(١) انظر : خلاصة الكلام في أركان الاسلام - على فكرى ، القاهرة : مطبعة مصطفى البابى الحلبي ، ص ٥٠

(٢) انظر : عمدة الفقه على مذهب الامام احمد بن حنبل - موفق الدين بن قدامة ، ص ٨

والخف هو الحذاء الساتر للرجلين الى الكعبين ، وللمسح مدة معينة ،
هى يوم وليلة للمقيم وثلاثة أيام بلياليها للمسافر ، وكيفية المسح أن تمر
بيديك المبلولتين على أعلى الخف بادئا من جهة أصابع الرجلين متجها
الى أصل الساق ، مرة واحدة بدون تكرار .

كما يصح المسح على الجوربين (الشراب) وكل ما يستر الرجل
يمسح عليه ما دام يلبس عادة ، ولا يمنع من ذلك وجود خروق فيه لثبوت
صحة ذلك عند الرسول صلى الله عليه وسلم : « مسح على الجوربين
والنعلين » (١) .

وفى تيسير المسح على الخفين والجوربين (الشراب) للمصلين
عمل بنصوص هذا الدين القويم وأحكامه التى تهدف الى دفع الحرج
والمشقة عن الناس . خصوصا عند الجنود الذين يلبسون أجوارب ثقيلة
يشق خلعها ، وعلى مرضى الروماتيزم وغيره ، وعلى الناس جميعا أيام
شدة البرد فى فصل الشتاء .

* * *

● نواقض المسح على الخفين (مبطلاته) :

- أولا : خلع الخف أو الجوربين (الشراب) .
- ثانيا : ما يوجب الغسل كالجنابة والحيض .
- ثالثا : انقضاء مدة المسح .

ملاحظة : الحكمة فى تحديد مدة المسح بيوم وليلة للمقيم
وللمسافر ثلاثة أيام بلياليها ، هى أن الرجلين اذا تركنا بدون غسل مدة
أكثر من ذلك فربما تراكم عليها العرق والافرازات واحتاجتا الى النظافة
والطهارة .

* * *

(١) رواه ابن ماجه ج ١ ص ٨٨/١٨٦ باب ما جاء فى المسح على
الجوربين والنعلين رقم (٥٦٠) .

هـ - ازالة النجاسة :

ازالة النجاسة من ثلاث : البدن والثوب والبقعة . وحكمة طهارة البدن بالماء تنشيطه وازالة ما به من النجاسة والأوساخ ، فتفتح مسامه ليسهل عليه التنفس ، ويرتاح كثيرا كما ثبت ذلك طبيا ، ويتبع ذلك طهارة مكان الصلاة من النجاسة .

ولا يخفى أن الانسان اذا كان قذر الثياب والبدن ، أشمأزت منه النفوس ، وتحولت عنه القلوب والعيون ، ولهذا شرع الوضوء والغسل ، لأجل أن يكون الانسان نظيفا خاليا من النجاسة والأوساخ عند أداء فريضة الصلاة ، ووقوفه بين يدي مولاه ، ودخوله في حضرة لطلب عفوه ورضاه .

وهناك حكمة أخرى ، وهي أن الملائكة في أوقات الصلاة تكره أن ترى المصلى وسخ الثياب ، كراهه الرائحة ، وأيضا اذا وقف المصلون صفوفا . وفيهم رث الثياب ، وسخ البدن ، كراهه الرائحة تضرروا منه وتأذوا ، وأذى الناس ممقوت ومذموم . فضلا عن أن غسل الأعضاء بالماء يوجد فيها نشاطا ، ويذهب عنها الكسل ، فيؤدي الانسان فرض الصلاة وهو نشط ، والنشاط يوجد ارتياحا في القلب ، فيخلص العمل للرب . قال الله تعالى : ﴿ فيه رجال يحبون ان يتطهروا ، والله يحب المطهرين ﴾ (١) ، وقال جل شأته : ﴿ ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم ﴾ (٢) ، وقال عز وجل : ﴿ وثيابك فطهر ﴾ (٣) وقال صلى الله عليه وسلم : « مفتاح الصلاة الطهور » (٤) .

(٢) المائدة : ٦

(١) التوبة : ١٠٨

(٣) المدثر : ٤

(٤) رواه البخارى ، وابن ماجه ج ١ ص ١٠١/٣ باب مفتاح الصلاة الطهور ورقم الحديث (٢٧٥) .

٦ - ستر العورة :

خلق الله الانسان في أحسن تقويم وفضله على كثير من خلقه ،
وأسجد له الملائكة ، وسخر له ما في الكون ، وميزه بالعقل ،
قال تعالى :

﴿ ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من
الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً ﴾ (١) .

ومن تكريم الانسان أن أمره بستر عورته واتخاذ زينته ، فإن الله
جميل يحب الجمال ، نظيف يحب النظافة ، طيب يحب الطيبين .

كما أمر الله الانسان أن يستر عورته بما أنعم عليه من الثياب :
﴿ يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوءاتكم وريشاً ، ولباس
التقوى ذلك خير ، ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون ﴾ (٢) .

● عورة الرجل :

وعورة الرجل التي يجب سترها عند الصلاة هي : من السرة الى
الركبة ، لما روى أبو أيوب الأنصاري قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : « ما بين السرة وبين الركبتين عورة » (٣) .

● عورة المرأة :

بدن المرأة الحرة كله عورة الا الوجه والكفين ، روى ابن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا صلاة لحائض بالغة : الا بخمار » (٤) .
والمرأة خارج الصلاة عورة ، فلا تظهر شيئاً من بدنّها الا ما ظهر عفواً
دون قصد ، روى عن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال : « المرأة عورة ، فاذا خرجت استشرفها الشيطان » (٥) .

* * *

- (١) الاسراء : ٧٠
(٢) الأعراف : ٢٦
(٣) رواه أبو بكر باسناده : المستدرک على الصحيحين - الحاكم
النيسابوري ، ج ٣ ص ٥٦٨
(٤) رواه أبو داود والترمذی وأحمد بن حنبل في المسند ج ٦ ص ١٥٠
(٥) رواه الترمذی ج ٣ ص ٣٧٠

٧ - استقبال القبلة :

من شروط صحة الصلاة الاتجاه الى الكعبة ، وهذا الاتجاه رمز للاتجاه لله سبحانه وتعالى ، وتوحيد لأهداف المسلمين في صلاتهم وقبلتهم ، قال تعالى : ﴿ فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره ﴾ (١) .

وقد كان المسلمون يصلون الى بيت المقدس أول الاسلام ثم أمروا بالاتجاه الى الكعبة بعد الهجرة بستة عشر شهرا وكان ذلك في منتصف شعبان من العام الثاني للهجرة ، قال الله تعالى :

﴿ قد نرى تقلب وجهك في السماء ، فلنولينك قبلة ترضاها ، فول وجهك شطر المسجد الحرام ۝ ﴾ (٢) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تقبل صلاة امرئ حتى يضع الطهور مواضعه ، ويستقبل القبلة ، ويقول : الله أكبر » (٣) .
ومن أحكام استقبال القبلة ما يأتي :

١ - من كان قريبا من الكعبة كالمصلى في البيت الحرام فقبلته عين الكعبة .

٢ - ومن غابت عنه رؤية الكعبة فيكفيه التوجه الى جهتها .

٣ - ومن اشتبهت عليه القبلة اجتهد وصلى ، فان تغير اجتهاده أو أخبر أثناء صلاته بخطئه ، وأرشد الى القبلة وجب عليه الانحراف اليها ، ويبنى على ما تقدم وليس عليه أن يستأنف من جديد .

وقال تعالى : ﴿ ولله المشرق والمغرب ، فأينما تولوا فثم وجه الله ، ان الله واسع عليم ﴾ (٤) .

(١) البقرة : ١٤٤

(٢) البقرة : ١٤٤

(٣) رواه مسلم ج ١ ص ٢/٨٠

(٤) البقرة : ١١٥

وتجوز صلاة النافلة على الدابة أو السيارة ، أما صلاة الفرض فلا تجوز على الدابة خاصة وإن كانت دابة برية تسير على الأرض فينبغي النزول لأداء الصلاة .

عن جابر قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى على راحلته حيث توجهت ، فإذا أراد الفريضة نزل ، واستقبل القبلة » (١) .
أما إذا كانت الدابة طائفة أو باخرة ولا يستطيع المسافر النزول فعليه أن يؤدي الصلاة حيث كان .

* * *

٨ - دخول الوقت :

قال الله تعالى : ﴿ ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا ﴾ (٢)
للصلوات المفروضة أوقات معينة ينبغي للمسلم أن يراعيها ويحافظ عليها ، وكلما كانت الصلاة في أول وقتها كانت أقرب إلى رضوان الله .
وقد وردت آية تجمع لنا مواعيد هذه الصلوات الخمس في قوله تعالى : ﴿ فسبحان الله حين تمشون وحين تمشون . وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون ﴾ (٣) .

أي أننا نسبح الله في المساء لصلاة العصر ، وفي الصباح لصلاة الصبح ، وفي العشي لصلاة المغرب والعشاء ، وفي الظهر لصلاة الظهر .
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نزل جبريل فأمنى ، فصليت معه . ثم صليت معه . ثم صليت معه . ثم صليت معه . ثم صليت معه . ثم صليت معه » - يحسب بأصابعه خمس صلوات (٤) ، وعن عبد الله بن عمرو ، أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا

(١) رواه البخاري ج ٢ ص ٥٦ - باب ينزل للمكتوبة .

(٢) النساء : ١٠٣ (٣) الروم : ١٧ ، ١٨

(٤) رواه البخاري ومسلم واللفظ لمسلم ج ١ ص ٣١/٤٢٥ باب أوقات الصلاة الخمس ورقم الحديث (٦١٠) .

صليتم الفجر فانه وقت الى أن يطلع قرن الشمس الأول ، ثم اذا صليتم الظهر فانه وقت الى أن يحضر العصر . فاذا صليتم العصر فانه وقت الى أن تصفر الشمس ، فاذا صليتم المغرب فانه وقت الى أن يسقط الشفق ، فاذا صليتم العشاء ، فانه وقت الى نصف الليل « (١) .

هذا بعض ما ورد فى الكتب والسنة عن تحديد مواقيت الصلاة . ولكننا الآن فى عصر تنتشر فيه مكبرات الصوت فى المساجد أى أن كل فرد يسمع الأذان ، وفى وسائل الاعلام - الراديو والتليفزيون - يؤذن للصلاة ، وكل فرد لديه ساعة يحملها فى يده .

أى أن الأذان يسمع فى البوادي والحضر ، وكلنا نعلم وقت الصلاة بالتحديد فى ظل انتشار التقويمات .

فينبغى علينا الحرص كل الحرص فى أداء الصلوات فى أوقاتها ولا نهمل ولا نقصر فى أداءها .

* * *

٩ - النية :

وهى عزم القلب عليها من حيث تعيين نوعيتها : فرضا أو سنة ، ونوعية وقتها : ظهرا أو عصرا ، وعدد ركعاتها : ركعتين أو أربعاً مثلاً ، مقترنا ذلك بالفعل :

عن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « انما الأعمال بالنيات ، وانما لكل امرئ ما نوى » (٢) .
ولا يشترط اللفظ ولا يضر الخطأ به .

عن على قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلاة كبر » (٣) .

* * *

(١) رواه مسلم ج ١ ص ٣١/٤٢٦ ورقم الحديث (٦١٢) .
(٢) رواه الستة واللفظ للبخارى ج ١
(٣) رواه مسلم ج ١ ص ١٠/٢٩٤ باب اثبات التكبير ورقم الحديث (٣٠) .

أركان الصلاة

القيام - تكبيرة الاحرام - القراءة - الركوع والسجودان
والاطمئنان في الأركان - القعود - التشهد - الصلاة على النبي
صلى الله عليه وسلم - التسليم *

● القيام :

قال الله تعالى : ﴿ ... وقوموا لله قانتين ﴾ (١) وذلك عند
القدرة عليه *

قال عمران بن حصين : « كانت بي يواسير : فسألت النبي صلى
الله عليه وسلم ، فقال : « صل قائما ، فان لم تستطع فقاعدا » فان لم
تستطع فعلى جنب » (٢) *

وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة الرجل قاعدا ،
فقال : « ان صلى قائما فهو أفضل ، ومن صلى قاعدا فله نصف أجر
القائم ، ومن صلى نائما فله نصف أجر القاعد » (٣) *

* * *

● تكبيرة الاحرام :

قال الله تعالى : ﴿ قد افلح من تزكى . وذكر اسم ربه فصلى ﴾ (٤) *

وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد ،
فدخل رجل فصلى ، ثم جاء فسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم *

فرد رسول الله عليه السلام . قال : « ارجع فصل ، فانك لم تصل »
فرجع الرجل فصلى كما كان يصلى . ثم جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم
فسلم عليه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وعليك السلام » *

ثم قال : « ارجع فصل ، فانك لم تصل » . حتى فعل ذلك ثلاث مرات *

(١) البقرة : ٢٣٨

(٢) رواه البخاري ج ٢ ص ٦٠ (طبعة الشعب) *

(٣) رواه البخاري ج ٢ ص ٥٩

(٤) الأعلى : ١٤ ، ١٥

فقال الرجل : والذي بعثك بالحق ! ما أحسن غير هذا • علمنى • قال :
« اذا قمت الى الصلاة فكبر • ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن • ثم
اركع حتى تطمئن راکعاً • ثم ارفع حتى تعتدل قائماً • ثم اسجد حتى
تطمئن ساجداً • ثم ارفع حتى تطمئن جالساً • ثم افعل ذلك فى صلاتك
كلها » (١) •

ويقف المسلم بعد دخول وقت الصلاة متطهراً مستقبلاً القبلة ،
ويقوم الصلاة ، مستحضراً عظمة ربه وجلال الموقف ، ناوياً فى قلبه الصلاة
التي يريد أدائها ، ويرفع يديه حذو منكبيه أو الى أذنيه ، ويقول :
الله أكبر ، وهذه التكبيرة تسمى تكبيرة الاحرام (٢) •

* * *

● دعاء الاستفتاح :

يقرأ المسلم بعد تكبيرة الاحرام دعاء الاستفتاح • وكان النبى
صلى الله عليه وسلم يستفتح صلاته ، وقد ورد فى ذلك صيغ مختلفة
نختار منها ما يلى :

(أ) « سبحانك اللهم وبحمدك ، وتبارك اسمك ، وتعالى جدك ،
ولا اله غيرك » •

(ب) « وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفاً مسلماً ،
وما أنا من المشركين ، انى صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب
العالمين ، لا شريك له ، وبذلك أمرت وأنا من المسلمين » •

(ج) « اللهم باعد بينى وبين خطاياى كما باعدت بين المشرق
والمغرب • اللهم نقى من الخطاياى كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس ،
اللهم اغسلنى بالماء والثلج والبرد » •

والمسلم يقرأ بعد تكبيرة الاحرام دعاء واحداً من هذه الأدعية •

* * *

(١) رواه مسلم ج ١ ص ٢٩٨/١١ ورقم الحديث (٣٩٦) •

(٢) أنظر : أركان الاسلام : الصلاة - أحمد عبد الجواد الدومى ،

● القراءة :

قال الله تعالى : ﴿ ... فاقرءوا ما تيسر من القرآن ﴾ (١) .
وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« لا صلاة الا بقراءة » .

قال أبو هريرة : فما أعلن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلنه
لكم ، وما أخفاه أخفيناه لكم (٢) .

وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من صلى
صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج - ثلاثا - غير تمام » ، ف قيل :
يا أبا هريرة ، انا نكون وراء الامام ؟ فقال : « اقرأ بها في
نفسك ... » فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول : « قال الله تعالى : قسمت الصلاة بيني وبين عبدي
نصفين . ولعبدى ما سأل ، فاذا قال العبد : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ .
قال الله تعالى : حمدنى عبدي . واذا قال : ﴿ الرحمن الرحيم ﴾
قال الله تعالى : أثنى على عبدي . واذا قال : ﴿ مالك يوم الدين ﴾
قال : مجدنى عبدي . فاذا قال : ﴿ اياك نعبد واياك نستعين ﴾ .
قال : هذا بيني وبين عبدي ولعبدى ما سأل . فاذا قال :
﴿ اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب
عليهم ولا الضالين ﴾ قال : هذا لعبدى ولعبدى ما سأل » (٣) .

وبعد دعاء الاستفتاح يقرأ المسلم فاتحة الكتاب بتدبر وخشوع .
ويسن للمصلى أن يقرأ سورة أو شيئا من القرآن بعد قراءة
الفاتحة فى ركعتى الصبح والجمعة والأولين من الظهر والعصر والمغرب
والعشاء وجميع ركعات النفل (٤) .

* * *

(١) المزمل : ٢٠

(٢) رواه مسلم ج ١ ص ١١/٢٩٧ ورقم الحديث (٣٩٦) .

(٣) رواه مسلم ج ١ ص ١١/٢٩٦ ورقم الحديث (٣٩٥) .

(٤) انظر : أركان الاسلام - أحمد عبد الجواد الدومى ص ٥٩

● الركوع والسجودان والاطمئنان في الأركان :

قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا ﴾ (١) .

ولحديث مسلم الذي سبق الإشارة إليه : « ... ارْكَعْ حَتَّى تَطْمِئِنَّ رَاكِعًا ، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَعْتَدِلَ قَائِمًا ، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمِئِنَّ سَاجِدًا ... » .

● الركوع :

بعد الانتهاء من القراءة يستعد المسلم للركوع بعد سكتة خفيفة ، ويركع قائلا : الله أكبر ، ويضع كفيه على ركبتيه ، ويسوى ظهره ويقول وهو راكع : سبحان ربى العظيم - ثلاثا . ثم يرفع رأسه من الركوع قائلا : سمع الله لمن حمده ، ربنا ولك الحمد حمدا طيبا كثيرا دائما مباركا فيه .

فقد كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا فرغ من القراءة سكت ثم رفع يديه وكبر وركع ، وكان يضع كفيه على ركبتيه ويمكنهما ، وكان يفرج بين أصابعه ، وكان إذا ركع بسط ظهره وسواه ، وكان يطمئن فى ركوعه ، وكان يقول : سبحان ربى العظيم - ثلاث مرات ، ثم كان يرفع رأسه من الركوع قائلا : سمع الله لمن حمده ، ثم يقول وهو قائم : ربنا ولك الحمد ، وكان يطيل قيامه ويأمر بالاطمئنان فيه ، وكان صلى الله عليه وسلم يقول : « صلوا كما رأيتمونى أصلى » (٢) .

● السجود :

بعد الرفع من الركوع والاطمئنان فيه ينزل المسلم للسجود قائلا : الله أكبر ، ويفترض أن يكون السجود على سبعة أعضاء .

(١) الحج : ٧٧

(٢) رواه البخارى ج ١ ص ١٨/١٤٣ ، الدارمى : الصلاة ص ٤٢/١٦٧

عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : « أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم أن نسجد على سبعة أعظم على الجبهة - وأشار بيده على أنفه - واليدين والركبتين وأطراف القدمين » (١) .

وفى السجود يقول : سبحان ربى الأعلى - ثلاثا ، ويدعو المسلم فى سجوده بما شاء من خير الدنيا والآخرة . وكان صلى الله عليه وسلم يقول : « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ، فأكثروا الدعاء » (٢) . ثم يرفع من السجود قائلا : الله أكبر . فيجلس على رجله اليسرى فاصبا اليمنى ، ويقول : رب اغفر لى وارحمنى ، واهدنى وارزقنى ، ثم يسجد السجدة الثانية فيسجد ويدعو ويكثر من مناجاته لربه ثم ينهض للركعة الثانية .

* * *

● القعود :

وذلك آخر الصلاة وهذا معلوم من الأحاديث الكثيرة التى تبين صلاته صلى الله عليه وسلم .

والقعود الأخير ركن من أركان الصلاة ، يأتى بعد آخر سجدة فى الصلاة ، ويجلس المصلى فى قعوده على رجله اليسرى وينصب قدمه اليمنى ، ويضع يديه على فخذه ، ويتصل بالقعود الأخير ثلاثة أركان قولية هى : التشهد ، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، والسلام .

● التشهد :

والتشهد ركن من أركان الصلاة . وقد وردت صيغ متعددة فى التشهد ولكنها متقاربة فى المعنى ، وإذا قرأ المصلى أى صيغة فى

(١) رواه الخمسة واللفظ للبخارى ج ١ ص ٢٠٦ .
(٢) رواه مسلم ج ١ ص ٤٢/٣٥٠ باب ما يقال فى الركوع والسجود ورقم الحديث (٤٨٢) .

التشهد أجزأته منها : عن عبد الله قال : كنا نقول في الصلاة خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم : السلام على الله . السلام على فلان . فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ذات يوم : « ان الله هو السلام . فاذا قعد أحدكم في الصلاة فليقل : « التحيات لله والصلوات والطيبات ، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته . السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين . أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله » . ثم يتخير من المسألة ما شاء (١) .

* * *

● الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم :

تصح أي صيغة كانت ، وأفضلها الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم :

قال أبو مسعود الأنصاري : « أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في مجلس سعد بن عباد ، فقال له بشير بن سعد : أمرنا الله تعالى أن نصلّي عليك يا رسول الله ، فكيف نصلّي عليك في صلاتنا ؟

فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تمنينا أنه لم يسأله ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قولوا : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على آل إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على آل إبراهيم ، في العالمين ، انك حميد مجيد » (٢) .

* * *

(١) رواه البخاري ومسلم واللفظ لمسلم ج ١ ص ٣٠١ / ١٦ باب التشهد في الصلاة رقم (٤٠٢) .
(٢) رواه مسلم ج ١ ص ١٧/٣٠٥ باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد ورقم الحديث (٤٠٥) .

● التسليم :

السلام من الصلاة ، فلا يخرج من الصلاة بغير سلام ، ولا يسلم الا وهو جالس •

عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مفتاح الصلاة الطهور ، وتحريمها التكبير ، وتحليلها التسليم » (١) •

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يسلم عن يمينه : « السلام عليكم ورحمة الله وبركاته » وعن شماله : « السلام عليكم ورحمة الله وبركاته » (٢) •



واجبات الصلاة

١ - قراءة الفاتحة في جميع ركعات الصلاة المفروضة وفي جميع ركعات الوتر والنفل ، عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من صلى صلاة لم يقرأ فيها ب فاتحة الكتاب فهي خداج ، فهي خداج ، فهي خداج » • أى ناقصة (٣) •

٢ - ضم سورة قصيرة أو آية طويلة أو ثلاث آيات قصار الى الفاتحة في الركعتين الأولين من الفرض وفي جميع ركعات الوتر والنفل ، عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه أنه قال : « أمرنا أن نقرأ بفاتحة الكتاب وما تيسر » (٤) •

(١) رواه الترمذى ج ١ ص ٣١/٤٩ باب فرض الوضوء رقم الحديث (٦١١) •

(٢) رواه الترمذى ج ١ ص ١٨٩/٦٠٧ باب فى السلام ورقم الحديث (٩٩٧) •

(٣) رواه الستة واللفظ لمسلم ج ١ ص ١١/٢٩٧ باب وجوب قراءة الفاتحة فى كل ركعة رقم (٤٠) •

(٤) رواه أبو داود ج ١ ص ٥١٢ / ١٣٦ باب من ترك القراءة فى صلاته بفاتحة الكتاب رقم (٨١٨) •

٣ - ضم ما صلب من الأنف الى الجبهة فى السجود ، لمواظبته صلى الله عليه وسلم على ذلك . عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه : « رأى على جبهته وأرنبته صلى الله عليه وسلم أثر طين من صلاة صلاها بالناس » (١) .

٤ - الاطمئنان فى الأركان الأصلية ، كالركوع والسجود ونحوهما ، والاطمئنان الواجب عندهم هو تسكين الأعضاء حتى يستوى كل عضو فى مقره بقدر تسبيحة على الأقل . عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم : « دخل المسجد ، فدخل رجل فصلى ثم جاء فسلم على النبى صلى الله عليه وسلم فرد عليه النبى صلى الله عليه وسلم السلام فقال : « ارجع فصل فانك لم تصل » ، فصلى ، ثم جاء فسلم على النبى صلى الله عليه وسلم فقال : « ارجع فصل فانك لم تصل » - ثلاثا ، فقال : « والذى بعثك بالحق ما أحسن غيره فعلمنى » ، فقال : « اذا قمت الى الصلاة فكبر ، ثم اقرأ ما تيسر من القرآن ، ثم اركع حتى تطمئن راكعا ، ثم ارفع حتى تعتدل قائما ، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا ، ثم ارفع حتى تطمئن جالسا ، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا ، ثم افعل ذلك فى صلاتك كلها » (٢) .

٥ - القعود الأول وقراءة التشهد فيه - فهما واجبان - لمواظبته صلى الله عليه وسلم ، ولقول ابن مسعود رضى الله عنه : « علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن - وكفيه بين يديه - « التحيات لله ، والصلوات والطيبات » السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله » (٣) .

(١) رواه أبو داود ج ١ ، ص ٥٥٣ / ١٥٧ باب السجود على الأنف والجبهة رقم (٨٩٤) .
(٢) متفق عليه . واللفظ للنسائى ج ٢ ، ص ١٢٤ ، فرض التكبير الأولى .
(٣) رواه البخارى ومسلم واللفظ لمسلم ج ١ ، ص ٣٠١ ، باب التشهد فى الصلاة رقم الحديث (٤٠٢) .

٦ - القيام الى الركعة الثالثة بعد قراءة التشهد عقب تمامه فوراً .

٧ - جهر الامام فى الركعتين الأوليين من صلاة الفجر والمغرب والعشاء والجمعة والعيدىن والوتر وصلاة التراوىح - اذا صليت بجماعة - والاسرار فى باقى الركعات من الصلوات الجهرية وكذا فى جميع ركعات الظهر والعصر وسائر نفل النهار ويخير المنفرد - فيما يجهر فيه الامام - بين الجهر والاسرار . لمواظبته صلى الله عليه وسلم على ذلك .

عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : نزلت آية :

﴿ ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلاً ﴾ (١) .

قال الطحاوى فى حاشيته على « مرقى الفلاح شرح نور الايضاح » : « والأصل فى الجهر والاسرار أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يجهر فى الصلوات كلها فى الابتداء ، وكان المشركون يؤذونه ويقولون لأتباعهم : اذا سمعتموه يقرأ فارفعوا أصواتكم بالأشعار والأراجيز ، وقابلوه بكلام اللغو حتى تغلبوه فيسكت ، ويسبون من أنزل القرآن ومن أنزل عليه ، فأنزل الله تعالى : ﴿ ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها ﴾ ، لا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها كلها ، وابتغ بين ذلك سبيلاً ﴾ بأن تجهر بصلاة الليل وتخافت بصلاة النهار ، فكان بعد ذلك يخافت فى صلاة الظهر والعصر لاستعداد المشركين للايذاء فيهما ، ويجهر فى المغرب لاشتغالهم بالأكل ، وفى العشاء والفجر لرقادهم ، وفى الجمعة والعيدىن لأنه أقامهما بالمدينة وما كان للكفار فيها قوة .

٨ - لفظ السلام مرتين فى ختام الصلاة ، عن ابن مسعود رضى

الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يسلم عن يمينه : « السلام

(١) الاسراء : ١١٠

عليكم ورحمة الله » ، حتى يرى بياض خده الأيمن ، وعن يساره :
« السلام عليكم ورحمة الله » ، حتى يرى بياض خده الأيسر (١) ، (٢) .

سنن الصلاة

١ - رفع اليدين :

ويكون عند تكبيرة الاحرام ..

عن ابن عمر قال : « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام في الصلاة رفع يديه حتى يكونا حذو منكبيه ، وكان يفعل ذلك حين يكبر للركوع ويفعل ذلك بعد رفع رأسه من الركوع ، ويقول : « سمع الله لمن حمده » ، ولا يفعل ذلك في السجود » (٣) .

٢ - وضع اليد اليمنى على اليسرى تحت السرة او فوقها :

يضع الرجل يده اليمنى على اليسرى تحت سرتة ، وصورته أن يجعل باطن كفه اليمنى على ظاهر كفه اليسرى محلقا بالخنصر والابهام على الرسغ تحت سرتة ، أما المرأة فتضع يدها اليمنى على اليسرى على صدرها دون تحليق لأنه أستر لها . عن وائل بن حجر رضى الله عنه أنه : « رأى النبي صلى الله عليه وسلم رفع يديه حين دخل الصلاة وكبر ، ثم التحف بثوبه ، ثم وضع يده اليمنى على اليسرى » (٤) .

(١) رواه الترمذى وابن ماجه : الترمذى ، ج ١ ص ٢١٩/١٨١ باب ما جاء في التسليم رقم (٢٩٤) .

(٢) انظر الفقه على المذاهب الأربعة - عبد الرحمن الجزيري ، ص ٢٣٩ ، ٢٤٠ .

(٣) رواه البخارى ومسلم ، واللفظ للبخارى ج ١ ، ص ١٨٧ ، باب رفع اليدين .

(٤) رواه مسلم وأحمد ، واللفظ لمسلم ج ١ ص ٣٠١ / ١٥ باب وضع يده اليمنى على اليسرى رقم (٤٠١) .

٣ - حكم الاتيان بقول آمين :

التأمين سرا بعد قراءة الفاتحة أو سماعها ، عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا قال الامام : ﴿ غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ فقولوا : آمين ، وإن الملائكة تقول : آمين ، وإن الامام يقول : آمين ، فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه » (١) .

* * *

٤ - قراءة دعاء الثناء في ابتداء الصلاة : عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استفتح الصلاة قال : « سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك » (٢) .

* * *

٥ - التعوذ والبسملة للقراءة والاسرار بهما في الصلاة السرية والجهرية ، قال تعالى : ﴿ فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ﴾ (٣) ، وقال أنس رضى الله عنه : « صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم فلم أسمع أحدا منهم يجهر بيسم الله الرحمن الرحيم » (٤) .

* * *

٦ - التكبير للركوع والسجود والرفع : عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام الى الصلاة يكبر حين يقوم ، ثم يكبر حين يركع ، ثم يقول : « سمع الله لمن حمده »

(١) رواه احمد والنسائي والدارقطني واسناده صحيح . (النسائي ج ٢ ، ص ١٤٤ ، جهر الامام بآمين) .
(٢) رواه الطبراني في كتابه المفرد بالدعاء ، ورواه الدارقطني .
(٣) النحل : ٩٨
(٤) رواه النسائي ، ج ٢ ، ص ١٣٥ ، باب ترك الجهر ب « بسم الله الرحمن الرحيم » .

حين يرفع صلبه من الركوع ، ثم يقول وهو قائم : «ربنا ولك الحمد» .
ويشارك الامام في هذا المقتدى ويأتى به المنفرد على كل حال — ثم
يكبر حين يهوى ، ثم يكبر حين يرفع رأسه ، ثم يكبر حين يسجد ،
ثم يكبر حين يرفع رأسه ، ثم يفعل ذلك في الصلاة كلها حتى
يقضيها ، ويكبر حين يقوم من اثنتين بعد الجلوس «(١)» .

* * *

٧ - وتسن تسبيحات الركوع والسجدين ، وأن تكون ثلاثا ،
وذلك أدنى السنة فيها ، عن أبي بكرة رضى الله عنه قال : « ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان يسبح في ركوعه : « سبحان ربى العظيم »
— ثلاثا ، وفى سجوده : « سبحان ربى الأعلى » — ثلاثا «(٢)» .

* * *

٨ - وكذا التحميد بعد تسميع الامام حين قيامه من الركوع ، عن
أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اذا
قال الامام : سمع الله لمن حمده فقولوا : ربنا ولك الحمد . فانه من
وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه » «(٣)» .

* * *

٩ - ويسن في الركوع أن يأخذ المصلى ركبتيه بيديه ويفرج
بين أصابعه وينصب ساقيه دون انحناء ، وأن يسط ظهره ويسوى
رأسه بعجزه ، عن عقبة ابن عامر رضى الله عنه : « أنه ركع فجافى

(١) متفق عليه ، واللفظ للبخارى ج ١ ص ٢٠٠ ، باب التكبير اذا
قام من السجود .
(٢) رواه البزار والطبرانى .
(٣) متفق عليه ، واللفظ للبخارى ، ج ١ ، ص ٢٠١ ، باب فضل :
اللهم ربنا لك الحمد .

يديه ووضع يديه على ركبتيه وفرج بين أصابعه من وراء ركبتيه ،
وقال : هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي « (١) » .

* * *

١٠ - ويسن وضع الركبتين ثم اليدين ثم الوجه على الأرض
للسجود وعكسه للرفع منه ، بأن يرفع الوجه ثم اليدين ثم الركبتين
عن الأرض ، عن وائل بن حجر رضى الله عنه قال : « رأيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم إذا سجد وضع ركبتيه قبل يديه وإذا نهض رفع
يديه قبل ركبتيه » (٢) .

* * *

١١ - ويسن افتراش الرجل اليسرى ونصب اليمنى فى الجلوس
بين السجدةين ، وفى القعود الأول والأخير ، أما المرأة فتقعد على اليتها
لأنه أستر لها . عن عائشة رضى الله عنها قالت : « كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يستفتح الصلاة بالتكبير والقراءة ب « الحمد لله
رب العالمين » ، وكان إذا ركع لم يشخص رأسه ولم يصوبه ولكن بين
ذلك ، وكان إذا رفع رأسه من الركوع لم يسجد حتى يستوى
قائما ، وكان إذا رفع رأسه من السجدة لم يسجد حتى يستوى
جالسا ، وكان يقول فى كل ركعتين التحية ، وكان يفرش رجله اليسرى
وينصب اليمنى ، وكان ينهى عن عقبة الشيطان ، وينهى أن يفرش
الرجل ذراعيه افتراش السبع ، وكان يختم الصلاة بالتسليم » (٣) .

* * *

(١) رواه أبو داود ج ١ ، ص ٥٤١ ، باب وضع اليدين على
الركبتين رقم (٨٦٨) .
(٢) رواه الأربعة ، واللفظ لمسلم ج ١ ، ص ٣٥٤ / ٤٤ باب أعضاء
السجود .
(٣) رواه مسلم ج ١ ، ص ٣٥٧ / ٤٦ باب ما يجمع صفة
الصلاة رقم الحديث (٢٤٠) .

١٢ - وتسبب الإشارة برفع سبابة اليد اليمنى في التشهد عند النفي ووضعها عند الإثبات ، عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قعد يقرأ التشهد وضع يده اليمنى على فخذه اليمنى ويده اليسرى على فخذه اليسرى وأشار بأصبعه السبابة ، ووضع ابهامه على أصبعه الوسطى ويلقن كفه اليسرى ركبته » (١) .

* * *

١٣ - وتسبب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في القعود عقب قراءة التشهد ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال : لقيني كعب ابن عمرة رضي الله عنهما قال : ألا أهدى لك هدية سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقلت : بلى فأهدها لي ، فقال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا : يا رسول الله ، كيف الصلاة عليكم أهل البيت ، فإن الله قد علمنا كيف نسلم عليك ، قال : « قولوا : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد » (٢) .

* * *

١٤ - ثم يسبب الدعاء بما هو من الفاظ القرآن مثل : « ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب » (٣) ، « ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » (٤) ، وبما ورد في السنة ، مثل ما روى عن أبي بكر رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله ، علمني الدعاء أدعوه به في صلاتي . قال : « قل : اللهم

(١) رواه مسلم ج ١ ، ص ٤٠٨ / ٢١ باب صفة الجلوس رقم الحديث (١١٣) .
(٢) رواه البخاري ج ١ ، ص ٣٠٥ / ١٧ باب الصلاة على النبي ﷺ ورقم الحديث (٦٥) .
(٣) إبراهيم : ٤١
(٤) البقرة : ٢٠١

انى ظلمت نفسى ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب الا ائت فاغفر لى مغفرة
من عندك ، وارحمنى انك ائت الغفور الرحيم « (١) .

١٥ - **واخيرا الالتفات يميننا :** السلام عليكم ورحمة الله ،
ويسارا : السلام عليكم ورحمة الله ، دون خفض الرأس ودون رفع
الكتف الأيمن مع السلام على اليمين ، والأيسر مع السلام على
اليسار . عن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم :
« كان يسلم عن يمينه وعن يساره : السلام عليكم ورحمة الله ،
السلام عليكم ورحمة الله ، حتى يرى بياض خده » (٢) ، (٣) .

مكروهات الصلاة

١ - **العث** ياثوب أو البدن لمنافاته الخشوع الذى هو روح
الصلاة ، والعث عمل ما لا فائدة فيه ولا حكمة تقتضيه .
روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله كره لكم
ثلاثا : العث فى الصلاة ، والرفث فى الصيام ، والضحك على
المقابر » (٤) .

٢ - **فرقة الأصابع** ، تشبيكها فى الصلاة :

عن على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تفقع
أصابعك وأنت فى الصلاة » (٥) .

(١) متفق عليه : ج ٤ ، ص ٢٧٨ / ١٣ باب استحباب خفض
الصوت بالذكر رقم الحديث (٤٨) .
(٢) رواه الخمسة وصححه الترمذى ، واللفظ لابن ماجه ج ١ ،
ص ٢٩٦ ، ٢٨ باب التسليم رقم (٩١٤) .
(٣) انظر الفقه على المذاهب الأربعة - عبد الرحمن الجزيرى ،
ص ٢٤٩ - ٢٧٤ .
(٤) رواه القضاعى مرسلا .
(٥) رواه ابن ماجه ج ١ ص ٩٦٥/٤٢

وعن كعب بن عجرة : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً قد شبك أصابعه في الصلاة ، ففرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصابعه » (١) .

٣ - وضع اليدين على الخصرين :

عن أبي هريرة رضي الله عنه : « أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن يصلي الرجل مختصراً » (٢) .

٤ - الالتفات : عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يزال الله مقبلاً على عبده وهو في صلاته ما لم يلتفت ، فإذا التفت انصرف عنه » (٣) .

٥ - وضع الألية على الأرض ونصب القدم في الصلاة :

ومنها الإقعاء ، وهو أن يضع أليته على الأرض ، وينصب قدمه ، لقول أبي هريرة رضي الله عنه : « نهاني رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفر كنفرك الديك ، واقعاء كاقعاء الكلب ، والالتفات كالتفات الثعلب » (٤) .

٦ - مد الذراع وتشميره :

ومنها اقتراش ذراعيه ، أي مدهما ، كما يفعل السبع ، ومنها تشمير كميته عن ذراعيه ، وهو مكروه باتفاق .

٧ - الإشارة في الصلاة :

ومنها الإشارة بالعين أو الحاجب واليد ونحوهما .

(١) رواه ابن ماجه ج ١ ، ص ٤٢ / ٩٦٧

(٢) رواه البخاري ج ٢ ، ص ٥٨ / ١٦

(٢) رواه النسائي وأبو داود وأحمد - سنن أبي داود ج ١

ص ١٦٥ / ٩٠٩

(٤) متفق عليه : مسند أحمد بن حنبل ج ٢ ص ٣١١ / ٣٠

٨ - رفع المصلى ثوبه من خلفه أو قدامه وهو يصلى :
منها رفع ثوبه بين يديه ، أو من خلفه فى الصلاة ، لقوله صلى
الله عليه وسلم : « أمرت أنى أسجد على سبعة أعظم ، وأن لا أكف شعرا
أو ثوبا » (١) .

٩ - سدل الثوب وتغطية الفم :

عن أبى هريرة : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن
السدل فى الصلاة ، وأن يغطى الرجل فاه » (٢) .

والسدل : هو أن يلتحف الرجل بثوبه ، ويدخل يديه من داخله
فيركع ويسجد وهو كذلك ، وكانت اليهود تفعله فنهى المسلمون عنه .

١٠ - النظر الى السماء :

عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما بال
أقوام يرفعون أبصارهم الى السماء فى صلاتهم » ؟ - فاشتد قوله
فى ذلك - حتى قال : « لينتهن عن ذلك أو لتخطفن أبصارهم » (٣) .

١١ - تسوية التراب للسجود : ويعنى عن مرة واحدة .

عن معيقب : « أن النبى صلى الله عليه وسلم قال - فى الرجل
يسوى التراب حيث يسجد - قال : « ان كنت فاعلا فواحدة » (٤) .

١٢ - تطويل قراءة الركعة الثانية على الأولى :

عن أبى قتادة رضى الله عنه قال : « كان النبى صلى الله عليه وسلم

(١) رواه البخارى ومسلم ج ١ ص ١٨٢/٥ باب فضل السجود .

(٢) رواه أبو داود والترمذى - سنن أبو داود ج ١ ص ٦٤٣/٨٦

(٣) رواه البخارى ج ١ ص ١٦٩/١٠ باب ايجاب التبكير .

(٤) رواه البخارى ومسلم واللفظ للبخارى : صحيح البخارى

ج ٢ ص ٨/٥٨

يقرأ في الركعتين الأوليين من صلاة الظهر بفاتحة الكتاب وسورتين يطول في الأولى ويقصر في الثانية ، ويسمع الآية أحيانا ، وكان يقرأ في العصر بفاتحة الكتاب وسورتين ، وكان يطول في الأولى ، وكان يطول في الركعة الأولى من صلاة الصبح ، ويقصر في الثانية « (١) » .

١٣ - النكس في القراءة :

وذلك بأن يقرأ في الركعة الثانية سورة قبل التي قرأها في الأولى ، كأن يقرأ في الأولى سورة النصر ، وفي الثانية الكوثر .

وعن ابن مسعود : « أنه قيل له : ان فلانا يقرأ القرآن منكوسا ، فقال : ذلك منكوس القلب » (٢) .

١٤ - القراءة في الركوع أو السجود :

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كشف رسول الله صلى الله عليه وسلم الستار ، والناس صفوف خلف أبي بكر ، فقال : « أيها الناس ، انه لم يبق من مبشرات النبوة الا الرؤيا الصالحة يراها المؤمن ، أو ترى له ، ألا واني نهيت أن أقرأ القرآن راكعا أو ساجدا . فأما الركوع فعظموا فيه الرب عز وجل . وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء . فقمن أن يستجاب لكم » (٣) .

١٥ - التثاؤب :

عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « التثاؤب

(١) رواه البخاري ومسلم واللفظ للبخاري : صحيح البخاري ج ١ ص ٩٦/١٥٠ باب الأذان .

(٢) رواه أحمد بن حنبل ج ٣ ص ١٧ .

(٣) رواه مسلم ج ١ ص ٤١/٣٤٨ باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود رقم الحديث (٤٧٩) .

فى الصلاة من الشيطان ، فاذا تشاءب أحدكم فليكظم
ما استطاع « (١) ، (٢) .

* * *

الأذان

● مشروعية الأذان :

شرع الأذان فى السنة الأولى من الهجرة النبوية بالمدينة المنورة ،
وهو معلوم من الدين بالضرورة ، فمن أنكر مشروعيته يكفر ، أما سبب
مشروعيته فهو أن النبى صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة صعب على
الناس معرفة أوقات الصلاة ، فتشاوروا فى أن ينصبوا علامة يعرفون
بها وقت صلاة النبى صلى الله عليه وسلم كيلا تفوتهم الجماعة ،
فأشار بعضهم بالناقوس ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم :
« هو للنصارى » ، وأشار بعضهم بالبوق فقال : « هو لليهود » ،
وأشار بعضهم بالدف ، فقال : « هو للروم » وأشار بعضهم بإيقاد
النار ، فقال : « ذلك للمجوس » ، وأشار بعضهم بنصب راية ، فاذا
رآها الناس أعلم بعضهم بعضا ، فلم يعجبه صلى الله عليه وسلم ذلك ،
فلم تتفق آراؤهم على شىء ، فقام صلى الله عليه وسلم مهتما ، فبات
عبد الله بن زيد الأقفارى مهتما باهتمام رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، فرأى فى نومه ملكا علمه الأذان والاقامة ، فأخبر رسول الله
صلى الله عليه وسلم بذلك . وقد وافقت الرؤيا الوحى ، فأمر بهما
النبى صلى الله عليه وسلم (٣) .

(٢) رواه البخارى ومسلم والترمذى واللفظ له - الترمذى ج ١
ص ٢٦٩/٢٣٠ باب الصلاة .

(٢) انظر الفقه على المذاهب الأربعة - عبد الرحمن الجزيرى ص ٢٧٤ ،
كفاية المصلى - محمد خير الزيتونى ص ٢٩١

(٣) هذا معنى حديث رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه .

عن أنس ، قال : لما كثر الناس ذكروا أن يعلموا وقت الصلاة
بشيء يعرفونه ، فذكروا أن يوقدوا نارا ، أو يضربوا ناقوسا ، فأمر
النبي صلى الله عليه وسلم بلالا أن يشفع الأذان ، ويوتر الإقامة .

● فضل الأذان :

فقد دلت عليه أحاديث كثيرة صحيحة : منها ما روى عن
أبي هريرة من أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لو يعلم الناس
ما فى النداء ، والصف الأول ، ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه
لاستهموا عليه » (١) .

ومنها ما روى عن معاوية من أذ النبي صلى الله عليه وسلم
قال : « المؤذنون أطول الناس أعناقاً يوم القيامة » (٢) .

● الفاظ الأذان :

الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر
أشهد أن لا اله الا الله ، أشهد أن لا اله الا الله
أشهد أن محمدا رسول الله ، أشهد أن محمدا رسول الله
حى على الصلاة ، حى على الصلاة
حى على الفلاح ، حى على الفلاح
الله أكبر ، الله أكبر ، لا اله الا الله .

ويزاد فى أذان الصبح بعد « حى على الفلاح » : « الصلاة خير
من النوم » مرتين (٣) .

-
- (١) متفق عليه : واللفظ لمسلم ج ١ ص ٣٢٥ / ٢٨ باب تسوية
الصفوف رقم الحديث (١٢٩) .
(٢) رواه مسلم ج ١ ص ٨/٢٩٠ باب فضل الأذان وهرب
الشیطان عند سماعه رقم الحديث (١٤) .
(٣) انظر الفقه على المذاهب الأربعة - عبد الرحمن الجزيرى ص ٣١١
وما بعدها .

الاقامة

الاقامة هي الاعلام بالقيام الى الصلاة بذكر مخصوص ،
والفاظها هي :

« الله أكبر ، الله أكبر ، أشهد أن لا اله الا الله ، أشهد أن محمدا
رسول الله ، حي على الصلاة ، حي على الفلاح ، قد قامت الصلاة ، قد
قامت الصلاة ، الله أكبر ، الله أكبر ، لا اله الا الله » .

● الفصل بين الأذان والاقامة :

يسن للمؤذن أن يجلس بين الأذان والاقامة بقدر ما يحضر
الملازمون للصلاة في المسجد مع المحافظة على وقت الفضولة ، الا في
صلاة المغرب ، فانه لا يؤخرها^(١) .

الصلوات المفروضة

قال الله تعالى : ﴿ والذين هم على صلواتهم يحافظون . أولئك هم
الوارثون . الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون ﴾ (٢) .

عن عبادة بن الصامت قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول : « خمس صلوات افترضهن الله ، من أحسن وضوءهن ، وصلاهن
لوقتهن ، وأتم ركوعهن وسجودهن وخشوعهن ، كان له على الله عهد
أن يغفر له ، ومن لم يفعل فليس له على الله عهد ، ان شاء غفر له ،
وان شاء عذبه » (٣) .

(١) انظر : الفقه على المذاهب الأربعة - عبد الرحمن الجزيري ، ص ٣٢٢

(٢) المؤمنون : ٩ - ١١

(٣) رواه أبو داود ج ١ ص ٩/٢٩٦ باب المحافظة على وقت
الصلاة رقم الحديث (٤٢٥) .

والصلوات التي فرضها الله سبحانه وتعالى على المسلمين في اليوم هي :

١ - الصبح : وهو ركعتان ، والقراءة فيهما بفاتحة الكتاب وما تيسر من القرآن الكريم جهرا •

٢ - الظهر : وهو أربع ركعات ، والقراءة في الركعتين الأوليين بفاتحة الكتاب وما تيسر من القرآن سرا ، والقراءة في الركعتين الأخريين بفاتحة الكتاب فقط سرا •

٣ - العصر : وهو أربع ركعات ، والقراءة في الركعتين الأوليين بفاتحة الكتاب وما تيسر من القرآن سرا ، والقراءة في الركعتين الأخريين بفاتحة الكتاب فقط سرا •

٤ - المغرب : وهو ثلاث ركعات ، والقراءة في الركعتين الأوليين بفاتحة الكتاب وما تيسر من القرآن جهرا ، والقراءة في الركعة الأخيرة بفاتحة الكتاب سرا •

٥ - العشاء : وهو أربع ركعات ، والقراءة في الركعتين الأوليين بفاتحة الكتاب وما تيسر من القرآن جهرا ، والقراءة في الركعتين الأخريين بفاتحة الكتاب فقط سرا (١) •

خمس صلوات في اليوم واللييلة كتبهن الله على المسلمين ليزكوا بها نفوسهم ، ويظهروا قلوبهم ، ويكونوا مع الله العلى الكبير في صلة وذكر دائمين باقين • ولا يدرك لذة هذه الصلة ويذوق حلاوة الايمان والعبادة الا المتقون الأبرار ، ومن أدى هذه الصلوات كان له عهد على الله أن يدخله الجنة ، ومن لم يؤدها فليس له عهد ، فان شاء عذبه وان شاء غفر له • وهى خمس فى الأداء وخمسون فى الأجر والثوبة ، والحسنة بعشر أمثالها والله يضاعف لمن يشاء •

(١) انظر : الصلاة - أحمد عبد الجواد الدومى ، ص ٤٩

عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه ذكر الصلاة يوماً فقال : « من حافظ عليها كانت له نورا وبرهاناً
ونجاة يوم القيامة • ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان
ولا نجاة ، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان
وأبى بن خلف » (١) •

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم : « بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة » (٢) •

فينبغي علينا أن نحافظ على الصلاة لتكون لنا نورا وبرهاناً ونجاة
يوم القيامة إن شاء الله • فهي الصلة بين العبد وربّه ، وإقامتها من
أكبر علامات الإيمان وأعظم شعائر الدين وأظهر آيات الشكر لله على
نعمه التي لا تحصى ، وبالصلاة يمحو الله الخطايا ، وبتركها يكون العبد
مجرماً كما وصفه الله تعالى ويوجب السلوك في سقر التي لا تبقى
ولا نذر • • لواحة للبشر •

* * *

كيفية صلاة النبي ﷺ

الى كل من يجب أن يصلى كما كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يصلى عملاً بقوله صلى الله عليه وسلم : « صلوا كما رأيتموني
أصلى » (٣) •

١ - يسبغ الوضوء وهو أن يتوضأ كما أمره الله عملاً بقوله
سبحانه وتعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم
الى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم الى الكعبين ﴾ (٤) •

(١) رواه أحمد والطبراني : مسند أحمد بن حنبل ج ٣ ص ١٣٩
(٢) رواه أحمد ومسلم ، واللفظ لمسلم ج ١ ص ٣٥/٨٨ باب بيان
إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة رقم الحديث (١٣٤) •
(٣) رواه البخاري ج ١ ص ١٨/١٤٣ كتاب الأذان •
(٤) المائدة : ٦

وقول النبي صلى الله عليه وسلم : « لا تقبل صلاة بغير طهور »^(١) .

٢ - يتوجه المصلى الى القبلة وهى الكعبة أينما كان بجميع بدنه قاصدا بتلبه الصلاة التى يريدتها من فريضة أو نافلة ولا ينطق بلسانه بالنية لأن النطق باللسان غير مشروع لكون النبي صلى الله عليه وسلم لم ينطق بالنية ولا أصحابه رضى الله عنهم ، ويجعل له سترة يصلى اليها ان كان اماما أو منفردا .

٣ - يكبر تكبيرة الاحرام قائلا : « الله أكبر » ناظرا ببصره الى محل سجوده .

٤ - يرفع يديه عند التكبير الى حذو منكبيه أو الى حيال أذنيه .

٥ - يضع يديه على صدره ، اليمنى على كفه اليسرى .

٦ - يسن أن يقرأ دعاء الاستفتاح وهو : « اللهم باعد بينى وبين خطاياى كما باعدت بين المشرق والمغرب ، اللهم تقنى من خطاياى كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس ، اللهم اغسلنى بالماء والثلج والبرد » .

وان شاء قال بدلا من ذلك : « سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك » ، ثم يقول : « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم » ويقرأ سورة الفاتحة ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب » .

ويقول بعدها : « آمين » جهرا فى الصلاة الجهرية ، ثم يقرأ ما تيسر من القرآن .

٧ - يركع مكبرا رافعا يديه الى حذو منكبيه أو أذنيه جاعلا رأسه حيال ظهره واضعا يديه على ركبتيه مفرقا أصابعه ويطمئن فى ركوعه ويقول : « سبحان ربى العظيم » والأفضل أن يكررها ثلاثا

(١) رواه مسلم ج ١ ص ٢٠٤ / ٢ باب وجوب الطهارة للصلاة رقم (٢٢٤) .

أو أكثر ويستحب أن يقول مع ذلك : « سبحانك اللهم وبحمدك ، اللهم اغفر لي » •

٨ - يرفع رأسه من الركوع رافعا يديه الى حذو منكبيه أو أذنيه قائلا : « سمع الله لمن حمده » إن كان اماما أو منفردا ، ويقول حال قيامه : « ربنا ولك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه ملء السموات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد » • أما إن كان مأموما فانه يقول عند الرفع : « ربنا ولك الحمد » الى آخر ما تقدم ، ويستحب أن يضع كل منهم يديه على صدره كما فعل في قيامه قبل الركوع لثبوت ما يدل على ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث وائل بن حجر وسهل بن سعد رضى الله عنهما •

٩ - يسجد مكبرا واضعا ركبتيه قبل يديه اذا تيسر ذلك فان شق عليه قدم يديه قبل ركبتيه مستقبلا القبلة ضاما أصابع يديه ويكون على أعضائه السبعة ، الجبهة مع الأنف واليدين والركبتين وبطن أصابع الرجلين • ويقول : « سبحان ربى الأعلى » ويكرر ذلك ثلاثا أو أكثر ، ويستحب أن يقول مع ذلك : « سبحانك اللهم ربنا وبحمدك • اللهم اغفر لي » ، ويكثر من الدعاء لقول النبي صلى الله عليه وسلم : « أما الركوع فعظموا فيه الرب ، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمن أن يستجاب لكم » ، ويسأل ربه من خير الدنيا والآخرة سواء أكانت الصلاة فرضا أو نفلا ، ويجافى عضديه عن جنبه وبطنه عن فخذه وفخذه عن ساقيه ويرفع ذراعيه عن الأرض لقول النبي صلى الله عليه وسلم : « اعتدلوا في السجود ولا ييسط أحدكم ذراعيه انبساط الكلب » •

١٠ - يرفع رأسه مكبرا ويفرش قدمه اليسرى ويجلس عليها وينصب رجله اليمنى ويضع يديه على فخذه ويقول : « رب اغفر لي وارحمني وارزقني وعافني واجبرني » ويطمئن في هذا الجلوس •

١١ - يسجد السجدة الثانية مكبرا ويفعل فيها كما فعل في السجدة

الأولى •

١٢ - يرفع رأسه مكبرا ويجلس جلسة خفيفة وتسمى جلسة الاستراحة وهي مستحبة وان تركها فلا حرج عليه وليس فيها ذكر ولا دعاء ، ثم ينهض قائما الى الركعة الثانية معتمدا على ركبتيه ان تيسر ذلك وان شق عليه اعتمد على الأرض ثم يقرأ الفاتحة وما تيسر له من القرآن بعد الفاتحة ثم يفعل كما فعل في الركعة الأولى .

١٣ - اذا كانت الصلاة ثنائية أى ركعتين - كصلاة الفجر أو الجمعة والعيد - جلس بعد رفعه من السجدة الثانية ناصبا رجله اليمنى مفترشا رجله اليسرى واضعا يده اليمنى على فخذه اليمنى قابضا أصابعه كلها الا السبابة فيشير بها الى التوحيد وان قبض الخنصر والبنصر من يده وحلق ابهامها مع الوسطى وأشار بالسبابة فحسن .
لثبوت الصفتين عن النبي صلى الله عليه وسلم ، والأفضل أن يفعل هذا تارة وهذا تارة ويضع يده اليسرى على فخذه اليسرى وركبته ثم يقرأ التشهد فى هذا الجلوس وهو : « التحيات لله ، والصلوات والطيبات ، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله » .
ثم يقول : « اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد » . ويستعين بالله من أربع فيقول : « اللهم انى أعوذ بك من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال »
ثم يدعو بما شاء من خير الدنيا والآخرة ، واذا دعا لوالديه أو غيرهما من المسلمين فلا بأس سواء أكانت الصلاة فريضة أو نافلة ، ثم يسلم عن يمينه وشماله قائلا : « السلام عليكم ورحمة الله . . السلام عليكم ورحمة الله » .

١٤ - ان كانت الصلاة ثلاثية كالغروب ، أو رباعية كالظهر والعصر والعشاء قرأ التشهد المذكور آنفا مع الصلاة على النبي صلى الله

عليه وسلم ثم نهض قائماً معتمداً على ركبتيه رافعاً يديه حذو منكبيه قائلاً : « الله أكبر » ويضعهما - أي يديه - عن صدره كما تقدم ويقرأ الفاتحة فقط ، وإن قرأ في الثالثة والرابعة من الظهر زيادة فلا بأس لثبوت ما يدل على ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث أبي سعيد رضى الله عنه ، ثم يتشهد بعد الثالثة من المغرب وبعد الرابعة من الظهر والعصر والعشاء كما تقدم ذلك في الصلاة الثنائية ، ثم يسلم عن يمينه وشماله ويستغفر الله ثلاثاً ويقول : « اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد ، لا حول ولا قوة إلا بالله ، لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه ، له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن ، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون » ، ويسبح الله ثلاثاً وثلاثين • ويحمده مثل ذلك ويكبره مثل ذلك ويقول تمام المائة : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير » ، ويقرأ آية الكرسي و « قل هو الله أحد » و « قل أعوذ برب الفلق » و « قل أعوذ برب الناس » بعد كل صلاة ، ويستحب تكرار هذه السور الثلاث ثلاث مرات بعد صلاة الفجر وصلاة المغرب لورود الأحاديث بها عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وكل هذه الأذكار سنة وليست بفريضة ، والله ولى التوفيق • • • وصلى الله وسلم على نبينا محمد ابن عبد الله وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان الى يوم الدين (١) •

* * *

صلاة الجماعة

لا ينبغي للمسلم أن يتهاون بأمر عظم الله شأنه في كتابه العظيم ، وعظم شأنه رسول الله صلى الله عليه وسلم • ولقد أكثر الله سبحانه

(١) انظر : ثلاث رسائل في الصلاة - عبد العزيز بن باز ص ٣ - ٦

من ذكر الصلاة في كتابه الكريم وعظم شأنها وأمر بالمحافظة عليها وأدائها في الجماعة ، وأخبر أن التهاون بها والتكاسل عنها من صفات المنافقين فقال تعالى في كتابه المبين : ﴿ حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين ﴾ (١) .

وكيف تعرف محافظة العبد عليها وتعظيمه لها وقد تخلف عن أدائها مع اخوانه وتهاون بشأنها ، وقال تعالى : ﴿ واقموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين ﴾ (٢) وهذه الآية الكريمة نص في وجوب الصلاة في جماعة والمشاركة للمصلين في صلاتهم ، ولو كان المقصود اقامتها فقط لم تظهر مناسبة واضحة في ختم الآية بقوله سبحانه : ﴿ واركعوا مع الراكعين ﴾ لكونه قد أمر باقامتها في أول الآية ، وقال تعالى : ﴿ وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ﴾ (٣) .

فأوجب الله سبحانه الصلاة في جماعة في حال الحرب فكيف بحال السلم ، ولو كان أحد يسامح في ترك الصلاة في جماعة لكان المصافون للعدو المهددون بهجومه عليهم أولى بأن يسمح لهم في ترك الجماعة فلما لم يقع ذلك علم أن أداء الصلاة في جماعة من أهم الواجبات ، وأنه لا ينبغي لأحد التخلف عن ذلك ، وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لقد هممت أن أمر بالصلاة فتقام ، ثم أمر رجلا أن يصلّي بالناس ثم أنطلق برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم » (٤) .

(٢) البقرة : ٤٣

(١) البقرة : ٢٣٨

(٣) النساء : ١٠٢

(٤) رواه البخاري ومسلم ، واللفظ لمسلم ج ١ ص ٤٥١ / ٢٢ باب فضل

صلاة الجماعة رقم الحديث (٦٤٩) .

والأحاديث الدالة على وجوب الصلاة في الجماعة وعلى وجوب اقامتها في بيوت الله التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه كثيرة جدا ، فالواجب على كل مسلم العناية بهذا الأمر والمبادرة اليه والتواصي به مع أبنائه وأهل بيته وجيرانه وسائر اخوانه المسلمين امتثالاً لأمر الله ورسوله ، وحذراً مما نهى الله عنه ورسوله والابتعاد عن مشابهة أهل النفاق الذين وصفهم الله بصفة ذميمة من أخبثها تكاسلهم عن الصلاة ،

فقال تعالى : ﴿ ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا . مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ، ومن يفضل الله فلن تجد له سبيلا ﴾ (١) .

ولا يخفى ما في الصلاة في الجماعة من الفوائد الكثيرة والمصالح الجمة ، ومن أوضح ذلك التعارف والتعاون على البر والتقوى والتواصي بالحق والصبر عليه .

وتشجيع المتخلف وتعليم الجاهل واعاظة أهل النفاق والبعد عن سبيلهم واطهار شعائر الله بين عباده والدعوة اليه سبحانه بالقول والعمل الى غير ذلك من الفوائد الكثيرة (٢) .

ومن فضل صلاة الجماعة : مضاعفة الأجر والثواب ، عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة » (٣) .

وتكفير السيئات ورفع الدرجات .

عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من تطهر في بيته ثم مشى الى بيت من بيوت الله ،

(١) النساء : ١٤٢ ، ١٤٣

(٢) أنظر : ثلاث رسائل في الصلاة - عبد العزيز بن باز ، ص ٧-٩

(٣) رواه البخارى ومسلم ، واللفظ لمسلم ج ١ ص ٤٥٠/٤٢ باب صلاة الجماعة رقم الحديث (٦٥٠) .

ليقضى فريضة من فرائض الله ، كانت خطواته احداهما تحط خطيئة ،
والأخرى ترفع درجة» (١) .

* * *

صلاة الجمعة

يوم الجمعة هو يوم المسلمين المفضل لأنه يوم مبارك كثير الخيرات .
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خير يوم طلعت فيه
الشمس يوم الجمعة » (٢) وفيه ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو قائم
يصلى يسأل الله شيئا الا أعطاه اياه . وهو اليوم المبارك الذي يجتمع
فيه المسلمون مرة كل أسبوع في المساجد ، وكأنه يوم عيد لهم ، فيخرج
المسلم من بيته بعد ما يغتسل غسل الجمعة ويتطيب ويلبس أحسن
الثياب ، ويقصد المسجد في تودة ساعيا الى ذكر الله حيث يجد
الجموع المحتشدة وهم بين مصل وتال للقرآن وذاكر لربه ومصل
على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهناك تقع عينه على اخوانه
المسلمين في أبهى مظهر ، وقد تألفت قلوبهم وتعاطفت ، وتمازجت
أرواحهم في طاعة الله وتعارفت ، وفي اطار هذه الرابطة الوثيقة الربانية
وفي ظلال هذه الأخوة الاسلامية ، تحفهم رحمة الله ، وتتنزل عليهم
الملائكة .

وقد فرضت صلاة الجمعة في السنة الأولى من الهجرة في شهر
ربيع الأول ، وقد صلاها الرسول لأول مرة في مسجد بنى النجار
المعروف الآن بمسجد الجمعة خارج المدينة المنورة ، وحكمتها اجتماع
المسلمين لتوحيد صفوفهم ، وتزويدهم بالنصح والوعظ والارشاد ،
فهى فى الحقيقة تعبئة روحية للمسلمين فى كل أسبوع .

(١) رواه مسلم : ج ١ ص ٤٦٢/٥١ باب المشى الى الصلاة ، رقم
الحديث (٦٦٦) .
(٢) رواه مسلم ج ٢ ص ٥٨٥/٥١ باب فضل يوم الجمعة ، رقم
الحديث (١٧) .

ومن خطبة للنبي صلى الله عليه وسلم يوم فرضت الجمعة قوله :

« واعلموا أن الله افترض عليكم الجمعة من عامى هذا الى يوم القيامة ، فمن تركها فى حياتى أو بعدى وله امام عادل أو جائر استخفافا بها وجحودا بها فلا جمع الله شمله ولا بارك له فى أمره ، ألا ولا صلاة له ولا زكاة له ولا صوم ولا حج ولا بر له حتى يتوب ، فمن تاب تاب الله عليه » (١) .

قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ، ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون . فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض ، وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » (٢) .

وعن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول :
« الصلوات الخمس ، والجمعة الى الجمعة ، ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا اجتنب الكبائر » (٣) .

وينبغى التبكير الى الصلاة : عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فى الساعة الأولى فكأنما قرب بدنه ، ومن راح فى الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ، ومن راح فى الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا أقرن ، ومن راح فى الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ، ومن راح فى الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة ، فاذا خرج الامام حضرت الملائكة يستمعون الذكر » (٤) . وخطبة الجمعة تشمل

(١) رواه ابن ماجه فى الزوائد ج ١ ص ٧٨ باب فى فرض الجمعة (١٠٨١) .

(٢) الجمعة : ٩ ، ١٠ .

(٣) رواه مسلم ج ١ ص ٢٠٩/٥ باب الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان رقم الحديث (١٤) .

(٤) رواه البخارى ومسلم ، واللفظ للبخارى ج ١ ص ٢١٢ باب فضل الجمعة (٦) ، ورواه مسلم ج ٢ ص ٥٨٢/٢ باب الطيب والسواك يوم الجمعة رقم الحديث (١٠) .

خطبتين تفصل بينهما جلسة خفيفة ، وفي الخطبة الأولى يبدأ الخطيب بالحمد والثناء على الله بما هو أهله ، والشهادتين والصلاة على النبي • ثم يدخل في موضوع الخطبة التي تتناول عادة مسألة دينية أو اجتماعية تنتهى بحديث نبوى ، وبعد ذلك يجلس الخطيب على المنبر جلسة خفيفة ، ثم يقوم بعدها للخطبة الثانية التي تبدأ أيضا بالحمد والثناء على الله والصلاة والسلام على رسول الله ، والدعاء بعد ذلك للسلام والمسلمين بالعزة والنصر ، ولأولياء الأمور بالتوفيق والتأييد • ومن آداب صلاة الجمعة أن المصلى إذا وصل الى المسجد يجلس في أقرب مكان ولا يتخطى رقاب العباد ، ولا يزاحمهم ، ولا يحدث لغطا ولا جلبة اكراما لحرمة المسجد ، وتمسكا بآداب المسلمين الشرعية •

* * *

صلاة المسافر

للمسافر الذى يتحمل المتاعب والمشاغل في سفره برا أو بحرا أو جوا الحق في أن يقصر صلاته وأن يجمعها • وذلك رحمة من الله تعالى به •

شرع الله تعالى للمسافرين صلاة مختصرة ثلاثم ظروفهم وهى صلاة القصر ، وذلك تخفيفا عنهم :

قال الله تعالى : ﴿ واذا ضربتم فى الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتكم الذين كفروا ، إن الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا ﴾ (١) • ولا يشترط فيه خوف ولا مشقة ••

عن يعلى بن أمية قال : قلت لعمر بن الخطاب : « ••• ليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتكم الذين كفروا ••• » فقد أمن الناس •

(١) النساء : ١٠١

فقال : عجبت مما عجبت منه ، فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته » (١) .

ولم يرد القصر الا للصلوات الرباعية : الظهر والعصر والعشاء ، حيث ان الصلوات كلها كانت ثنائية ، فزيدت في الحضر وبقيت في السفر على الأصل ، بينما الثنائية والثلاثية لما فرضت بهذا الشكل بقيت على الأصل سفرا وحضرا . .

عن عائشة قالت : « فرضت الصلاة ركعتين ركعتين في الحضر وفي السفر ، فأقرت الصلاة في السفر ، وزيد في صلاة الحضر ، الا المغرب فانها وتر النهار » (٢) .

ويشترط لصحة قصر الصلاة أن يكون السفر مسافة تبلغ حوالى ثمانين كيلو ونصف كيلو ومائة وأربعين مترا - مسيرة يوم وليلة يسير الابل المحملة بالأثقال سيرا معتادا (٣) .

ويجوز للمسافر أن يجمع بين الصلاتين تقديمًا أو تأخيرًا ، والجمع تقديمًا هو أن يجمع المصلى بين الظهر والعصر في وقت الظهر ، بأن يصلى العصر مع الظهر قبل حلول وقت العصر ، أو يجمع بينهما تأخيرًا ، بأن يؤخر الظهر حتى يخرج وقته ، ويصليه مع العصر في وقت العصر ، مثل الظهر والعصر والمغرب والعشاء ، فيجمع بينهما تقديمًا وتأخيرًا ، أما الصبح فانه لا يصح فيه الجمع على أى حال ، ولا يجوز للمكلف أن يؤخر فرضا عن وقته أو يقدمه بدون سبب من الأسباب ، لأن الله سبحانه قد أمرنا بأداء الصلاة في أوقاتها ، ولكن الدين الاسلامى دين يسر فأباح الصلاة في غير أوقاتها عند وجود مشقة دفعا للخرج .

(١) رواه مسلم ج ١ ص ٦٧٨/٦ كتاب صلاة المسافرين وقصرها (١)
باب صلاة المسافرين رقم (٤) .

(٢) رواه البخارى ومسلم وأحمد ، واللفظ لمسلم ج ١ ص ٤٧٨/١
باب صلاة المسافرين وقصرها (١) .

(٣) انظر : الفقه على المذاهب الأربعة - عبد الرحمن الجزيرى ،
ج ١ ص ٤٧٢

كما يجوز للمسافر أن يصلي خلف المقيم ويقتدى به وله أن يقصر الصلاة كما له أن يتم مع المقيمين موافقة للامام والجماعة ، والاتمام أفضل لما ثبت وأخرجه الامام أحمد في مسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما : « أنه سئل : ما بال المسافر يصلي ركعتين اذا انفرد ، وأربعاً اذا ائتم ؟ فقال : تلك السنة » (١) .

* * *

صلاة المريض

اقتضت حكمة الله تعالى التخفيف على المريض ، واعطاءه أجر ما كان يأتي من الطاعات في صحته ، والتساهل معه في صورة الصلاة التي يؤديها .

والمريض الذي ليس في قدرته أن يؤدي الصلاة قائماً ، يمكنه أن يصلي قاعداً بركوع وسجود ويقعد كيف يشاء ، ومثل قعود التشهد أفضل لأنه من أفعال الصلاة ، وان تعذر عليه الركوع والسجود أيضاً صلى قاعداً بالاياء بالاشارة - ويجعل الاياء للسجود أخفض من ايائه للركوع ، ولا يصح أن يرفع شيئاً الى رأسه ليسجد عليه فإن ذلك غير مشروع . واذا تعذر عليه القعود أيضاً صلى على جنب ، وان تعذر صلى مستلقياً يومئ بالركوع والسجود .

عن عمران بن الحصين رضي الله عنه قال : كانت لي بواسير فسألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة فقال : « صل قائماً ، فان لم تستطع فقاعداً ، فان لم تستطع فعلى جنب » . وزاد في رواية : « فان لم تستطع فمستلقياً ، لا يكلف الله نفساً الا وسعها » (٢) .

(١) رواه أحمد : مسند الامام أحمد بن حنبل ج ١ ص ٢١٤ مسند عبد الله بن عباس .
(٢) رواه النسائي ج ٣ ص ٢٢٣ باب فضل صلاة القائم على صلاة القاعد .

واذا بلغ المريض من الضعف حدا يسجزه عن الحركة وفقد الوعي ،
ولم يستطع الاتيان بهذه الایماءات سقطت عنه الصلاة • وعندما يبرأ
المريض من مرضه ويسترد صحته ، عليه أن يعيد ما فاتته من الصلوات ،
أما النوافل فيجوز أن يصلّيها القادر قاعدا أو مضطجعا •

* * *

صلاة الجنّازة

الاسلام يكرم الانسان حيا وميتا ، فاذا مات المسلم فقد أمرنا
الدين بتغسيله ، وتطيبه ، وتكفينه ، والصلاة عليه ، وتشيعه ،
ودفنه ، والدعاء له •

وصلاة الجنّازة فرض كفاية اذا قام به البعض سقط الاثم عن
الباقين وهي رحمة للميت وتكريم •

وصورتها هكذا :

يوضع الميت الى جهة القبلة ، ثم يقف الامام عند رأسه وكتفه ان
كان المتوفى رجلا ، ويقف في الوسط ان كانت الجنّازة لامرأة ،
ويقف المصلون عن يمين الامام وشماله وورائه فيكبر الامام أربع تكبيرات
يرفع يديه عند كل تكبيرة ويكبر معه المصلون •

التكبيرة الأولى : تكبيرة الاحرام ثم يتعوذ ، ثم يسلم ، ثم يقرأ
الفاتحة •

التكبيرة الثانية : ثم يكبر رافعا يديه ، ثم يصلي على النبي صلى
الله عليه وسلم كما في التشهد الأخير وهي :

« اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على ابراهيم
وعلى آل ابراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت
على ابراهيم وعلى آل ابراهيم ، في العالمين اذك حميد مجيد » •

التكبيرة الثالثة : ثم يكبر رافعا يديه ويقول : « اللهم اغفر لحينا

وميتنا وشاهدنا وغائبنا وصغيرنا وكبيرنا وذكرنا وأثنا ، انك تعلم
منقلبنا ومثوانا وأنت على كل شيء قدير ، اللهم من أحييته منا فأحيه
على الاسلام والسنة ، ومن توفيته فتوفه عليهما ، اللهم اغفر له وارحمه
وعافه واعف عنه وأكرم نزله ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج
والبرد ، وثقه من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس ، وأبدله
دارا خيرا من داره ، وجوارا خيرا من جواره ، وزوجا خيرا من زوجته ،
وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار ، وأفسح له
في قبره ونور له فيه » .

التكبير الرابعة : ثم يكبر رافعا يديه ويسلم تسليمه واحدة عن
يمينه قائلا : « السلام عليكم ورحمة الله » (١) .

* * *

الصلاة على الغائب

وتجوز صلاة الجنازة على الغائب ، وقد فعل ذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم حيث صلى صلاة الغائب على النجاشي ملك
الحبشة عند موته رحمه الله فأصبحت سنة مطهرة .

وهي تجوز على الواحد والجماعة ، فاذا استشهد مثلا جماعة من
المسلمين في بلد ما ، فالمسلمين أذن يصلوا عليهم صلاة الجنازة على
الغائب .

وبعد الصلاة يحمل الميت الى مقره الأخير ، مشيعا بالاحترام
والهبة . وعند مثواه الأبدى يسن للمشيعين أن يكرروا الدعاء
للميت بالمغفرة والرحمة ، والرضوان والثبات ، لاجابة الملكين اللذين
يسألانه عن ربه ، ودينه ، ونبيه بالانفراد . وقد كان النبي صلى الله

(١) انظر : تعليم الصلاة - محمد محمود الصواف ، ص ٨١ ، ٨٢
وانظر أيضا : العدة شرح العمدة في فقه الامام احمد بن حنبل -
عبد الرحمن المقدسي ، ص ١١٨

عليه وسلم يقول للمشيعين بعد انتهاء الدفن : « استغفروا الأخيكم وأسألوا له التثبيت فإنه الآن يسئل » (١) . نسأل الله أن يلهمنا الصواب في الجواب ، فكل نفس ذائقة الموت ، وأن يرحم غربتنا في الدنيا ومصرعنا عند الموت ، ووحشتنا في قبرنا ، ووقوفنا بين يديه ، وأن يهون علينا سكرات الموت ، أنه تعالى بعباده غفور رحيم (٢) .

* * *

صلاة العيدين

١ - صلاة عيد الفطر . ٢ - صلاة عيد الأضحى .

وكل منهما ركعتان يجهر الإمام فيهما بالقراءة ، ولا أذان فيهما ولا إقامة ، ولا يصلى بشيء قبلهما ولا بعدهما ، وتصليان بعد طلوع الشمس بمقدار عشرين دقيقة ، ووقتتهما من طلوع الشمس الى الزوال .

● صلاة عيد الفطر :

بعد أن يؤدي المسلمون فريضة الصيام في رمضان المبارك يعيدون بعده عيد الفطر الذي هو ثلاثة أيام ، ويستقبلون هذا العيد بالشكر لله والدعاء والثناء عليه عز وجل .

فبعد أن يؤدي المسلم صلاة الصبح في اليوم الأول من شهر شوال يخرج الى المسجد بعد أن يكون قد اغتسل ، وتزين ، وتطهر ، وتطيب ، وأفطر ولو على تمرات ، وهذه كلها من سنن النبي صلى الله عليه وسلم في العيد ، يدخل المسجد فيجلس من غير أن يصلى شيئاً ، فيستمع لقراءة القرآن الكريم الى أن تطلع الشمس ، وبعد طلوعها بمقدار ثلث ساعة وارتفاعها حتى تكون ظاهرة للعيان يبدأ وقت صلاة العيد .

(١) رواه مسلم ج ١ ص ٢٢/٦٥٧ باب في التكبير على الجنازة .

(٢) انظر : تعليم الصلاة - محمد محمود الصوائف ، ص ٨٣

فيقوم الامام ليصلى بالناس هذه الصلاة المباركة فيأخذ الناس صفوفهم ويسوونها ، ثم يكبر الامام تكبيرة الاحرام ، ويكبر الناس من بعده ثم يقرأون جميعا دعاء الاستفتاح : « سبحانك اللهم وبحمدك » .. الخ ، أو « وجهت وجهي » .. الخ بصورة سرية . وبعدها يكبر الامام ست تكبيرات مثل تكبيرة الاحرام وتكبر الجماعة من بعده وفي كل تكبيرة يرفع الامام يديه حذاء أذنيه ثم يضمهما الى صدره وتفعل الجماعة مثله في الرفع ويقولون جميعا بصورة سرية بين كل تكبيرة وأخرى : « سبحان الله ، والحمد لله ، ولا اله الا الله ، والله أكبر » .

وبهذه التكبيرات مع تكبيرة الاحرام يتم سبع تكبيرات وهذه كلها قبل البدء بالقراءة . ثم يبدأ بقراءة الفاتحة جهرا ويحسن أن يقرأ بعدها سورة « الأعلى » كلها . ثم يركع ويرفع ويسجد سجدتين كالمعتاد في بقية الصلوات ثم ينهض واقفا ليأتي بالركعة الثانية ، وقبل البدء بالقراءة يكبر خمس تكبيرات يفصل بين كل تكبيرة وأخرى بقوله : « سبحان الله ، والحمد لله ، ولا اله الا الله ، والله أكبر » .

ثم يقرأ الفاتحة جهرا وبعدها يحسن أن يقرأ سورة « الفاشية » كلها ، ثم يركع ويرفع ويسجد سجدتين ثم يجلس للشهادة فيقرأ « سبحان الله ، والحمد لله ، ولا اله الا الله ، والله أكبر » . والجماعة معه بقولهم : « الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر » . لا اله الا الله ، والله أكبر الله أكبر والله الحمد » ، وبهذه التكبيرات تختتم الصلاة .

ثم يصعد الخطيب على المنبر ليلقي خطبة العيد ، والتي يجب أن تكون درسا بليغا في معاني العيد السامية ، وفيما يجب أن يفعله المسلمون في العيد من التناصح ، والتسامح ، والتزاور ، والتناصر ، والبر والاحسان ، وطاعة الرحيم الرحمن ، ونبد الشقاق والنفاق ،

والفسوق والعصيان ... الى ما هنالك من المعاني الجليلة التي دعا اليها الاسلام وندب المسلمون الى التحلى بها والتمسك بأدابها .

وبعد الخطبة ينزل الخطيب من منبره فيصافح الناس ويصافحونه ، ويتبادل الناس التهاني والأفراح .

● صلاة عيد الأضحى :

صلاة عيد الأضحى كصلاة عيد الفطر تماما في تكبيراتها وقراءتها وشكلها ولا تختلف عنها الا في النية ، ففي عيد الفطر تنوى صلاة عيد الفطر ، وفي صلاة عيد الأضحى تنوى صلاة عيد الأضحى .

وفي عيد الفطر لا تحتاج الى التكبير حين خروجك من دارك الى المسجد ، أما الأضحى فيسن لك التكبير منذ خروجك من البيت حتى تصل المسجد^(١) .



صلاة الاستسقاء

الاستسقاء في الشرع : هو طلب سقى العباد من الله تعالى عند حاجتهم الى الماء كما اذا كانوا في موضع لا يكون لأهله أودية وأتهار وآبار يشربون منها ويسقون زرعهم ومواشيهم ، أو يكون لهم ذلك ولكن الماء لا يكفيهم . فاذا احتاج الناس الى الماء على هذا الوجه فانه يطلب من المسلمين أن يصلوا صلاة الاستسقاء .

وهي صلاة مسنونة سنة مؤكدة ، عندما ينقطع المطر ، ويحصل الجذب الذي يتأذى بسببه الانسان والحيوان والزرع .

(١) انظر : الفقه على المذاهب الأربعة - عبد الرحمن الجزيري ص ٢٤٤ ، تعليم الصلاة - محمد محمود الصواف ص ٧٨ - ٨٠

وكيفية صلاة الاستسقاء مثل صلاة العيد تماما ، فيكبر فيها سبعا في الركعة الأولى ، وخمسا في الثانية ، ويقرأ في الأولى سورة « الأعلى » بعد الفاتحة وفي الثانية « الفاشية » ، وبعد التسليم يصعد الخطيب الى المنبر ليخطب خطبة واحدة لا خطبتين يجلس قبلها اذا صعد الى المنبر جلسة الاستراحة ، ثم يفتتحها بالتكبير تسعا كخطبة العيد ، ويكثر فيها الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، ويكثر فيها الاستغفار ويقرأ فيها : ﴿ فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا .

يرسل السماء عليكم مدرارا ﴾ (١) .

ويسن أن يرفع يديه وقت الدعاء حتى يرى بياض ابطينه ، وتكون ظهور اليدين نحو السماء وبطونها جهة الأرض ، ويؤمن المأمومون على دعائه ، ويرفعون أيديهم كالامام وهم جالسون ، ويصح الدعاء بكل ما يراه ، ولكن الأفضل بالدعاء الوارد وهو : « اللهم اسقنا غيثا مغيثا (منقذا من الشدة) هنيئا (حاصل بلا مشقة) ، مريئا (محمود العاقبة) مريعا (كثير النبات) غدقا (طبقا) نافعا غير ضار ، عاجلا غير آجل ، اللهم اسق عبادك وبهائمك ، وانشر رحمتك ، واحيي بلدك الميت ، اللهم اسقنا الغيث ، ولا تجعلنا من القانطين ، اللهم سقيا رحمة لا سقيا عذاب ، ولا بلاء ولا هدم ولا غرق ، اللهم اثبت لنا الزرع ، وأدر لنا الضرع ، واسقنا من بركات السماء ، وأنزل علينا من بركاتك ، اللهم ارفع عنا الجوع والجهد والعري ، واكشف عنا من البلاء ما لا يكشفه غيرك ، اللهم انا نستغفرك انك كنت غفارا ، فأرسل السماء علينا مدرارا » ، واذا دعا الامام أمن المستمعون ، ويستحب أن يستقبل الامام القبلة أثناء الخطبة ثم يحول رداءه ، فيجعل ما على الأيمن على الأيسر وما على الأيسر على الأيمن ، ويفعل المأمومون مثل فعله ، فيحولون أرديتهم ، ويتركون الرداء محولا ، حتى ينزعوه مع ثيابهم ، ويدعو سرا حال استقبال القبلة لنزع الرداء

(١) نوح : ١٠ ، ١١

فيقول : « اللهم انك أمرتنا بعبادتك ووعدتنا اجابتك ، وقد دعوناك كما أمرتنا فاستجب لنا كما وعدتنا انك لا تخلف الميعاد » ، فاذا فرغ من الدعاء استقبلهم ثانيا ، وحثهم على الصدقة والخير ويصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ويدعو للمؤمنين والمؤمنات ويقرأ ما تيسر من القرآن ، ثم يقول : « أستغفر الله لى ولكم ولجميع المسلمين » وبذلك ينتهى من خطبته ، ولا يشترط لصلاة الاستسقاء أذان كما لا يشترط الأذان لخطبتها وينادى لها بقوله : « الصلاة جامعة » . وهى سنة مؤكدة عند الحاجة الى الماء ، فمتى احتاج الناس الى الماء فانه يسن لهم أن يصلوا صلاة الاستسقاء (١) .

* * *

صلاة الاستخارة

وهى ركعتان كسائر السنن يصلحها المسلم اذا تردد بين أمرين مباحين أيهما يفعل ، عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة فى الأمور كلها ، كما يعلمنا السورة من القرآن ، ويقول : « اذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ، ثم ليقل : اللهم انى أستخيرك بعلمك ، وأستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم ، فانك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام الغيوب ، اللهم ان كان هذا شرا لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى - أو قال عاجل أمرى وآجله - فاصرفه عنى ، واصرفنى عنه ، واقدر لى الخير حيث كان ، ثم رضى به » ، قال : « ويسمى حاجته » (٢) .

* * *

(١) انظر الفقه على المذاهب الأربعة - عبد الرحمن الجزيرى ، ص ٣٥٨

(٢) رواه أصحاب السنن الا مسلما - سنن أبى داود ج ٢

صلاة الحاجة

ورد في قول النبي صلى الله عليه وسلم : « من كانت له عند الله حاجة ، أو الى أحد من بنى آدم ، فليتوضأ ويحسن الوضوء ، ثم ليصل ركعتين ، ثم ليثن على الله تعالى ، وليصل على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم ليقل : لا اله الا الله الحليم الكريم ، سبحان الله رب العرش العظيم ، الحمد لله رب العالمين ، أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك ، والغنيمة من كل بر ، والسلامة من كل اثم ، لا تدع نبي ذنبا الا غفرته ، ولا هما الا فرجته ، ولا حاجة لي فيها رضا الا قضيتها يا ارحم الراحمين » (١) .



صلاة التراويح

صلاة التراويح أو صلاة القيام سنة مؤكدة عند الأئمة للرجال والنساء في ليالي رمضان ، ووقتها بعد صلاة العشاء حتى مطلع الفجر ، وبعدها تأتي صلاة الوتر .

عن السيدة عائشة رضى الله عنها : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي بالليل إحدى عشرة ركعة يوتر منها بواحدة . فاذا فرغ منها اضطجع على شقه الأيمن . حتى يأتيه المؤذن فيصلى ركعتين خفيفتين » (٢) .

ولكن سيدنا عمر بن الخطاب في مدة خلافته قد جعلها عشرين ركعة ووافقه الصحابة على ذلك تحقيقا لقول رسول الله صلى الله عليه

(١) أخرجه الترمذي عن عبد الله بن أبي أوفى ج ١ ص ٢٩٧ / ٣٤٣ باب ما جاء في صلاة الحاجة رقم (٤٧٧) .

(٢) رواه مسلم ج ١ ص ١٧/٥٠٨ باب صلاة الليل رقم الحديث (٧٣٦)

وسلم : « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضوا عليها بالنواجذ » (١) .

ومن هذا يتبين أن النبي صلى الله عليه وسلم سن لهم التراويح والجماعة فيها ، ولكنه لم يصل بهم عشرين ركعة ، كما جرى عليه العمل من عهد الصحابة ، ومن بعدهم الى الآن .

وقد سئل أبو حنيفة عما فعله عمر رضي الله عنه قال : التراويح سنة مؤكدة ، ولم يخرج عمر من تلقاء نفسه ، ولم يكن فيه مبتدعا ، ولم يأمر به الا من أصل لديه ، وعهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نعم زاد فيها عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، فجعلت ستا وثلاثين ركعة ، ولكن كان القصد من هذه الزيادة مساواة أهل مكة في الفضل ، لأنهم كانوا يطوفون بالبيت بعد كل أربع ركعات مرة ، فرأى رضي الله عنه أن يصلي بدل كل طواف أربع ركعات ، وهذا دليل على صحة اجتهاد العلماء في الزيادة على ما ورد من عبادة مشروعة ، اذ مما لا ريب فيه أن للإنسان أن يصلي من النافلة ما استطاع بالليل والنهار (٢) .

وكيفية صلاتها أن تصلى ركعتين ، كصلاة الصبح تماما ، وبين كل ركعتين يسبح المصلون أو يصلون على النبي صلى الله عليه وسلم ، والأفضل صلاتها في المسجد لأن كل ما شرعت فيه الجماعة ففعله بالمسجد أفضل . وحكمة صلاة التراويح أنها كما يدل عليها اسمها تروح عن النفس بما تحدثه من تسهيل للهضم بعد امتلاء المعدة بالطعام والشراب ، وفيها احياء لليالي رمضان المباركة بالاجتماع بالمساجد للعبادة (٣) .

* * *

(١) رواه أبو داود ج ٥ ص ١٠/٦ باب لزوم السنة رقم الحديث (٧٣٦١) .

(٢) انظر : الفقه على المذاهب الأربعة - عبد الرحمن الجزيري ص ٣٤٠

(٣) انظر : الصلاة - محمد اسماعيل إبراهيم ، ص ١٩٢ ، ١٩٣

صلاة الكسوف والخسوف

صلاة كسوف الشمس سنة مؤكدة وقد شرعت في السنوات الأخيرة من الهجرة ، وكان ذلك عندما انتقل نجل الرسول صلى الله عليه وسلم ابراهيم الى رحمة الله وفي نفس اليوم كسفت الشمس .

وعن المغيرة بن شعبه رضى الله عنه قال : « وانكسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يوم مات ابنه ابراهيم ، فقال الناس : انكسفت الشمس لموت ابراهيم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله ، لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته ، فاذا رأيتما فادعوا الله وصلوا حتى تنكشف » (١) .

● كيفية صلاة الكسوف :

صلاة الكسوف والخسوف تختلف في الشكل عن بقية الصلوات، فهي ركعتان ، تصليان في جماعة — وهو الأفضل — ويجوز للمنفرد أن يصليهما وحده ، واذا صليت في الجماعة : يجهر الامام فيهما بالقراءة ثم يخطب بالجماعة بعد الانتهاء من الصلاة خطبة قصيرة يذكر العبرة في مثل هذه الحالات .

وشكل الصلاة : هو أن يبدأ الصلاة بتكبيرة الاحرام ، ثم قراءة الفاتحة ، ثم قراءة ما تيسر من القرآن — والأفضل التطويل في القراءة — ثم يركع ، وبعد الركوع يرفع رأسه ويستقيم واقفا ، ثم يستمر في قراءة القرآن قبل أن يسجد ، وبعد قراءة ما تيسر ، يركع مرة أخرى ، ثم يرفع من الركوع وبعده يهوى ساجدا ، فكل ركعة تصلى بركوعين وسجدتين ويفعل هذا في الركعة الأولى والثانية معا .

عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت : « خسفت الشمس في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسجد فقام وكبر وصف الناس وراءه ، فاقرأ قراءة

(١) متفق عليه : رواه مسلم ج ٢ ص ١/٦٢٠ باب صلاة الكسوف .

طويلة ، ثم كبر فركع ركوعاً طويلاً ثم رفع رأسه فقال : « سمع الله لمن حمده ، ربنا ولك الحمد » ، ثم قام فاقرأ قراءة طويلة هي أدنى من القراءة الأولى ثم كبر فركع ركوعاً طويلاً هو أدنى من الركوع الأول . ثم قال : « سمع الله لمن حمده ، ربنا ولك الحمد » ، ثم سجد ، ثم فعل فى الركعة الأخرى مثل ذلك حتى استكمل أربع ركعات وأربع سجعات وانجلت الشمس قبل أن ينصرف . ثم قام فخطب الناس فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال : « ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله عز وجل ، لا ينخسفان لموت أحد ، ولا لحياة ، فاذا رأيتموهما فافزعوا الى الصلاة » (١) .



صلاة التسبيح

صلاة التسبيح أو التساييح سنة وهي أربع ركعات يقرأ المصلى فيها سور : التكاثر ، والعصر ، والكافرون ، والاخلاص ، ويسبح فيها ثلاثمائة مرة بلفظ : « سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر » وقد أوصى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه .

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس بن عبد المطلب : « يا عباس ! يا عماه ألا أعطيك ، ألا أمنحك ، ألا أحبك ، ألا أفعل لك عشر خصال . اذا أنت فعلت ذلك غفر الله لك ذنبك أوله وآخره ، وقديمه وحديثه ، وخطأه وعمده ، وصغيره وكبيره ، وسره وعلايته . عشر خصال : أن تصلى أربع ركعات . تقرأ فى كل ركعة بفاتحة الكتاب وسورة . فاذا فرغت من القراءة فى أول ركعة قلت وأنت قائم : « سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر » خمس عشرة مرة . ثم تركع فتقول وأنت راكع

(١) رواه البخارى ومسلم ، واللفظ لمسلم ج ٢ ص ٦١٩ / باب صلاة الكسوف ، رقم الحديث (٣) .

عشرا ، ثم ترفع رأسك من الركوع فتقولها عشرا • ثم تهوى ساجدا فتقولها وأنت ساجد عشرا ، ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشرا ، ثم تسجد فتقولها عشرا ، ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشرا • فذلك خمسة وسبعون فى كل ركعة • تفعل فى أربع ركعات • ان استطعت أن تصلّيها فى كل يوم مرة فافعل • فان لم تستطع ففى كل جمعة مرة • فان لم تفعل ففى كل شهر مرة • فان لم تفعل ففى عمرك مرة « (١) » •

* * *

صلاة التوبة من الذنب

روى أصحاب السنن عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من رجل يذنب ذنبا ثم يقوم فيتطهر ثم يصلى ركعتين ثم يستغفر الله الا غفر الله له » (٢) ، ثم قرأ هذه الآية : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرَ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٣) •

وعن عقبة بن عامر قال : أدركت رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما يحدث الناس • فأدركت من قوله : « ما من مسلم يتوضأ ، فيحسن وضوءه • ثم يقوم يصلى ركعتين • مقبل عليهما بقلبه ووجهه • الا وجبت له الجنة » (٤) •

-
- (١) رواه أبو داود وابن ماجه واللفظ له ج ١ ص ٤٤٣ / ١٩٠ باب ما جاء فى صلاة التسبيح رقم الحديث (١٣٨٧) •
(٢) رواه البيهقى فى السنن الكبرى ج ١ ص ٨١ باب فضيلة الوضوء •
(٣) آل عمران : ١٣٥
(٤) رواه مسلم ج ١ ص ٢٠٩ / ٦ باب الذكر المستحب عقب الوضوء رقم الحديث (٢٣٤) •

وينبغي أن يتحقق الاستغفار بشروط التوبة : الندم على ما فعله ،
والاقلاع عنه ، والعزم على أن لا يعود لمثله • ﴿ ان الله يغفر الذنوب
جميعا ، انه هو الغفور الرحيم ﴾ (١) •



صلاة الضحى

صلاة الضحى سنة وهى ركعتان وأربعاً الى اثنتى عشرة ركعة
ووقتها بعد طلوع الشمس بنصف ساعة الى قبيل الظهر بقليل •

عن معاذة العدوية قالت : سألت عائشة : أكان النبی صلى الله
عليه وسلم يصلى الضحى ؟ قالت : نعم أربعاً ويزيد ما شاء (٢) •

وعن أنس بن مالك قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول : « من صلى الضحى اثنتى عشرة ركعة ، بنى الله له قصراً من ذهب
فى الجنة » (٣) •

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « من حافظ على شفعة الضحى ، غفرت له ذنوبه ، وإن كانت
مثل زبد البحر » (٤) •



تحية المسجد

إذا دخل المصلى مسجداً فإنه يسن له أن يصلى ركعتين بنية تحية
المسجد •

(١) انزمر : ٥٣

(٢) رواه ابن ماجه ج ١ ص ٨٧/٤٣٩ باب ما جاء فى صلاة الضحى
رقم الحديث (١٣٨١) •

(٣) رواه الترمذى وابن ماجه واللفظ له ج ١ ص ١٨٧/٤٣٩ باب
ما جاء فى صلاة الضحى رقم الحديث (١٣٨٠) •

(٤) رواه ابن ماجه ج ١ ص ١٨٧/٤٤٠ رقم الحديث (١٣٨٢) •

عن أبي قتادة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس » (١) .

* * *

صلاة ركعتي الوضوء

عن عقبة بن عامر قال : كانت علينا رعاية الابل . فجاءت فربتني فروحتها بعشى . فأدركت رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما يحدث الناس . فأدركت من قوله : « ما من مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه . ثم يقوم فيصلى ركعتين . مقبل عليهما بقلبه ووجهه . الا وجبت له الجنة » قال فقلت : ما أجود هذه ! فاذا قائل بين يدي يقول : التى قبلها أجود . فنظرت فاذا عمر . قال : انى قد رأيتك جئت آتفا (أى الآن وما سمعت ما قاله قبله) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ - أو يسبغ - الوضوء ثم يقول : أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبد الله ورسوله ، الا فتحت له أبواب الجنة الثمانية ، يدخل من أيها شاء » (٢) .

فيندب أن يصلى المسلم ركعتين عقب الوضوء وكذا الغسل . ويحسن أن يقرأ فيهما « الكافرون » و « الاخلاص » .

* * *

صلاة الخوف

صلاة الخوف أو صلاة الجهاد والمجاهدين كما يطلق عليها أحيانا ، هى الصلاة التى يؤديها المحاربون وقت اشتباكهم مع العدو فى ميدان القتال ، أو وقت تأهب العدو وتحفزه للالتحام معهم ، كما

(١) متفق عليه ، واللفظ لمسلم ج ١ ص ١١/٤٩٥ باب استحباب تحية المسجد بركعتين رقم الحديث (٧١٤) .
(٢) رواه مسلم ج ١ ص ٦/٢٠٩ باب الذكر المستحب عقب الوضوء رقم الحديث (٢٣٤) .

تصلى اذا خاف الناس من حيوان مفترس ، وقد ورد في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ما يدل على أنه صلى الله عليه وسلم قام بهذه الصلاة في بعض غزواته ، وتعلم الصحابة كيفيتها عمليا منه ، كما نزلت آيات الله مبينة نظام هذه الصلاة ، قال الله تعالى : ﴿ واذا كنت فيهم فأقمต لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ﴾ (١) .

كيفيتها : لهذه الصلاة ثلاث حالات لكل حالة منها نظام خاص :

الحالة الأولى : وهي وقت الالتحام في القتال مع العدو بحيث لا يستطيع المسلمون من شدة الاحتدام والاصطدام أن يجتمعوا للصلاة ، فعندئذ يصلى كل واحد منهم كيفما أمكنه أن يصلى ، ولو بالأيما ، مستقبلا القبلة أو غير مستقبل لها ، مترجلا أو راكبا حصانه أو دبابته أو طائرته . لقول ابن عمر : « فاذا كان خوف أكثر من ذلك فصل راكبا ، أو قائما . تومىء أيما » (٢) .

الحالة الثانية : أن يكون ميدان القتال هادئا ، وانما العدو واقف متربص جهة القبلة ، ففي هذه الحالة :

عن جابر قال : غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما من جهينة ، فقاتلونا قتالا شديدا . فلما صلينا الظهر قال المشركون : لو ملنا عليهم ميلة لاقتطعناهم .

فأخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك . فذكر ذلك لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : وقالوا : انه ستأتيهم صلاة هي أحب اليهم من الأولاد . فلما حضرت العصر ، قال : صفنا صفين . والمشركون بيننا وبين القبلة . قال : فكبر رسول الله صلى الله عليه

(١) النساء : ١٠٢

(٢) رواه مسلم ج ١ ص ٥٧٤/٥٧ باب صلاة الخوف رقم الحديث

(٣٠٦) .

وسلم وكبرنا • وركع فركعنا • ثم سجد وسجد معه الصف الأول • فلما قاموا سجد الصف الثاني • ثم تأخر الصف الأول وتقدم الصف الثاني • فقاموا مقام الأول • فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكبرنا • وركع فركعنا ، ثم سجد وسجد معه الصف الأول وقام الثاني • فلما سجد الصف الثاني ، ثم جلسوا جميعا ، سلم عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم » (١) •

الحالة الثالثة : أن يكون ميدان القتال هادئا كما في الحالة الثانية والعدو متأهب متربص ، ولكنه لا يقف جهة القبلة هذه المرة ، بل في جهة أخرى :

عن ابن عمر رضى الله عنهما ، قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف في بعض أيامه • فقامت طائفة معه وطائفة بازاء العدو • فصلى بالذين معه ركعة ثم ذهبوا • وجاء الآخرون فصلى بهم ركعة • ثم قضت الطائفتان ركعة ركعة (٢) •

* * *

سجود السهو

ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم نسي في صلاته أكثر من مرة بزيادة أحيانا وبنقصان تداركه أحيانا ثم سجد للسهو ، وعلم أصحابه كيف يفعلون اذا حصل لأحدهم نسيان في الصلاة ، فقال : « انما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون • فاذا نسي أحدكم فليسجد سجدة » (٣) •

-
- (١) رواه مسلم ج ١ ص ٥٧٥/٥٧ باب صلاة الخوف رقم الحديث (٣٠٨) •
(٢) رواه مسلم ج ١ ص ٥٧٤/٥٧ باب صلاة الخوف رقم الحديث (٣٠٦) •
(٣) رواه مسلم ج ١ ص ١٩٠/١٩١ باب السهو في الصلاة والسجود له رقم الحديث (٩٢) •

وعن أبي هريرة رضى الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إنه الشيطان يدخل بين ابن آدم وبين نفسه • فلا يدري كم صلى • فإذا وجد ذلك فليسجد سجدةً قبل أن يسلم » (١) •

ويجوز سجود السهو قبل السلام ، كما يجوز بعده باتفاق •
وسجود السهو يكون من زيادة فى الصلاة أو من نقص منها ، أو من شك فى الزيادة والنقصان •

عن عبد الرحمن بن عوف قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إذا شك أحدكم فى الثنتين والواحدة ، فليجعلها واحدة ، وإذا شك فى الثنتين والثلاث فليجعلها ثنتين • وإذا شك فى الثلاث والأربع فليجعلها ثلاثا • ثم ليتم ما بقى من صلاته حتى يكون الوهم فى الزيادة ثم يسجد سجدةً وهو جالس قبل أن يسلم » (٢) •

* * *

سجود التلاوة

يستحب لمن قرأ آية سجدة أو سمعها أن يسجد سجود التلاوة وذلك بأن يكبر ويسجد سجدة كسجدة الصلاة يقول فيها : « سبحان ربى الأعلى » •

ومواقع سجود التلاوة فى القرآن الكريم هى «أربعة عشر آية» :

١ - سورة الأعراف - الآية الأخيرة : ﴿ ان الذين عند ربك

لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون ﴾ (٣) •

٢ - سورة الرعد - الآية : ﴿ والله يسجد من فى السموات والأرض

طوعا وكرها ﴾ (٤) •

(١) رواه ابن ماجه ج ١ ص ١٣٥/٣٨٤ باب ما جاء فى سجدة السهو رقم الحديث (١٢١٧) •

(٢) رواه ابن ماجه ج ١ ص ١٣٢/٣٨١ باب من شك فى صلاته رقم الحديث (١٢٠٩) •

(٤) الرعد : ١٥

(٣) الأعراف ٢٠٦

٣ — سورة النحل — الآية : ﴿ ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون ﴾ (١) .

٤ — سورة الاسراء : ﴿ قل آمنوا به أو لا تؤمنوا ، ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا . ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا . ويخرون للأذقان يكون ويزيدهم خشوعا ﴾ (٢)

٥ — سورة مريم : ﴿ ... اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا ﴾ (٣) .

٦ — آيتان في سورة الحج : ﴿ ألم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس ، وكثير حق عليه العذاب ، ومن يهن الله فما له من مكرم ، ان الله يفعل ما يشاء ﴾ (٤) .

٧ — الآية : ﴿ يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون ﴾ (٥) .

٨ — الفرقان : ﴿ واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن انسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا ﴾ (٦) .

٩ — النمل : ﴿ الا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون . الله لا اله الا هو رب العرش العظيم ﴾ (٧) .

١٠ — السجدة : ﴿ انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون ﴾ (٨) .

(١) النحل : ٤٩	(٢) الاسراء : ١٠٧ — ١٠٩
(٣) مريم : ٥٨	(٤) الحج : ١٨
(٥) الحج : ٧٧	(٦) الفرقان : ٦٠
(٧) النمل : ٢٥ ، ٢٦	(٨) السجدة : ١٥

١١ - فصلت - الآية : ﴿ ... لا تسجدوا للشمس ولا للقمر

واسجدوا لله الذى خلقهن ان كنتم اياه تعبدون ﴾ (١) .

١٢ - النجم : ﴿ افمن هذا الحديث تعجبون . وتضحكون

ولا تبكون . وانتم سامدون . فاسجدوا لله واعبدوا ﴾ (٢) .

١٣ - الانشقاق - الآية : ﴿ واذا قرىء عليهم القرآن

لا يسجدون ﴾ (٣) .

١٤ - العلق - الآية : ﴿ كلا لا تطعه واسجد واقترب ﴾ (٤) .

● كيفيتها :

١ - اذا تليت فى الصلاة يسجد سجدة واحدة عقب تلاوتها فورا
ثم يقوم المصلى قائما ويكمل تلاوته للسورة ويكمل صلاته بعد
ذلك عاديا .

٢ - أما اذا كانت خارج الصلاة ، فيمكن أن يسجد المصلى لها
فورا عقب تلاوة آية السجدة ثم يكمل بعد ذلك قراءته القرآنية وفى
هذه الحالة يمكن أن يسجد وهو فى وضعه (٥) .

سجدة الشكر

هى سجدة واحدة كسجود التلاوة عند تجدد نعمة أو اندفاع
نقمة ، ولا تكون الا خارج الصلاة . وهى مستحبة .

عن أبى بكر ، أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا أتاه أمر
يسره أو يسره به ، خر ساجدا ، شكرا لله تبارك وتعالى (٦) .

(١) فصلت : ٣٧

(٢) النجم : ٥٩ - ٦٢

(٣) الانشقاق : ٢١

(٤) العلق : ١٩

(٥) أنظر : الصعود الى الايمان - محمد العشيرى ، ص ١٩٩

(٦) رواه ابن ماجه ج ١ ص ١٩٢/٤٤٦ باب ما جاء فى الصلاة

والسجدة عند الشكر رقم الحديث (١٣٩٤) .

قضاء الصلاة الفائتة

يجب أداء الصلاة المفروضة في أوقاتها ، فمن أخرها عن وقتها بغير عذر كان آثما اثما عظيما ، أما من أخرها لعذر فلا اثم عليه ، وقارة يكون العذر مسقطا للصلاة رأسا ، وتارة يكون غير مسقط بحيث يجب على من فاتته صلاة لعذر أن يقضيها عند زوال العذر واليك بيان الأعدار •

— تسقط الصلاة رأسا عن الحائض والنفساء ، فلا يجب عليهما قضاء ما فاتهما أثناء الحيض والنفس بعد زوالهما ، وكذلك تسقط عن المجنون والمغمى عليه ، والمرتد اذا رجع للإسلام ، فهو كالكافر الأصلي لا يجب عليه قضاء ما فاتته من الصلاة •

ذهب جمهور أئمة أهل العلم من السلف والخلف رضى الله عنهم الى أن من ترك صلاة مفروضة عمدا لزمه قضاؤها ، كما يلزم من فاتته لسيان أو نوم ، فكلهم مكلفون بالقضاء •

واستدلوا على ذلك بما فى الصحيحين عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من نسى صلاة أو قام عنها فكفارتها أن يصلحها اذا ذكرها » (١) •

— يجب على من فاتته صلوات قليلة ، خمس صلوات وما دونها ، وأراد أنه يقضيها ، فيجب عليه أن يرتب بين الفائتة والوقتية ، فيقدم الفائتة أو الفوائت على الوقتية لوجوبها فى الذمة قبلا •

● متى يسقط الترتيب ؟

يسقط الترتيب فى حالات :

١ — اذا بلغت الفوائت ستا أو أكثر ، دفعا للخرج •

(١) رواه البخارى ومسلم ، واللفظ لمسلم ج ١ ص ٤٧٧/٥٥ باب قضاء الصلاة الفائتة رقم الحديث (٣١٥) •

٢ - خوف فوت الصلاة الوقتية ، بأن كان ما بقى من الوقت لا يزيد عن أداء صلاة واحدة ، فيؤخر الفائتة لأنها تؤدي قضاء على أى حال ، ويصلى الوقتية حتى لا يقع فى اثم تأخير الصلاة ♦

٣ - نسيان الفائتة ، لأنه لا يقدر أن يأتى بالفائتة مع نسيانها :
﴿ ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا ﴾ (١) ♦

* * *

مراجع الفصل الاول

- ١ - القرآن الكريم •
- ٢ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - محمد فؤاد عبد الباقي •
- ٣ - صحيح البخارى - محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة البخارى •
- ٤ - صحيح مسلم - الامام أبى الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابورى •
- ٥ - سنن الترمذى وهو الجامع الصحيح - أبى عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى •
- ٦ - سنن أبى داود - أبى داود سليمان بن الأشعث السجستاني •
- ٧ - سنن النسائى - أحمد بن شعيب بن على بن دينار النسائى •
- ٨ - مسند الامام أحمد بن حنبل •
- ٩ - سنن ابن ماجه - الحافظ أبى عبد الله بن يزيد القزوينى ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي •
- ١٠ - سنن الدارمى - عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمى •
- ١١ - الفقه على المذاهب الأربعة - عبد الرحمن الجزيرى •
- ١٢ - المستدرک على الصحيحين - الحاكم النيسابورى •
- ١٣ - السنن الكبرى - البيهقى •
- ١٤ - العبادة فى الاسلام - يوسف القرضاوى •
- ١٥ - الطريق الى الاسلام - أحمد صالح محاييرى •

- ١٦ — فقه العبادات — عبد الله شحاته •
- ١٧ — الترغيب والترهيب — للمنذرى •
- ١٨ — الاسلام عقيدة وشريعة — محمود شلتوت •
- ١٩ — الصلاة — محمد اسماعيل ابراهيم •
- ٢٠ — خلاصة الكلام فى أركان الاسلام — على فكرى •
- ٢١ — أركان الاسلام : الصلاة — أحمد عبد الجواد الدومى •
- ٢٢ — ثلاث رسائل فى الصلاة — عبد العزيز بن باز •
- ٢٣ — الصعود الى الايمان — محمد العشيرى •
- ٢٤ — تعليم الصلاة — محمد محمود الصواف •

* * *

الفصل الثاني

بر الوالدین ..

● مقدمة في بر الوالدین :

قال النووي في المنهاج : قال العلماء : البر يكون بمعنى الصلة وبمعنى اللطف والمبرة وحسن الصحبة والعشرة وبمعنى الطاعة ، وهذه الأمور هي مجامع حسن الخلق • وقال ابن الأثير في النهاية : البر بالكسر - الاحسان وهو في حق الوالدین وحق الأقربين من الأهل ضد العقوق وهو الاساءة اليهم والتضييع لحقهم يقال : بر يبر فهو بار وجمعه بررة ، وجمع البر : أبرار •

وقال ابن قرقول في المطالع : البر اسم جامع للخير ، وبر الأبوين كله من الصلة وفعل الخير والتوسع فيه واللطف والطاعة •

والبر في استعمال الشرع كلمة جامعة لكل أصناف الخير ويراد منه ما زاد على حدود التقوى ، فهو مرقية فوق التقوى ودون مرتبة الاحسان •

وبر الوالدین : هو الاحسان اليهما ، والقيام بحقوقهما ، وتكريمهما ، والتزام طاعتهما في غير معصية لله تعالى ، واجتناب كل ما فيه اساءة لهما ، وفعل ما يرضيهما ، فمن قام بهذا استحق رضا الله تعالى ، ومعوته وتوفيقه ••



بسر الوالدين

ان عطف الوالدين على الولد من أبرز صور الرحمة ، وهى تفرض على الولد أن يقابل رحمة والديه له بأن يرحمهما ، فيخفض لهما جناح الذل من الرحمة ، ويدعو لهما بالمغفرة رحمة بهما .

ان رحمة الوالدين بأولادهما ، عطاء بلا حدود ، عطاء لا يلاحظ فيه تقرب العوض ، وفطرة فطر الله خلقه عليها ، ولذلك كان بر الوالدين من أعظم واجبات الصلة الاجتماعية ، ولذلك كان حقوق الوالدين مقاربا لدرجة الشرك بالله ، وكان الأمر بالاحسان للوالدين عقب الأمر بعبادة الله والنهى عن الاشراك به (١) .

* * *

● الاحسان للوالدين فى القرآن :

١ - قال الله تعالى فى سورة « النساء » :

﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم ، ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا ﴾ (٢) .

ففى هذا النص نلاحظ أن الله تبارك وتعالى يأمر بعبادته ، وينهى عن الاشراك به ، ويتبع ذلك بالأمر بالاحسان للوالدين ، ثم يأمر بوجوب الاحسان لأصناف من الناس تستدعى أحوالهم الاجتماعية ، أو قراباتهم ، أو قرب الصلة بهم فى المسكن أو فى الصحبة ، زيادة الاحسان اليهم والشفقة عليهم والرحمة بهم .

ان هذه الآية من الآيات الكريمة التى توجه لواجبات الصلات الاجتماعية ، التى تعتبر الرحمة من أعظم دوافعها فى أعماق النفس الانسانية .

٢ - وقال تعالى فى سورة (العنكبوت) :

﴿ ووصينا الانسان بوالديه حسنا ، وان جاهداك لتشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما ، الى مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون ﴾ (٣) .

(١) انظر : الاخلاق الاسلامية واسسها - عبد الرحمن حسن حبنكة الميدانى ، ص ١٨

(٢) النساء : ٣٦

(٣) العنكبوت : ٨

ففى هذه الآية يأمر الله تبارك وتعالى بالاحسان الى الوالدين ، والطاعة فى غير معصية الله ، اذ طاعة الله ورسوله تقع فى الدرجة الأولى ، ثم يأتى من بعدها الاحسان الى الوالدين •

٣ - وقال الله تعالى فى سورة « لقمان » :

﴿ ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا على وهن وفصاله فى عامين ان اشكر لى ولوالديك الى المصير • وان جاهداك على ان تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفًا ، واتبع سبيل من اناب الى ، ثم الى مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون ﴾ (١) •

فى هذا النص يوصى الله الانسان بالاحسان لوالديه ، مبينا على وجه الخصوص مبلغ متاعب الأم بولدها ، اشعارا بمبلغ استحقاقها للاحسان والرعاية ، شكرا لها على ما قدمت من عطاء دفعت اليه دوافع الرحمة •

وفى قوله تعالى : ﴿ حملته امه وهنا على وهن ﴾ صورة رائعة ودقيقة جدا لمبلغ المتاعب التى تتحملها الأم فى حمل جنينها ، والتى تستوجب على الولد أن يشكر لها •

وفى قوله تعالى : ﴿ وفصاله فى عامين ﴾ اشارة الى مدة الرضاع التى تكون فيها متاعب ارضاع الطفل وتربيته متاعب جمة ، وهى فى الغالب تتحملها الأم • وقد يشارك فيها الأب وهذا يستوجب الشكر •

ولما كانت العناية الربانية هى المهيمنة على الانسان منذ نشأته ، والمسايرة له مدى وجوده ، كان من حقه على عباده أن يشكروه •

ولذلك قال الله تعالى فى النص : ﴿ ان اشكر لى ولوالديك

الى المصير ﴾

وأكد الله فى هذا النص ما جاء فى آية « العنكبوت » السابقة مع بعض زيادات فى الدلالات •

(١) لقمان : ١٤ ، ١٥

ففى آية « العنكبوت » : ﴿ ووصينا الانسان بوالديه حسنا ﴾ وهذا يتضمن مجرد الوصية بالاحسان للوالدين •

أما ما جاء فى سورة « لقمان » ففیه الأمر بالشكر لهما ، بعد التنبيه على متاعبهما ، وجعل هذا الأمر مقرونا بالأمر بالشكر لله : ﴿ ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين ان أشكر لى ووالديك الى المصير ﴾ •

ففى هذه الآية تكليف زائد على مجرد الوصية ، وبيان لموجب هذا التكليف •

وفى آية « العنكبوت » : ﴿ وان جاهدك لتشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما ﴾ •

أما فى « لقمان » فالنص كما يلى : ﴿ وان جاهدك على ان تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروف ، واتبع سبيل من اناب الى ﴾ •

والفرق بينهما أن آية العنكبوت تضمنت أن مجاهدة الوالدين فى الدعوة الى الشرك بالله مجاهدة من مستوى السعى غير الملزم ، ولذلك كان التعبير : ﴿ وان جاهدك لتشرك ﴾ أى سعيا لأجل أن تشرك • بخلاف آية لقمان فقد تضمنت أن مجاهدتهما مجاهدة من مستوى الالتزام والایجاب ، ولذلك جاءت التعدية فى التعبير بحرف « على » : ﴿ وان جاهدك على ان تشرك ﴾ أى : حرصا على أن تشرك ، وهنا كان لا بد من تحديد موقف الولد بوضوح بعد نهيه عن طاعتهم فى هذا الأمر ، وهذا الموقف يتلخص بعنصرين :

الأول : مصاحبتهم فى الدنيا بالمعروف ﴿ وصاحبهما فى الدنيا معروف ﴾ •

الثانى : اتباع سبيل من اناب الى الله ، وهو سبيل المؤمنين ﴿ واتبع سبيل من اناب الى ﴾

ومن كل النصوص نستخلص أن الاحسان للوالدين يجب أن لا يكون على حساب حق الله على عباده . ان مبدأ الاحسان للوالدين مبدأ ثابت ولو كان الوالدان كافرين ؛ ولكن هذا المبدأ لا يصح بحال من الأحوال أن يطغى على مبدأ وجوب الايمان بالله والتزام طاعته واتباع شريعته لعباده .

ومن واجب الولد أن يصاحب والديه الكافرين فى الدنيا مصاحبة بالمعروف ، أى : بما هو معروف بين الناس من أصول الاحسان فى المصاحبة ، وحين يطلبان منه أن يعصى الله فى شىء لم يكن لهما عليه حق الطاعة ، ولم يجر له أن يطيعهما فى ذلك ، اذ لا طاعة لمخلوق مهما كان شأنه فى معصية الخالق جل وعلا ، ان حق الله على عباده أعظم وأجل من أى حق .

٤/ - وقال الله تعالى فى سورة « الاسراء » :

﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا ، اما يبلغن عندك الكبر احدهما أو كلاهما فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ﴾ (١) .

(النهر : هو النهى الشديد مع الزجر) .

فى هذا النص يأتى النهى عن عبادة غير الله ، والأمر بالاحسان للوالدين مقترنين ، وفى هذا اشارة الى الأهمية البالغة لواجب بر الوالدين والاحسان اليهما ، اذ توحيد الله أصل وأساس وقاعدة الشريعة وأعظمها ، فاذا جاء الأمر ببر الوالدين مقرونا به دل ذلك على مبلغ اهتمام الاسلام بهذا الواجب . وفى قوله تعالى : ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا ﴾ قوة فى الالتزام بهذين الواجبين ، اذ جاء التعبير عن هذا التكليف بعبارة « قضى » ومعلوم

(١) الاسراء : ٢٣ ، ٢٤

أن القضاء اذا كان فى مجال التكوين كان لا بد من وقوعه حتما ، فلما جاء فى مجال التكليف دل على شدة الزام المكلفين به ، الى أقصى حد .

وفى هذا النص اهتمام بحالة الأبوين حينما يبلغان مبلغ الكبر والعجز ، اذ يؤكد فريضة الاحسان اليهما فى هذه الحالة ، ومن الاحسان اليهما تكريم مقامهما ، وعدم التضجر من أفعالهما مهما كانت مثيرة للتضجر ، وعدم مواجهتهما بما يؤذيها من القول ، حتى ولا بكلمة « أف » علما بأن الانسان متى كبرت سنه وبلغ مبلغ العجز كثرت مطالبه ، وضاق صدره ، وكثرت مداخلاته فى كل صغيرة وكبيرة ، ومنهم من يرد الى أرذل العمر ، ومع ذلك فالولد مطالب شرعا بأن يقول لكل من والديه مهما كانت حالهما قولاً كريماً ، وبأن لا يواجههما بأى قول يؤذيها ، وأدنى ذلك كلمة « أف » التى تشعر بالتضجر .

ويكاد الانسان لا يفى والديه حقهما عليه مهما أحسن اليهما :
لأنهما كانا يحسانان اليه حينما كان صغيراً وهما يتمنيان له كل خير ، ويخشيان عليه من كل سوء ، ويسألان الله له السلامة وطول العمر ، ويهون عليهما من أجله كل بذل مهما عظم ، ويسهران على راحته دون أن يشعر بأى تضجر من مطالبه ، ويحزنان عليه اذا آلمه أى شئ ، أما الولد فاذا قام بما يجب عليه من الاحسان لوالديه فإن مشاعره النفسية نحوهما لا تصل الى مثل مشاعر أنفسهما التى كانت نحوه ، ولا تصل الى مثل مشاعره هو نحو أولاده الا فى حالات نادرة جداً . وفى قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفْ وَلَا تَنْهَرَهُمَا ﴾ بتقديم النهى عن الأمر الأخف على النهى عن الأمر الأشد وهو النهى ، وكان الظاهر يقتضى العكس بتقديم النهى عن نهركما على مواجهتهما بكلمة « أف » ، فى هذا جرى عن سنن العرب فى كلامهم ، اذ يقدمون الأقل على الأكثر ، والأخف على الأشد ، والمفضول على الأفضل ، فهم يقولون : لم يترك قليلاً ولا كثيراً ، مع أن من لم يترك القليل

لم يترك الكثير من باب أولى ، وهذا ينسجم مع طبيعة العربي الذي يتدرج من الأدنى الى تصوره فالأدنى ، فالبعيد فالأبعد .

وفى قوله تعالى : ﴿ واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ﴾ رائعة بيانية عجيبة ، فالله تبارك وتعالى يأمر الولد بأن يخضع لوالديه ، ويلين لهما ليناً ناشئاً عن خلق الرحمة المتغلغل في قلبه ، ويتذلل لهما تذلل الراحم لا تذلل الضعيف المهين ، فيشبه الرحمة بالطائر ، ويجعل لهذا الطائر - طائر الرحمة الخيالي - عدة أجنحة ، وأحد هذه الأجنحة يسمى جناح الذل ، واذ يصل القرآن الى هذه الصورة الخيالية الحلوة ، يأمر الانسان بأن يخفض جناح الذل هذا لوالديه .

ويعنى خفض هذا الجناح تقديم كل صور العطف والاحسان والتكريم العملية ، التي يستطيع أن يقوم بها رحمة بوالديه ، من خدمة ومساعدة ، وعطاء وتكريم واحترام ، وسهر ، وصبر ، وبذل وتضحية ، وتواضع وتذلل وتحجب ، فكل ذلك من خفض جناح الذل . وهذه الرائعة البيانية هي من قبيل الاستعارة التخيلية ، لأن المشبه وهو الطائر قد حذف ورمز اليه في الاستعارة ببعض خواصه وهو الجناح ، ومعلوم أن الاستعارة من روائع الأساليب البيانية ، وتبدو نافعة جداً حينما تقرب الحقائق الفكرية والمعاني النظرية ، اذ تجعلها في صورة تدرك في التصور الحسى ، وكذلك حينما تزينها فتعطي من الأثر ما لا تعطيه المعاني الفكرية المجردة .

فبقوله تعالى : ﴿ واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ﴾ يحمل من الأثر في أنفس السامعين ما لا يحمله قول آخر ، كقولنا : واخضع لهما وارحمهما ، أو نحو ذلك .

وفى ختام النص يأمر الله الولد بأن يدعو لوالديه بالرحمة ، وذلك بقوله : ﴿ وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ﴾ وهذا الدعاء وفاء من الولد لوالديه في حال غيابهما .

٥ - وقال الله تعالى فى سورة « الأحقاف » :

﴿ ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا ، حملته أمه كرها ووضعته كرها ، وحمله وفصاله ثلاثون شهرا ، حتى اذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لى فى ذرىتى ، انى تبت اليك وانى أول المسلمين ﴾ (١)

(فصالة : فظامه) •

فأبان هذا النص ما تتعرض له الأم من متاعب الحمل والوضع وأشار الى متاعب الرضاع •

ووصف المؤمن البار بأنه يسأل الله أن يوفقه الآن يشكر نعمة الله عليه وعلى والديه ، وأن يعمل صالحا يرضيه تعالى ، وأن يصلح له فى ذريته •

٦ - وأبان الله تعالى أن بر الوالدين والاحسان اليهما شريعة من شرائع الله فى الأديان السالفة التى أنزلها على رسله السابقين فقال تعالى فى سورة « البقرة » :

﴿ واذا أخذنا ميثاق بنى اسرائيل لا تعبدون الا الله وبوالدين احسانا ... ﴾ (٢) •

وأثنى الله على يحيى عليه السلام بأنه كان برا بوالديه ، فقال تعالى فى سورة « مريم » : ﴿ وكان تقيا • وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا ﴾ (٣) •

وحدث عيسى عن نفسه وهو فى المهد طفل بأنه بر بوالدته ، حكى الله عنه ذلك بقوله تعالى فى سورة « مريم » : ﴿ قال انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا • وجعلنى مباركا اين ما كنت واوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا • وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا ﴾ (٤) •

(١) الأحقاف : ١٥ (٢) البقرة : ٨٣
(٣) مريم : ١٣ ، ١٤ (٤) مريم : ٣٠ - ٣٢

٧ - وقال الله تعالى في سورة « الأنعام » :

﴿ قل تعالوا آتِل ما حرم ربكم عليكم ، ألا تشركوا به شيئاً ، وبالوالدين احساناً ... ﴾ (١) .

فدلت جملة النصوص القرآنية على أن الأمر بالاحسان للوالدين مما وصى الله به الانسان ، وهذا يدل على أن هذا الأمر شريعة ربانية منذ أول الشرائع التي أنزلها الله للناس ، وأن الله أخذ الميثاق على بنى اسرائيل بالمحافظة على هذا الواجب وجعله مقارناً لأخذ الميثاق عليهم بأن لا يشركوا بالله شيئاً « (٢) » .

* * *

● بر الوالدين والاحسان اليهما في السنة :

١ - عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ، قال : سألت النبي صلى الله عليه وسلم : أى العمل أحب الى الله ؟ قال : « الصلاة على وقتها » قلت : ثم أى ؟ قال : « بر الوالدين » قلت : ثم أى ؟ قال : « الجهاد فى سبيل الله » (٣) .

فبدأ الرسول صلوات الله عليه فى هذا الحديث بحق الله على عباده ، وهو أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، والصلاة على وقتها هى أهم أركان العبادة فى الاسلام . ثم ذكر بر الوالدين ، وقد اتبع الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذا ما جاء فى النصوص القرآنية التى سبق الاستشهاد بها . ثم ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم الجهاد فى سبيل الله ، لأن ركن الجهاد من أهم الأركان التى يرتبط بها نشر الدين واعلاء كلمة الله واقامة الحق والعدل .

(١) الأنعام : ١٥١

(٢) انظر : الأخلاق الاسلامية وأسسها - عبد الرحمن الميدانى ج ٢

ص ١٨ - ٢٤

(٣) رواه البخارى ومسلم ، واللفظ للبخارى ج ٢ ص ٧ ، ٨ فى

مواقيت الصلاة - باب فضل الصلاة لوقتها .

٣ - عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال رجل : يا رسول الله ، من أحق الناس بحسن صحابتي ؟ قال رسول الله : « أمك » . قال الرجل : ثم من ؟ قال رسول الله : « أمك » . قال الرجل : ثم من ؟ قال رسول الله : « أمك » قال الرجل : ثم من ؟ قال رسول الله : « أبوك »^(١) . فجعل الرسول صلى الله عليه وسلم ثلاثة حقوق كاملة للأم وللأب حق واحد . وقد يقال : ان تكرير حق الأم لتأكيد الاهتمام بضرورة القيام بحقها نظرا الى ضعفها ، لا لبيان مقدار حقها بالنسبة الى حق الأب .

٣ - عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما ، قال : أقبل رجل الى نبي الله صلى الله عليه وسلم : فقال : أبايعك على الهجرة والجهاد ، أبتغي الأجر من الله تعالى ، فقال : « فهل من والديك أحد حى » ؟ قال : نعم . بل كلاهما . قال : « فتبتغي الأجر من الله » ؟ قال : نعم . قال : « فارجع الى والديك فأحسن صحبتهما »^(٢) . وعن عبد الله بن عمرو يقول : جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم يستأذنه فى الجهاد . فقال : « أحي والداك » ؟ قال : نعم . قال : « ففهما فجاهد »^(٣) .

وهكذا تتعاضد التوجيهات النبوية على ترجيح بر الوالدين والقيام بخدمتهما على الغزو فى سبيل الله فى حالات خاصة ، وهى الحالات التى تكون حاجات الوالدين فيها حاجات ملحة ، ويكون الغزو والقتال فى سبيل الله من الأمور المندوبة ، لا من الواجبات العينية على الشخص الذى تعارض عنده الأمران .

٤ - عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ، أن النبي

(١) رواه مسلم ج ٤ ص ١٩٧٤/٥ كتاب البر والصلة والآداب رقم الحديث (٢٥٤٨) .

(٢) رواه مسلم ج ٤ ص ١٩٧٥/٥ كتاب البر والصلة والآداب .

(٣) نفس المرجع والصفحة .

صلى الله عليه وسلم قال : « ان من أبر البر صلة الرجل أهل ود
أييه ، بعد أن يولى »^(١) أى بعد وفاته .

ان هذا الحديث يبرز رائعة من روائع المفاهيم الاسلامية فى ميادين
السلوك الخلقى ، فبر الوالدين لا يقتصر على الاحسان المباشر اليهما ،
بل هو يتعدى الى الاحسان الى كل من يسرها الاحسان اليه .
وفى هذا استبقاء لروابط المودة التى كانت بين الأب وأهل
وده ، واقتبالها الى أولاده .

٥ - عن أبى بكره ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« ما من ذنب أجدر أن يعجل الله تعالى لصاحبه العقوبة فى الدنيا مع
ما يدخر له فى الآخرة مثل البغى وقطيعة الرحم »^(٢) .
ومما لا ريب فيه أن أقرب الرحم للانسان والداه .

٦ - عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم : « من سره أن يمد له فى عمره ، ويزاد له فى رزقه ،
فليبر والديه وليصل رحمه »^(٣) .

الله الذى بيده ملكوت كل شيء جعل لكل شيء سببا ، وربط
الأسباب بالمسببات مثال ذلك : أنه جعل الاستغفار سببا فى نزول
المطر وزيادة الرزق والولد . كما جعل بر الوالدين سببا فى طول
العمر وزيادة الرزق ، حسبما صرح بذلك الحديث الشريف ، وهذا
ان دل على شيء فانما يدل على فضل بر الوالدين .

٧ - حدثنا عبد الرحمن بن أبى بكره ، عن أييه ، قال : كنا عند

(١) رواه مسلم ج ٤ ص ١٩٧٩/٤ باب فضل صلة أصدقاء الأب
والأم ونحوهما .

(٢) رواه الترمذى ج ٥ ص ٢٠٨/٥ كتاب الأدب - باب فى النهى
عن البغى رقم الحديث (٤٩٠٢) .

(٣) رواه مسلم ج ٤ ص ١٩٨٢/٦ كتاب البر - باب صلة الرحم
رقم الحديث (٢٥٥٧) .

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر » ؟
(ثلاثا) : الإشراف بالله ، وعقوق الوالدين . وشهادة الزور «
— أو « قول الزور » — فما زال يكررها حتى قلنا : ليته سكت (١) .

٨٨ — عن أبي أسيد مالك بن ربيعة الساعدي رضى الله عنه قال :
بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاء رجل من
بنى سلمة فقال : يا رسول الله ، هل بقى من بر أبوى شيء أبرهما به
بعد موتهما ؟ قال : « نعم » . الصلاة عليهما ، والاستغفار لهما ، وإنفاذ
عهدهما من بعدهما ، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما ، وإكرام
صديقهما . . . » (٢) .

(المعنى : جاء رجل من الأنصار من بنى سلمة يسأل النبي عليه
الصلاة والسلام هل بقى عليه من بر والديه شيء بعد موتهما ؟
فأجابه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : « نعم » بقى عليك من
بر والديك خمسة أمور :

الأول : الدعاء لهما بالرحمة عملا بقوله تعالى : ﴿ وقل رب ارحمهما
كما ربياني صغيرا ﴾ (٣) .

الثاني : طلب المغفرة لذنوبهما من الله عز وجل .
الثالث : إنفاذ عهدهما ، والمراد إنجازه ، والوفاء به .
الرابع : صلة الرحم التي لها صلة قرابة بالوالدين .
الخامس : إكرام صديقهما ، بمعنى أن الإنسان يجب من كان يحبه
والله ، ويقوم لهم بمثل ما كانا يقومان به من الإكرام ونحوه) .

(١) رواه مسلم ج ١ ص ٣٨/٩١ باب بيان الكبائر وأكبرها —
رقم الحديث (٨٧) .
(٢) رواه الترمذي ج ٥ ص ١٢٩/٣٥٢ باب في بر الوالدين — رقم
الحديث (٥١٤٢) .
(٣) الأسراء : ٢٤

واعلم أخى المسلم أن بر الوالدين واجب حتى ولو كانا على غير الدين الإسلامى •

٩ - عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنها قالت : قدمت على أمى وهى مشركة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله ، قدمت على أمى وهى راغبة ، أفأصل أمى ؟ قال : « نعم صلى أمك » (١) •

إن منهج الإسلام من أسمى المناهج التى قدمت لاصلاح المجتمعات منذ بدء التاريخ بل الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، لأنه منهج الله العزيز الحكيم •

١٠ - عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من الكبائر شتم الرجل والديه » قالوا : يا رسول الله ، وهل يشتم الرجل والديه ؟ قال : « نعم » • يسب أب الرجل فيسب أباه • ويسب أمه ، فيسب أمه » (٢) •

١١ - عن البراء بن عازب ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الخاله بمنزلة الأم » (٣) •

وجاء أيضا فى كلام الرسول صلى الله عليه وسلم أن « عم الرجل صنو أبيه » •

فدلت النصوص على أن حق الوالدين قائم ولو كانا كافرين ، فعلى الولد أن يحسن صحبتها ، دون أن يطيعهما فى معصية الله عز وجل ، فطاعة الله لا تقدم عليها طاعة لأحد مهما كان ذا حق •

وحيثما يكون الوالدان بحاجة الى مساعدة واحسان ، ومعوثة

(١) رواه مسلم ج ٢ ص ١٤/٦٩٦ باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين - رقم الحديث (٥٠) •

(٢) رواه مسلم ج ١ ص ٣٨/٩٢ باب بيان الكبائر وأكبرها - رقم الحديث (٩٠) •

(٣) رواه الترمذى ج ٢ ص ٧١٠ - رقم الحديث (٢٢٨٠) •

وخدمة ، لا سيما فى كبرهما وعجزهما ، فان خلق الرحمة يفرض الاحسان اليهما ، فكيف وهما أقرب الناس اليه ، ولهما عليه حق التربية والخدمة والعطاء ، وسوابق الفضل الجسيم ، والوالدان حينما يكبران ويصيبهما ما يصيب الانسان فى شيخوخته من عجز وضيق صدر وتدخل فى الصغائر من الأمور ، حتى يردان الى أرذل العمر ، فانهما يحتاجان الى من يصبر عليهما ، ومن أولى بالصبر عليهما من ولدهما ؟

وبر الوالدين والاحسان اليهما ومصاحبتهما بالمعروف تتطلب بذلا ، ورحمة وحنانا ، وخدمة ، ومخالفة الأهواء النفس ، وصبرا وتسامحا ، وتغاضيا ، وطاعة فى المعروف ، وكل ذلك يحتاج الى مخزون جم من جملة من فضائل الأخلاق .

ومن عظيم فضل الله أنه تعالى جعل لمن يقوم بواجب الشكر لوالديه أن يدخله الجنة ويكفر عنه من سيئاته اذا كان من أهل الايمان . فمن تهيأت له فرصة خدمة والديه أو أحدهما ، والاحسان اليهما وبرهما وهما كيران عاجزان عن القيام بخدمة أنفسهما ، فقوت على نفسه هذه الفرصة الذهبية العظيمة ، فلم يبرهما ، فهو لا شك خائب خاسر . لقد أتته سوق التجارة الرابعة فلم يظفر بها ، وهبت عليه رياح المغانم العظيمة فلم يغتنمها . وأبان الرسول صلى الله عليه وسلم أن من الكبائر أن يتسبب الانسان بشتى والديه أو أحدهما . وأن من أبر البر أن يصل الانسان أهل ود أبيه بعد موته ، وكذلك أهل ود أمه قياسا ، وأن من البر بالوالدين أن يصل الولد الرحم التى لا توصل الا بهما ، وأنه من البر اكرام صديقيهما^(١) .

(١) انظر الاخلاق الاسلامية وأسسها - عبد الرحمن الميدانى ج ٢
ص ٢٤ - ٣٠

في ثمرة بر الوالدين

(١) قصة اصحاب الغار الثلاثة :

من ثمرات بر الوالدين استجابة الدعاء ، ومن أمثلة ذلك قصة أحد الثلاثة الذين أوتوا الى غار في ليلة ممطرة ، فانحطت على فم الغار صخرة من الجبل فانطبقت عليهم ، فدعا كل منهم متوسلا بعمل صالح عمله ، وكان عمل أحدهم بره بوالديه ، فاستجاب الله دعاء كل منهم ، ففرج لهم فخرجوا من الغار .

— عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « بينما ثلاثة نفر يتمشون أخذهم المطر . فأوتوا الى غار في جبل . فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل . فانطبقت عليهم . فقال بعضهم لبعض : انظروا أعبالا عملتموها صالحة لله ، فادعوا الله تعالى بها ، لعل الله يفرجها عنكم . فقال أحدهم : اللهم انه كان لى والدان شيخان كبيران وامرأتى . ولى صبية صغار أرعى عليهم . فاذا أرحمت عليهم^(١) ، حلبت ، فبدأت بوالدى فسقيتهما قبل بنى . وأنه نأى بى ذات يوم الشجر^(٢) . فلم آت حتى أمسيت فوجدتهما قد ناما . فحلبت كما كنت أحلب . فجئت بالحلاب . فقمت عند رؤوسهما . أكره أن أوقظهما من نومهما . وأكره أن أسقى الصبية قبلهما ، والصبية يتضاغون^(٣) عند قدمى . فلم يزل ذلك دأبى ودأبهم حتى طلع الفجر . فان كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك ، فأفرج لنا منها فرجة ، نرى منها السماء . ففرج الله منها فرجة . فأروا منها السماء .

وقال الآخر : اللهم انه كانت لى ابنة عم أحببتها كأشد ما يحب الرجال النساء . وطلبت اليها نفسها فأبت حتى آتيتها بمائة دينار .

(١) فاذا أرحمت عليهم : أى رددت الماشية من المرعى اليهم .

(٢) نأى بى ذات يوم الشجر : أى بعد المرعى .

(٣) يتضاغون : أى يصيحون ويستغيثون من الجوع .

فتعبت حتى جمعت مائة دينار • فجئتها بها • فلما وقعت بين رجلها^(١)
قالت : يا عبد الله ! اتق الله • ولا تفتح الخاتم الا بحقه^(٢) • ففقت
عنها • فان كنت تعلم انى فعلت ذلك ابتغاء وجهك ، ففرج لنا منها
فرجة • ففرج لهم •

وقال الآخر : اللهم انى كنت استأجرت أجيرا بفرق أرز^(٣) • فلما
قضى عمله قال : أعطني حقي • فعرضت عليه فرقه فرغب عنه^(٤) • فلم
أزل أزرقه حتى جمعت منه بقرا ورعائها • فجاءنى فقال : اتق الله
ولا تظلمنى حقي • قلت : اذهب الى تلك البقر ورعائها • فخذها •
فقال : اتق الله ولا تستهزىء بى • فقلت : انى لا أستهزىء بك • خذ
ذلك البقر ورعائها • فأخذه فذهب به • فان كنت تعلم انى فعلت ذلك
ابتغاء وجهك ، فأفرج لنا ما بقى • ففرج الله ما بقى^(٥) •

هذه قصة هؤلاء الثلاثة أصحاب الغار ، وقد فرج الله عنهم
اذ توسلوا اليه بما قدموه من أعمال صالحة :

فالأول : كان عمله الصالح من باب ير الوالدين •

والثانى : كان عمله الصالح من باب العفة عن الحرام •

والثالث : كان عمله الصالح من باب أداء الحقوق الى أهلها بأمانة
تامة مقرونة باحسان وفضل •

(ب) قصة أويس القرنى :

— عن أسير بن جابر ، قال : كان عمر بن الخطاب ، اذا أتى

-
- (١) فلما وقعت بين رجلها : أى جلست مجلس الرجل للوقاع •
(٢) لا تفتح الخاتم الا بحقه : الخاتم كناية عن بكارتها ، وقولها : بحقه
أى بنكاح ، لا بزنا •
(٣) بفرق : وهو اناء يسع ثلاثة أصع •
(٤) فرغب عنه : أى كرهه وسخطه وتركه •
(٥) رواه البخارى ومسلم واللفظ لمسلم ج ٤ ص ٢٠٩٩ / ٤٨ كتاب
الذكر والدعاء (٢٧) باب قصة أصحاب الغار الثلاثة رقم الحديث (٢٧٤٣)

أمداد أهل اليمن ، سألهم : أفیکم أویس بن عامر ؟ حتی أتى على أویس . فقال : أنت أویس بن عامر ؟ فقال : نعم . قال : من مراد ثم من قرن ؟ قال : نعم . قال : فكان بك برص فبرأت منه الا موضع درهم ؟ قال : نعم . قال : لك والدۃ ؟ قال : نعم . قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « یأتی علیکم أویس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ، ثم من قرن ، كان به برص فبرأ منه الا موضع درهم . له والدۃ هو بها بر . لو أقسم على الله الأبره . فان استطعت أن تستغفر لك فافعل » . فاستغفر لی . فاستغفر له . فقال له عمر : أين تريد ؟ قال : الكوفة . قال : ألا أكتب لك الى عاملها ؟ قال : أكون فی غرباء الناس أحب الى .

قال : فلما كان من العام المقبل حج رجل من أشرافهم . فوافق عمر . فسأله عن أویس قال : تركته رث البيت قليل المتاع . قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « یأتی علیکم أویس ابن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن . كان به برص فبرأ منه . الا موضع درهم ، له والدۃ هو بها بر . لو أقسم على الله لأبره . فان استطعت أن تستغفر لك فافعل » فأتى أویسا فقال : استغفر لی . قال : أنت أحدث عهدا بسفر صالح ، فاستغفر لی . قال : استغفر لی . قال : أنت أحدث عهدا بسفر صالح ، فاستغفر لی . قال : لقيت عمر ؟ قال نعم . فاستغفر له . ففطن له الناس . فانطلق على وجهه (١) .

(أمداد أهل اليمن : هم متطوعة الجهاد الذين كانوا یأتون مددا لجیوش الفتح الاسلامی من مختلف الجهات ، وكان الیمانیون عنصرا مهما یمد بالأعداد الكثيرة من المقاتلين .

لو أقسم على الله لأبره : أى لو حلف یمینا قال فيه : والله لیفعلن الله هذا الأمر ، لأبر الله قسمه ففعل الله ما حلف علیه .

(١) رواه مسلم ج. ٤ ص ١٩٦٩ / ٤٤ كتاب فضائل الصحابة (٥٥) باب من فضائل أویس القرنی رقم الحديث (٢٢٥) .

أكون في غبراء الناس أحب الى : أى أكون من عامتهم وفقرائهم
ومن لا ينظر اليه منهم أحب الى ، وهذا من تواضعه وإخلاصه العظيم
رضى الله عنه •

رث البيت : الرث هو الخلق البالى المهترىء الخسيس من كل
شئ ، تقول : ثوب رث ، ورجل رث الهيئة ، ومتاع رث ، والجمع :
رثاث •

فانطلق على وجهه : أى ذهب ثم لم يعرف مكانه ، اخفاء لنفسه ،
وبعدا عن التظاهر مخافة أن يدخل الى قلبه الرياء) •

واضح من قصة أويس أنه كان يتمتع بميزتين عظيمتين :

الأولى : أنه كان برا بأمه ، فكان من ثمرة بره بها أن منحه الله
تبارك وتعالى الدعوة المستجابة ، فهو امرؤ - كما أخبر الرسول صلى
الله عليه وسلم - لو أقسم على الله لأبره الله قسمه •

وأويس تابعى لم ير الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولكن الرسول
صلى الله عليه وسلم قد أخبر عنه وعن صفته قبل أن يأتى ، ثم جاء
مع أمداد أهل اليمن كما أخبر الرسول فهى إحدى معجزاته صلوات
الله عليه •

الثانية : تواضعه وإخلاصه لله تعالى وزهده فى الدنيا ، وقد ظهر
ذلك بإيثاره البعد عن كل ما فيه ظهور وشهرة ، حرصا على مرتبة
الصدق والإخلاص لله عز وجل ، وظهر أيضا برفضه أن يكتب له
أمير المؤمنين عمر الى عامله فى الكوفة يوصى به ، وقوله : أكون
فى غبراء الناس أحب الى •

ولكن لم يحرمه الله من الذكر الحسن ، فقد زاده الله بتواضعه
رفعة وشهرة وذكر ، وارتبط اسمه بمعجزة نبوية تروى •

● أويس خير التابعين :

ولما كان أويس هذا عظيم الايمان عظيم الاخلاص لله كثير التقوى والبر والاحسان كان خير التابعين ، وقد شهد له الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك ، كما جاء فى رواية عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان خير التابعين رجل يقال له أويس • وله والد • وكان به يياض • فمروه فليستغفر لكم » (١) •

البر بالأم

فرض الله على الولد الاحسان الى والديه وجعل طاعتهما واجبة فى كل ما يأمران به ، من غير جدل ولا مناقشة ولا تردد الا ما كان منها فى معصية •

قال الله تعالى : ﴿ ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا على وهن وفصاله فى عامين ان اشكر لى ولوالديك الى المصير • وان جاهداك على ان تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفًا ، واتبع سبيل من اناب الى ، ثم الى مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون ﴾ (٢) •

أمر الله تعالى بالاحسان الى الوالدين مع تقديم الشكر لهما ، ويعنى هذا أن تطيعهما ، وتخدمهما ، وتنفق عليهما ، ثم تشكرهما على قبول خدمتك وانفاقك ، تشكرهما لأنهما رضا بك خادما لهما ومنفقا عليهما ، تشكرهما لأنهما جعلاك موضع ثقتهم ومحط آمالهما ، تشكرهما لأنهما بذلا من أجلك النفس والنفيس ، والصحة والراحة ، واكتفيا منك بجزء يسير مما أسدياه اليك من معروف ، وسامحاك بما لهما عليك من حقوق •

(١) رواه مسلم ج ٤ ص ١٩٦٨ / ٤٤ كتاب فضائل الصحابة (٥٥)
باب من فضائل أويس القرنى - رقم الحديث (٢٢٤) •
(٢) لقمان : ١٤ ، ١٥

أما الوالدة فقد حملتك فى بطنها تسعة أشهر ، تزيد بها بنموك ضعفاً ، وتحملها فوق طاقتها عناء ، وهى الضعيفة الجسم ، الواهنة القوة ، ثم أخرجتك فيئست فى خروجك من حياتها ، فلما بصرت بك الى جانبها نسيت الآمها ، وعلقت فيك آمالها ، ورأت فيك بهجة الحياة وزيتها ، ثم انصرفت الى خدمتك ليلاً ونهارها ، تغذيك بصحتها ، وتقويك بضعفها ، تخاف عليك رقة النسيم وطنين الذباب ، وتؤثرك على نفسها بالغذاء والراحة ، فلما تم فصالك فى عامين وبدأت بالمشى . أخذت تحيطك بعنايتها ، وتتبعك نظراتها ، وتسعى وراءك خوفاً عليك ، وبقيت ترعاك وتحضو عليك حتى آخر لحظاتها من الدنيا . ومن هنا قدمها الله تعالى فى الطاعة على أبيك ، ووصاك بها رسول الله صلى الله عليه وسلم بأكثر مما وصى بأبيك ، والأحاديث فى هذا الشأن كثيرة ، نروى الآن بعضها ليتعظ الأبناء ويعرفوا حقوق أمهاتهم عليهم :

(أ) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، من أحق الناس بحسن صحابتي ؟ قال : « أمك » ، قال : ثم من ؟ قال : « أمك » . قال : ثم من ؟ قال : « أمك » . قال : ثم من ؟ قال : « أبوك »^(١) .

(ب) وعن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال : قلت : يا رسول الله ، من أبر ؟ قال : « أمك » . قلت : من أبر ؟ قال : « أمك » . قلت : من أبر ؟ قال : « أمك » . قلت : من أبر ؟ قال : « أمك » . قلت : من أبر ؟ قال : « أباك » ثم الأقرب فالأقرب »^(٢) .

— هذان الحديثان يبينان بوضوح ما تستحقه الأم من بر وصلة ، وخدمة وطاعة ، لقاء ما بذلته من جهد وتعبد .

(ج) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رغم أنفه . ثم رغم أنفه . ثم رغم أنفه » قيل :

(١) رواه البخارى ومسلم ، واللفظ لمسلم . ج ٤ ص ١٩٧٤/٤٥ كتاب البر والصلة — باب بر الوالدين — رقم الحديث (٢٥٤٨) .
(٢) الأدب المفرد — للبخارى ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ص ١١/٢ باب بر الأم .

من يا رسول الله ؟! قال : « من أدرك والديه عند الكبر ، أحدهما أو كليهما ، ثم لم يدخل الجنة » (١) .

قال العلماء : سبب تقديم الأم كثرة تعبها عليه وشفقتها وخدمتها ، ومعاقاة المشاق في حمله ثم وضعه ثم ارضاعه ، ثم تربيته وخدمته وتمريضه وغير ذلك .

ابن في تقديم الأم على الأب حكمة بالغة ، فهي - بالاضافة الى ما تبذل من جهد يفوق جهده - بحاجة الى من يعولها ويبرها ، لأنها ضعيفة الجسم عديمة الكسب ، ومن أولى ببرها من ابنها ؟ ومن أحق منه بخدمتها والاحسان اليها ؟

(د) عن سليمان بن بريدة عن أبيه أن رجلا كان في الطواف حاملا أمه يطوف بها ، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم : هل أدبت حقها ؟ قال : « لا ، ولا بزفرة واحدة » (٢) .

(هـ) عن أبي هريرة رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لم يتكلم في المهد الا ثلاثة : عيسى ابن مريم وصاحب جريج . وكان رجلا عابدا . فاتخذ صومعة فكان فيها . فأتته أمه وهو يصلى . فقالت : يا جريج ! فقال : يا رب أمى وصلاتى . فأقبل على صلاته . فانصرفت . فلما كان من الغد أتته وهو يصلى . فقالت : يا جريج ! فقال : يا رب أمى وصلاتى . فأقبل على صلاته . فانصرفت . فلما كان من الغد أتته وهو يصلى . فقالت : يا جريج ! فقال : أى رب ! أمى وصلاتى . فأقبل على صلاته . فقالت : اللهم لا تمته حتى ينظر الى وجوه المومسات . فتذاكر بنو اسرائيل جريجا وعبادته . وكانت امرأة بغى يتمثل بحسنتها . فقالت : ان شئت لأفتنه لكم . قال : فتعرضت له فلم يلتفت اليها . فأنت راعيا كان يأوى الى صومعته فأمكنته من نفسها . فوقع عليها . فحملت . فلما ولدت . قالت : هو

(١) رواه مسلم ج ٤ ص ١٩٧٨/٥ كتاب البر والصلة - باب رغم انف من أدرك أبويه - رقم الحديث (٢٥٥١) .
(٢) الأدب المفرد - للبخارى ص ١٣/٦ باب جزاء الوالدين .

من جريج • فأتوه فاستنزلوه وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه •
 فقال : ما شأنكم ؟ قالوا : زئيت بهذه البغى • فولدت منك • فقال :
 أين الصبي ؟ فجاءوا به • فقال : دعوني حتى أصلى • فصلى • فلما
 انصرف أتى الصبي فطعن فى بطنه • وقال : يا غلام ، من أبوك ؟ قال :
 فلان الراعى • قال : فأقبلوا على جريج يقبلونه ويتمسحون به وقالوا :
 نبني لك صومعتك من ذهب • قال : لا ، أعيدوها من طين كما كانت •
 ففعلوا ... » (١) .

وفى رواية البخارى : « أنه مر على المومسات فرآهن فتبسم ...
 فقال له الملك : فما الذى تبسمت ؟ قال : أمرا عرفته ، أدركتني دعوة
 أمي ... ثم أخبره • هذا جريج العابد الزاهد يتليه الله تعالى بمروءته
 وعفته وطهارته ، وهى أعلى شئ عنده : لأنه لم يجب نداء أمه ولم
 يلب طلبها • وكثيرا ما تكون الأم فى ضيق أو عسر ، فتستغيث بابنها
 وهو أحب الناس إليها ، فان لم يغثها كان ذلك عقوقا منه • ان بعض
 الأولاد تناديهم أمهاتهم فيسمعون ولا يجيبون ، وكأن فى آذانهم
 وقرا • رأيتم أما استنجد بها ابنها فلم تنجده ؟ أو صرخ فلم
 تسرع اليه ؟ أليس من المروءة أن يعاملها بما تعامله به ،
 و... هل جزاء الاحسان الا الاحسان » (٢) •

البر بالأب

فى القرآن الكريم آيات تأمر ببر الوالدين معا ، وآيات تفرد كلا
 منهما بالبر ، اذ فى الجمع والافراد دليل على مدى اهتمام الشارع
 بهما ، كل فيما يخصه من جهة ، وفيما يخصهما معا من جهة أخرى •
 وقد مر معنا شئ من برهما معا ، وكذلك بر الأم وحدها ، فلنذكر
 الآن بعض ما جاء فى بر الأب وحده :

(١) رواه مسلم ج ٤ ص ١٩٧٦/٥ كتاب البر والصلة (٢) -
 باب تقديم بر الوالدين على التطوع بالصلاة - رقم الحديث (٢٥٥٠) •
 (٢) الرحمن : ٦٠

ان أبلغ مثل يضربه القرآن الكريم فى طاعة الوالد وبره قصة سيدنا اسماعيل عليه الصلاة والسلام ، وهى قصة شهيرة معروفة ، ذكرها القرآن بايجاز بلاغته •

فقال تعالى ﴿ فبشرناه بغلام حليم • فلما بلغ معه السعى قال يا بنى انى ارى فى المنام انى اذبحك فانظر ماذا ترى ، قال يا ابت افعل ما تؤمر • ستجدنى ان شاء الله من الصابرين • فلما اسلما وتلاه للجبين • وناديناه ان يا ابراهيم • قد صدقت الرؤيا ، انا كذلك نجزي المحسنين • ان هذا لهو البلاء المبين • وفديناه بذبح عظيم ﴾ (١) •

وجاءت هذه القصة بالتعبير الانسانى كما شرحها العلماء فى روايات :

كان ابراهيم اذا زار هاجر واسماعيل حمل على البراق ، فيغدو من الشام فيقبل بمكة ويبيت عند أهله بالشام • حتى اذا بلغ اسماعيل معه السعى أمر فى المنام أن يذبحه ، فلما تيقن ذلك قال لابنه : يا بنى خذ الجبل والمدينة ، وانطلق الى هذا الشعب نخطب • فلما خلا ابراهيم بابنه فى شعب « ثبير »^(٢) أخبره بما أمر • فقال : ﴿ يا ابت افعل ما تؤمر ، ستجدنى ان شاء الله من الصابرين ﴾ • فلما أراد ذبحه قال له : « يا ابت ، اشدد رباطى حتى لا أضطرب ، واكفف عني ثيابك حتى لا ينتضح عليها من دمي شيء فينقص أجرى ، وتراه أمى ، واشحذ شفرتك ، وأسرع مر السكين على حلقى ليكون أهون على ، فان الموت شديد ، وإنه أتيت أمى فاقراً عليها السلام منى ، وإنه رأيت أن ترد قميصى على أمى فافعل ، فانه عسى أن يكون أسلى لها عني • فقال له ابراهيم عليه السلام : نعم العون أنت يا بنى على أمر الله ، ثم أقبل عليه يقبله وقد ربطه وهو يبكى والابن يبكى • ثم انه وضع السكين على حلقه فلم تحز • فشحذها مرتين أو ثلاثا بالحجر ، فلم تقطع ، فقال الابن عند ذلك : يا ابت ، كبنى على وجهى ، فانك اذا نظرت

(١) الصافات : ١٠١ - ١٠٧

(٢) ثبير : مكان فى مكة وبالتحديد احد جبال مكة •

فى وجهى رحمتى ، وأدركتك رقة تحول بينك وبين أمر الله تعالى
وأننا لا أنظر الى الشفرة فأجزع ، ففعل ذلك ابراهيم عليه السلام . ثم
وضع السكين على قماه فانقلب السكين ، ونودى : « يا ابراهيم . قد
صدقت الرؤيا » .

وروى أن ابراهيم لما رأى ذبح ابنه قال الشيطان : لئن لم أفتن
عند هذا آل ابراهيم لا أفتن منهم أحدا أبدا . فمثل برجل ، وأتى
أم الغلام فقال لها : أقدرين أين ذهب ابراهيم بابنك ؟ قالت : ذهب به
ليحتطباً من هذا الشعب . قال : والله ما ذهب به الا ليذبحه . قالت :
كلا ، هو أرحم به وأشد حبا له من ذلك . قال : انه يزعم أن الله أمره
بذلك . قالت : فان كابن ربه أمره بذلك فقد أحسن أن يطيع أمره .
فخرج من عندهما حتى أدرك الأبن وهو يمشى على اثر أبيه ، فقال له :
يا غلام ، هل تدري أين يذهب بك أبوك ؟ قال : نحتطب للأهلنا من
هذا الشعب . قال : والله ما يريد الا أن يذبحك . وقال : ولم ؟
قال : زعم أن ربه أمره بذلك . قال : فليفعل ما أمره ربه فسمعا وطاعة .
ثم أقبل على ابراهيم وقال له : أين تريد أيها الشيخ ؟ قال : أريد هذا
الشعب لحاجة لى فيه . قال : والله انى لأرى الشيطان قد جاءك فى
منامك ، فأمرك بذبح ابنك هذا ، فعرفه ابراهيم ، فقال : اليك عنى
يا عدو الله للأمضين لأمر ربى . فرجع ابليس بغيطه لم يصب ابراهيم
وآله بشيء .

وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما : أن ابراهيم عليه السلام
لما أمر بذبح ابنه عرض له الشيطان بهذا المشعر فسابقه فسابقه
ابراهيم ، ثم الى جمره العقبة ، فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات
حتى ذهب . ثم أدركه عند الجمره الكبرى فرماه بسبع حصيات
حتى ذهب . ثم مضى ابراهيم فاذا هو بجبريل ومعه كبش أملح أقرن .
فقال : هذا فداء ابنك فاذبحه دونه . فكبر جبريل وكبر الكبش وكبر
ابراهيم ، فأخذ ابراهيم وأتى المنحر من منى فذبحه ^(١) .

(١) مسند الامام أحمد بن حنبل ج ١ ص ٢١٤ ، مسند عبد الله

ابن عباس .

كان لإسماعيل عليه السلام حين البلاء ثلاث عشرة سنة ، فى سن يبدأ فيها طور المراهقة ، فتطيش سهام الأولاد وتغلب عليهم الرعونة ، ويتولاهم الجموح ويغمر حياتهم اللهو واللعب ، ولا يصدر عنهم عمل بروية ، أو قول بتعقل ، أو تصرف بحكمة ، لا يشعرون بوطأة الحياة ، وثقل العيش ، ومسئولية العيال ، لقد بدأوا يشبون عن الطوق ، وينطلقون من سجن الدار ، وأخذوا يتمردون لينبوا بأنفسهم شخصياتهم ، ويفرضوا على الناس اعتبارهم .

وهذه صفات معظم الأولاد . فإذا تصرف أحدهم تصرف العاقل ، ونطق نطق الحكيم ، وناقش مناقشة المفكر ، وأطاع والديه طاعة البنان ، كان مثالا للنبوغ والبر والفهم . وهكذا كان سيدنا اسماعيل عليه السلام ، لم يفتنه الشيطان ولم يشككه فى حنان أبيه ، ولم يزغه عن أمر ربه ، أخبره أبوه بالرؤيا ، والرؤيا غير اليقظة ، والإيعاء النفسى التلقائى شىء ، والوحي الالهى بواسطة جبريل عليه السلام شىء آخر ، فلم يجزع ولم يخالف ، بل استسلم ، استسلم لأمر الله تعالى ، وأمر أبيه ، ولم تقف به نفسه العالية عند هذا الحد ، بل أعان أباه على الطاعة ، وشجعه على تنفيذ أمر ربه فقال : ﴿ يا أبت افعل ما تؤمر ﴾ . أما أنا فقد رضيت بما قدره الله لى ، وما ارتأيت أفعل لى ، وإن أبت على نفسى فسأرغمها بالصبر ﴿ ستجدنى ان شاء الله من الصابرين ﴾ .

وها هو اسماعيل يقرب لأبيه أوجه الرأى فى تسهيل مهمته ليختار منها ما هو أسهل عليه فى تنفيذها ، حتى اذا أسلما الى الله أمرهما ، وطابت النفس بحكمه ، ورضيت بقضائه فداء الله بذبح عظيم .

هذه أروع قصة فى الحياة البشرية ، وأعظم مثل على طاعة الله وطاعة الوالد ، فيها الايمان التام ، والبر البالغ ، فيها حكمة الله ، وشفقة الوالد ، وطاعة الولد ، فيها الاخلاص فى الدين ، والقول اليقين . والصبر المتين ، فيها مثال رائع للانسانية فيما يلى :

كان تحت سيدنا ابراهيم عليه السلام امرأتان : هاجر وله منها اسماعيل ، وسارة وله منها اسحاق . فذهب بهاجر وابنها من بلاد الشام ، حيث طيبات العيش ، ولذات الحياة ، والماء والنبات والطقس الجميل ، الى بلد صحراوي ، لا ماء فيه ولا نبات ، لا زرع فيه ولا ضرع . فتركها هناك ، وأوكل الى الله تعالى أمرهما ثم عاد الى أهله .

أما ما يستنتج من قصة اسماعيل عليه السلام فهو ما يلي :

- أولا : تنفيذ ابراهيم أمر ربه .
- ثانيا : معرفة هاجر حقوق زوجها ، وواجباته عليها ، وانصياعها لأمر الله تعالى .
- ثالثا : رسوخ طاعة الوالد في نفس اسماعيل رسوخا لا تزغزه الأهواء والنزعات ووساوس الشيطان .
- هذا هو الفارق بين أبناء هذا الزمان وبين اسماعيل عليه السلام ، فارق بين الظلام والنور ، والطيش والروية ، والحق والحلم .

* * *

● آداب البر بالأب :

عن أم المؤمنين عائشة رضى عنها قالت : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل ومعه شيخ ، فقال له : « يا فلان ، من هذا الذى معك » ؟ قال : أبى . قال : « فلا تمش أمامه ، ولا تجلس قبله ، ولا تدعه باسمه ، ولا تستسب له » (١) .

وعن هشام بن عروة عن أبيه (أو غيره) أن أبا هريرة رضى الله عنه أبصر رجلين ، فقال لأحدهما : ما هذا منك ؟ قال : أبى . فقال : لا تسمه باسمه ، ولا تمش أمامه ، ولا تجلس قبله » (٢) .

(١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - للهيثمى ج ٨ ص ١٣٧ كتاب البر والصلة .

(٢) الأدب المفرد - للبخارى ص ٢٢ ، ٢٣ باب لا يسمى الرجل أباه .

وعن أبي غسان الضبي قال : خرجت أمشي مع أبي بظهرة الحرة فلقيني أبو هريرة فقال لي : من هذا ؟ قلت : أبي . قال : لا تمش بين يدي أباك ولكن امش خلفه أو الى جانبه ، ولا تدع أحدا يحول بينك وبينه ، ولا تمش فوق أباك أو تحت قدميه ، ولا تأكل عرقا قد نظر أبوك اليه لعله اشتهاه (١) .

هذا هو النهج الذي يجب أن يسلكه الولد مع أبيه ، يرى نفسه أقل منه فلا يمشي أمامه ، ويوقن أنه قطعة منه فلا يدع أحدا يفصل بينهما ، ويعرف أنه دونه فلا يعلوه في سطح ولا مجلس ، ويعترف أنه يعيش على فضله واحسانه فلا يتناول ما اختصه لنفسه .

— والولد لا يفى والده حقه ، مهما يبذل في سبيله ، اللهم الا في حالة واحدة اعتبرها رسول الله صلى الله عليه وسلم مكافأة له ، فقال : « لا يجزى ولد والده الا أن يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه » (٢) .

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : رضا الرب في رضا الوالد ، وسخط الرب في سخط الوالد (٣) .

والوالد لا يرضيه الا أن يرى من ابنه اقبالا عليه بقلبه ونفسه ، وانصياعا منه لأمره ، والسعي لتحقيق ما يسره ويهجه ، وغاية البر أن تقضى له حاجته من غير أن يسألك قضاءها ، وتقدم اليه مالا يبين لك حاجته اليه ، وتعطيه من غير أن يطلب (٤) .

* * *

(١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - للهيتمي ج ٨ ص ١٣٧ - باب ما جاء في البر وحق الوالدين .

(٢) الترغيب والترهيب ج ٣ ص ٣١٤

(٣) الأدب المفرد - للبخاري ص ١/١١ باب قوله تعالى : ﴿ ووصينا

الانسان بوالديه حسنا ﴾ .

(٤) انظر : بر الوالدين - عبد الرؤوف الحناوي ، ص ٢

• بر الوالدين مقدم على الجهاد في سبيل الله :

عمت الدعوة الاسلامية أرجاء المعمورة بفضل الجهاد في سبيل الله الذى بذله المسلمون لاعلاء كلمة الله تعالى • ولولا الجهاد في سبيل الله فى تلك البقعة الصغيرة التى انطلق منها ، ما انتشر الاسلام ، ولدثرت معالمه فى مدة وجيزة من الزمن •

لم تنتشر تلك الدعوة الا بالحكمة والموعظة الحسنة ، فاذا حال دون انتشارها حائل بعد ذلك أزيح بالقوة ، وهذا هو الذى صارت عليه الدعوة ، وهو رد على من يقول بأن الاسلام اقتشر بالسيف •

ومع عظم قدر الجهاد وفضله فى بث كلمة التوحيد - التى من أجلها أوجد الله تعالى الكائنات وخلق السموات والأرض وما فيهن ، وأحبط عمل كل امرئ لم يقر بها - فقد قدم عليه بر الوالدين وطاعتهما •• ولا يعنى هذا أن برهما اذا خلا من كلمة التوحيد يدخل صاحبه الجنة : لأن البر مع الشرك لا يقام له عند الله وزن ، ولا يعنى منه شيئاً اذ جاءت الآية الكريمة صريحة فى ذلك فقال تعالى : ﴿ وان جاهدك على ان تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما ••• ﴾ (١) •

ولكن اثار برهما على الجهاد دليل على المنزلة التى أنزلهما الله فيها ، وعلى الحق الذى منحهما اياه ، ليعرف الأبناء فضلهما وقدرهما • واليكم بعض الأحاديث الشريفة الواردة فى هذا الشأن :

(أ) عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله ، أى العمل أفضل ؟ قال : « الصلاة على وقتها » • قلت : ثم أى ؟ قال : « بر الوالدين » • قلت : ثم أى ؟ قال : « الجهاد فى سبيل الله » حدثنى بهن ولو استزدته لزادنى (٢) •

(١) العنكبوت : ٨

(٢) رواه البخارى ج ٢ ص ٧ ، ٨ فى مواقيت الصلاة - باب فضل الصلاة لوقتها ، ورواه مسلم ج ١ ص ١/٩٠ كتاب الايمان (٣٦) - باب بيان كون الايمان بالله تعالى افضل •

الصلاة هي الدعامة الأولى من دعائم الاسلام الأربع . وبما أنها أفضل الدعائم وأعظمها منزلة عند الله تعالى ، وكان جحودها كفرا يقتل مرتكبه كالجحود بالأساس ، فقد خصها الرسول صلى الله عليه وسلم بالتقديم لبيان قدرها وفضلها .

(ب) عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم : أجاهد . قال : « لك أبوان » ؟ قال : نعم . قال : « ففیهما فجاهد » (١) .

أى ابذل غاية جهدك فى خدمتهما ، واعمل أقصى ما تستطيع لارضائهما . لأن من عادة الولد أن يعتبر أقل معروف يسديه الى والديه فضلا كبيرا عليهما ، ويخال أنه وفاهما به حقهما . أما هما فيذلان الغالى والثمين من أجله عن طيب نفس ورضا ، ولا يمان عليه .

(ج) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : أقبل رجل الى نبي الله صلى الله عليه وسلم فقال : أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغى الأجر من الله . قال : فهل من والديك أحد حى ؟ قال : نعم كلاهما . قال : « فتبتغى الأجر من الله » ؟ قال : نعم . قال : « فارجع الى والديك فأحسن صحبتهما » (٢) .

إن الأجر الذى تطلبه ليس وقفا على الجهاد ولا قصرا على الهجرة . فهناك عمل آخر هو خير وأبقى . يختص بك وحدك . ولا يرتبط بغيرك . ولا يمضيه أحد سواك . فيه الأجر الذى تطلبه . والثواب الذى تبتغيه . ارجع الى والديك فأحسن صحبتهما . والزم خدمتهما . وأطع أمرهما . وأدخل السرور على قلبهما . فإن عملت ذلك عدل عملك الجهاد وفاقه .

(د) وعن نعيم مولى أم سلمة قال : خرج ابن عمر رضى الله عنهما حاجا حتى كان بين مكة والمدينة أتى شجرة فعرفها فجلس تحتها ثم

(١) رواه البخارى ج ٤ ص ٧٧

(٢) رواه مسلم ج ٤ ص ١٩٧٥ كتاب البر والصلة - باب بر الوالدين

قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت هذه الشجرة إذ أقبل رجل شاب من هذه الشعبة حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، انى جئت لأجاهد معك فى سبيل الله أبتغى بذلك وجه الله والدار الآخرة فقال : « أبواك حيان كلاهما » ؟ قال : نعم . قال : « فارجع فبرهما » فانقتل راجعا من حيث جاء (١) .

كل هذه الأحاديث تدل دلالة واضحة على أن الله تعالى أعد للوالدين منزلة عالية . وفرض لهما حقوقا كثيرة . وقدم برهما على الجهاد فى سبيل الله رحمة منه وفضلا .

وليس هذا البر فى الحقيقة الا نوع من الجهاد . فهو جهاد بالجسم فى الخدمة . وبالنفس فى الطاعة . وبالمال فى الانفاق . ولا يدر ذلك الا ممن أراد الله له الخير وكتبه من السعداء .

لا تعجب أيها الأخ المؤمن أن قدم الله تعالى بر الوالدين على الجهاد فى سبيله . فكلمة التوحيد — لا اله الا الله — وعبادة الله عز وجل أعلى وأعلى من برهما . ولكن هناك أمر واحد يزيل هذا العجب من نفسك وهو أن بر الوالدين فرض عين . فاذا قصرت فى برهما فمن ذا الذى يبرهما ؟ . أما الجهاد فهو فرض كفاية — الا فى حال غزو العدو بلاد المسلمين واعلان النفير العام — فاذا صحبت والديك . ولزمت أقدامهما قام بالجهاد غيرك . أما خدمتهما فلا يتولاها أحد سواك .

ولقد اعتبر الرسول صلى الله عليه وسلم قيام الولد فى خدمة أبيه والسعى عليهما جهادا فى سبيل الله . روى الطبرانى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان جالسا مع أصحابه ذات يوم ، فنظروا الى شاب ذى جلد وقوة قد بكر يسمى ، فقالوا : ويح هذا ، لو كان شبابه وجلده فى سبيل الله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تقولوا هذا ، فانه ان كان خرج يسعى على ولده صغارا فهو فى

(١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد — الهيثمى ج ٨ ص ١٣٨ باب ما جاء فى البر وحق الوالدين .

سبيل الله ، وان كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو
فى سبيل الله ، وان كان خرج يسعى على نفسه ليغفها فهو فى
سبيل الله ، وان كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو فى سبيل
الشيطان» (١) .

الجهاد فى سبيل الله خير تجارة يتعاطاها المؤمن : لأن فيها الفوز
فى الدنيا والسعادة فى الآخرة . ومن أحسن عملا ممن وهب نفسه
لله تعالى يتغنى الأجر منه والثواب ؟ لقد تفضل الله فاعتبر المجاهد فى
كسب المال للاتفاق على والديه كالمجاهد فى سبيله لاعلاء كلمته (٢) .

* * *

بر الوالدين بعد موتهما

آيات الاسراء لم تكتف بالأمر بالاحسان الى الوالدين واطاعتهما
واكرامهما وأياديهما بالشكر والثناء فلا ينساهما من الدعاء والاستغفار
وطلب الرحمة : « رب ارحمهما كما ربياني صغيرا » (٣) . ولا يقتصر على
الدعاء لهما فى حياتهما فحسب بل بعد موتهما أيضا حيث تنقطع
أعمالهما عن الدنيا ، فلا يتزودان بأكثر مما قدما الا بما يهبهما ابنهما ،
والسفر طويل ، والزاد مهما بلغ ضئيل ، ولا يسهل السفر ويعزز
الزاد الا أحد ثلاثة ذكرها الحديث :

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال : « اذا مات العبد انقطع عنه عمله الا من ثلاث : صدقة جارية ،
أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » (٤) .
وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : ترفع للميت بعد موته درجته .
فيقول : أى رب ، أى شىء هذه ؟ فيقال : ولدك . استغفر لك (٥) .

-
- (١) رواه الطبرانى : معجم الطبرانى الصغير ج ١ ص ٢٠٧
(٢) انظر : بر الوالدين - عبد الرؤوف الحناوى ص ٣٥ - ٤٧
(٣) الاسراء : ٢٤
(٤) الادب المفرد - للبخارى ، ص ١٩/٢١ باب بر الوالدين بعد
موتهما .
(٥) نفس المرجع والصفحة .

ألا ان خير ما يرجو الولد لوالديه المغفرة لهما: ﴿رب اغفر لي ولوالدي﴾ (١) وهو ما جاء على لسان الرسل الكرام ، وطلب الرحمة لهما : ﴿رب ارحمهما كما ربياني صغيرا﴾ (٢) إن استغفاره لهما عساه أن يقبل ، لأنه شكر على معروف ، واسداء لفضل ، ووفاء لدين ، والوالدان بعد موتهما في أشد الحاجة الى الاحسان ، لأنهما أدركا حقيقة الموت ، وذاقا ضمة القبر وهول الحساب ، وقدما على كل لحظة قضياها في حياتهما الدنيا بلهو وعبث ، وتحسرا على ضالة زادهما من العمل الصالح ، وانقطع رجاءهما الا من رحمة الله تعالى ، فاذا وصل اليهما خير من ولدهما قلقيا بتلف وابتهاج كما تتلقى الأرض الجذبة ماء السماء .

— وعن مالك بن ربيعة الساعدي قال : كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال رجل : يا رسول الله ، هل بقى على من بر أبوى شيء بعد موتهما أبرهما به ؟ قال : « نعم » . خصال أربع : الدعاء لهما . والاستغفار لهما . واثفاذ عهدهما . واکرام صديقتهما . وصلة الرحم التي لا رحم لك الا من قبلهما » (٣) .

فالصلة اذن ما زالت قائمة بينه وبين أبويه ، يطلب الرحمة والمغفرة لهما من الله تعالى ، وينفذ عهدهما ، ويكرم صديقتهما ، ويصل رحمه التي هي من قبلهما ، فينال بذلك رضا الله ورضاهما . ومن الوفاء ألا ينسى الانسان المعروف ولا يجحد الفضل . ومن كافاً على معروف أسدى اليه وهو لا يزال يعتبر نفسه مقصرا تجاه صاحبه ، كان أكثر الناس وفاء ومروءة . والولد المغفور بأفضال والديه يرى نفسه عاجزا ومقصرا ومدينا ولو بلغ في البر أقصاه .

وهذا عبد الله بن عمر يضرب لنا المثل الصالح للولد الصالح ، ويروى لنا عبد الله بن دينار ، عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما : أن رجلا من الأعراب لقيه بطريق مكة . فسلم عليه عبد الله . وحمله

(٢) الاسراء : ٢٤

(١) نوح : ٢٨

(٣) الأدب المفرد — للبخارى ص ١٩/٢٠ باب بر الوالدين بعد موتهما .

على حمار كان يركبه • وأعطاه عمامة كانت على رأسه • فقال ابن دينار : فقلنا له : أصلحك الله ! انهم الأعراب وانهم يرضون باليسير • فقال عبد الله : ان أبا هذا كان ودا لعمر بن الخطاب • واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان أبر البر صلة الولد أهل ود أبيه » (١) •

هكذا فليكن الأبناء : حب للأباء وبر بهم ، اعتراف بفضلهم وطاعة لهم ، ايثارهم على النفس والأهل والولد ، خفض الجناح لهم ولين الكلام ، ثم امتداد لهذه الرابطة القوية بعد وفاتهم : دعاء لهم واستغفار ، واستمطار الرحمة عليهم والرضوان ، اكرام من كانوا يحبون ، صلة من كانوا يوادون ، حفظ مودة من كانوا يوادون ، حفظ مودة من كانوا يصادقون ، تزويدهم بالصدقات والمبرات ، وأخيرا تقرب الى الله تعالى ببرهم •

وابن عمر رضى الله عنه أوضح لنا هذه المعاني كلها بلقاء ابن صديق أبيه •

— عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من البر أن تصل صديق أبيك » (٢) •

من الأمور المسلم بها أن ينتقل كثير من طباع الأب عن طريق الدم الى ابنه ، فيأتى شبيها به في الخلق والخلق (٣) ، وينزع في صغره الى تقليده في حركاته ، ومشيه وكلامه ، وينشأ على حب من يحب ، وبغض من يبغض ، ويرث عنه كثيرا من الصفات والمزايا ، فما لاءم منه ميوله ورغباته داوم عليه واحتفظ به في كبره ، ومنه الصداقة والمودة •

(١) رواه مسلم ج ٤ ص ١٩٧٩/٤ باب فضل صلة اصدقاء الأب والام — رقم الحديث (٢٥٥٢) •
(٢) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد — للهيتمي ج ٨ ص ١٤٧ باب صديق الأب •
(٣) الخلق والخلق : الاولى بنصب الخاء والثانية بضمها •

روى أبو بكر بن حزم ، عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال : كفيتك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان الود يتوارث » (١) .

وأما المثل فيقول : « محبة الآباء تتصل بالأبناء » .

ولقد دفع الاسلام الى المحافظة على مودة أصدقاء الآباء ، وحث عليها ليستمر الترابط الأخوي بين الناس ، وتزيد الصلة والألفة ، فتبقى الكلمة متحدة ، والقلوب مؤتلفة ، وتسود الطمأنينة والسلام . وحذر مغبة التقاطع ، وتوعد من يقطع صلة أهل ود أبيه باطفاء نوره ، لأنه حاول اطفاء نور التحاب والتآلف ، فروى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « احفظ ود أبيك ، لا تقطعه فيطفىء الله نورك » (٢) .

هذه فرصة سانحة لمن فاته الخير فى حياة والديه فلم يعمل على ارضائهما ، ورحمة من الله واسعة لمن قصر عن مقام الأبرار . والولد يشعر بحسرة كبيرة بعد وفاة والديه ، ولا سيما إن كان مسيئا اليهما فى حياتهما ، لأنه لم يعرف قيمتهما الا بعد زوالهما ، ولقد وصف له هذا الحديث الشريف ما يزيل من نفسه الحسرة والندامة ، وما يعوض عليه ما فاته من خيرات .

ليس ير الوالدين مقصورا بعد موتهما على الدعاء لهما فحسب ، بل للولد أن يصوم صوم نذر ويحج عنهما ، والصوم والحج كما نعلم ركنان من أركان الاسلام ، فاذا علم أحدهما أن على والديه أو أحدهما ديناً من صيام قضاء عنهما ، وإذا لم يحج حج عنهما ولو لم يوصياه بذلك . وقيام الولد بأداء هذين الفرضين عنهما يزيل مسئوليتهم أمام الله تعالى ، ويزيد فى حسناتهما ، ولا ينقص من أجره شيء .

(١) الادب المفرد - للبخارى ، ص ٢٢/٢٢ باب الود يتوارث .
(٢) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - للهيثمى ج ٨ ص ١٤٧ باب صديق الأب .

قال بريدة رضى الله عنه : بينما أنا جالس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أتته امرأة فقالت : انى تصدقت على أمى بجارية ، وانها ماتت (أى أمها) فقال : « وجب أجرك ، وردها عليك الميراث » . قالت : يا رسول الله ، انه كان عليها صوم شهر أفأصوم عنها ؟ قال : « صومي عنها » . قالت : انها لم تحج قط أفأحج عنها ؟ قال : « حجي عنها » (١) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما : أن امرأة قالت : يا رسول الله ، ان أمى ماتت وعليها صوم نذر ، أفأصوم عنها ؟ فقال : « أرأيت لو كان على أمك دين فقضيته أكأن يؤدي ذلك عنها » ؟ قالت : نعم . قال : « فصومي عن أمك » (٢) .

نستدل من هذا على أنه الأبوين أولى بالصدقة ، وأن مفهوم الصدقة هنا يختلف عن المفهوم المتعارف بين الناس من حيث أنه جبر للخطر الكسير ، وسد رمق للبطن الجائع ، وستر لعورة البائس العريان ، وكف للنفس عن التسول والذل ، وتطهير المال وتحصين له ، وانما مفهومها : مكافأة على الاحسان ، واعتراف بالجميل ، وتأدية للواجب وتقرب الى من أنت بحاجة اليه . ان تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم ويفر لكم (٣) . والله الغنى وأتم الفقراء . من هنا كان صوم الرجل عن والديه ، وحجه عنهما نوعاً من جزاء الاحسان بالاحسان ، ومكافأة الهدية بالهدية ، ومبادلة الخير بالخير .

روى عن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما على أحد اذا أراد أن يتصدق بصدقة أن يجعلها لوالديه ، ويكون لوالديه أجرهما ، ويكون له مثل أجورهما من غير أن ينتقص من أجورهما شيء » (٤) .

(١) رواه مسلم ج ٢ ص ١٣/٨٠٥ كتاب الصيام (٢٧) باب قضاء الصيام عن الميت .

(٢) نيل الأوطار - للشوكاني ج ٤ ص ٢٤٩

(٣) التغبين : ١٧

(٤) أخرجه الطبراني في الاوسط .

فقله : « يجعلها لوالديه » معناه أنه يهب والديه ثوابها ، ولم يقل « يتصدق بها على والديه » لأن الوالدين أعز وأرفع من أن يأخذا صدقة ولدهما ، إذ أن الله تعالى فرض عليه نفقتهما بما يكفيهما ، ومن آتاه الله ما يكفيه فقد حرم عليه تناول الصدقة .

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من حج عن والديه أو قضى عنهما مغرما بعثه الله يوم القيامة مع الأبرار » (١) .

فى تأدية الحج وفاء لحق الله تعالى ، وفى قضاء الدين تسديد لحق العباد ، ومن وفى عن والديه حق الله وحق الناس كان أهلا للشكر والاحسان ، وشكره من الله تعالى أن يسجله فى قائمة الأبرار ، واحسانه اليه أن يدخله الجنة .

إن من قصر فى بر والديه فى حياتهما . وندم على ما فرط ، وخاف عاقبة العقوق ، فباب الاحسان اليهما مفتوح على مصراعيه . فليدخل منه صائما أو حاجا عنهما . أو داعيا أو مستغفرا لهما ، أو واصلا أهل ودهما وواهباً ثواب الخير لهما .

* * *

صلة الرحم

ومن ظواهر خلق الرحمة صلة الرحم ، وقد أوصى الاسلام بصلة الرحم ، ونهى نهيا شديدا عن قطيعة الأرحام .

ان من مبادئ الاسلام الاجتماعية الأولى تشبيك جماعات المسلمين فى وحدة جسدية جماعية عامة . وأولى الناس بذلك الأقربون رحما . فلهم حق أخوة الاسلام ، ولهم حق قرابة الرحم .

وتكون صلة الرحم بزيارتهم ، وتفقد أحوالهم ، واکرامهم ، والاهداء اليهم والتصدق على فقيرهم باعتباره أحق من الفقير البعيد ،

(١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - للهيثمى ج ٨ ص ١٤٦ باب ما جاء فى الأبرار .

وتكون بتعهد مرضاهم ، ومشاركتهم فى مسراتهم ، ومواساتهم فى
أحزانهم ، وتقديمهم على غيرهم فى كل أمر هم أحق به من غيرهم بسبب
قربتهم •

أما قطيعتهم فتكون بهجرهم ، والاعراض عن زياراتهم المستطاعة ،
وعدم مشاركتهم فى مسراتهم ، وعدم مواساتهم فى أحزانهم ، وتكون
بتفضيل غيرهم عليهم فى الصلات والعطاءات الخاصة التى هم أحق
بها من غيرهم •

وقد وصف الله المؤمنين أهل الجنة ، بأنهم يصلون ما أمر الله
به أن يوصل ، ويدخل فى ضمن ذلك صلة الرحم ، قال الله تعالى :
﴿ والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ﴾ (١) •

ووصف الله من لهم اللعنة ولهم سوء الدار بأنهم يقطعون ما أمر
الله به أن يوصل ، ويدخل فى ضمن ذلك قطيعة الرحم • قال الله تعالى :
﴿ والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن
يوصل ويفسدون فى الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار ﴾ (٢) •
وصلة الرحم من موجبات دخول الجنة •

— عن أبى أيوب خالد بن زيد الأنصارى ، قال : جاء رجل الى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال : دلنى على عمل أعمله يدنى من
الجنة ويباعدنى من النار • قال : « تعبد الله لا تشرك به شيئاً ، وتقيم
الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصل ذا رحمك » فلما أدبر ، قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « ان تمسك بما أمر به دخل الجنة » (٣) ومن
وصل الرحم وصله الله ، ومن قطع الرحم قطعه الله •

(١) الرعد : ٢١

(٢) الرعد : ٢٥

(٣) رواه مسلم ج ١ ص ٤٣ / ١ كتاب الايمان (٤) باب الايمان الذى
يدخل الجنة — رقم الحديث (١٤) •

— عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« الرحم معلقة بالعرش تقول : من وصلني وصله الله • ومن قطعني
قطعه الله » (١) •

وهذا كناية عن أن حق الأرحام حق ثابت ، وأن الله يصل من
وصل الرحم ، ويقطع من قطع الرحم ، نظرا الى أن الرحم مستجيرة
برحمة الله •

— عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال : « ان الرحم شجنة من الرحمن ، فقال الله : من وصلك وصلته
ومن قطعك قطعت » (٢) •

(الشجنة فى اللغة : عروق الشجر المشتبكة ، والمتداخل بعضها
فى بعض ، ولا شك أن الرحم متداخلة متشابكة بعضها مع بعض ،
كتداخل عروق الشجر المشتبكة • وكونها من الرحمن ، أى اشتق
الله لها اسما من اسمه « الرحمن » • وقد جاء هذا المعنى مصرحا به
فى حديث رواه أبو داود وقال عنه : حسن صحيح) •

— عن عبد الرحمن بن عوف قال : سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول : « قال الله تبارك وتعالى : أنا الله وأنا الرحمن ،
خلقت الرحم وشققت لها من اسمى ، فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها
بنته » (٣) •

(بنته : أى قطعت ، فالبت فى اللغة : القطع) •

وقطية الرحم من العناصر التى تحرم القاطع من دخول الجنة :

— عن ابن جبير بن مطعم عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

(١) رواه مسلم ج ٤ ص ١٩٨١ / ٤٥ كتاب البر والصلة (٦)
باب صلة الرحم — رقم الحديث (٢٥٥٥) •

(٢) رواه البخارى ج ٧ ص ٧٣ كتاب الأدب — باب من وصل
وصله الله •

(٣) رواه أبو داود والترمذى واللفظ له ، ج ٣ ص ٢١١ / ٩ باب
ما جاء فى قطيعة الرحم — رقم الحديث (١٩٧٢) •

قال : « لا يدخل الجنة قاطع »^(١) أى قاطع رحم ، وقاطع لما أمر الله به
أنه يوصل ، وهذا يفضى الى الكفر الذى يتردد فيه العبد على أمر
الله ، ويرفض فيه طاعته .

وليس الواصل لرحمه هو أن يعامل أرحامه بالمثل ، فإن وصلوه
وصلهم ، وإن قطعوه قطعهم ، ولكن الواصل هو الذى إذا قطعت
رحمه وصلها :

— عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، عن النبى صلى الله عليه وسلم
قال : « ليس الواصل بالمكافىء ، ولكن الواصل الذى إذا قطعت رحمه
وصلها »^(٢) .

وشكا رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قطيعة قرابة له ،
على الرغم من أنه يواصلهم ويحسن اليهم ، ويعلم عنهم ، فأبان له
الرسول صلى الله عليه وسلم مبلغ عقوبتهم عند الله على قطيعتهم
واساءتهم له ان صدق فيما يقول :

— عن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن رجلا قال : يا رسول الله ،
إن لى قرابة أصلهم ويقطعونى . وأحسن اليهم ويسيثونى الى . وأحلم
عنهم ويجهلونى على . فقال : « لئن كنت كما قلت ، فكأنما تسفهم
المل . ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ، ما دمت على ذلك »^(٣) .

(المل : هو الرماد الحار . والمعنى فكأنما تطعمهم الرماد الحار ،
وهذا تشبيه لنوع العقاب الذى يجازون به يوم القيامة على قطيعتهم
لرحمتهم) .

— عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« إن الله خلق الخلق . حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت : هذا

(١) رواه البخارى ومسلم واللفظ له ، ج ٤ ص ١٩٨١/٥ كتاب
البر والصلة (٦) باب صلة الرحم — رقم الحديث (٢٥٥٦) .
(٢) رواه البخارى ج ٧ ص ٧٣ باب ليس الواصل بالمكافىء .
(٣) رواه مسلم ج ٤ ص ١٩٨٢/٥ كتاب البر والصلة (٦)
باب صلة الرحم — رقم الحديث (٢٥٥٨) .

مقام العائد من القطيعة • قال : نعم • أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك ؟ قالت : بلى • قال : فذاك لك » (١) •

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اقرأوا إن شئتم : **فهل عسيتم أن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم • أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم • أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها** » (٢) •

فمن هذه النصوص يتبين لنا أن قطيعة الرحم معصية كبيرة ، واثم شنيع ، وأبى عقابها عند الله عقاب مريع ، ونحن نعلم أن الوالدين أقرب الرحم ، نعوذ بالله من سوء العمل ، ومزالق الزلل ، وكبائر الاثم ، وسوء المصير •

ومن لطائف الشريعة أن الصدقة على المسكين تحسب بصدقة ، أما الصدقة على ذى الرحم فتحسب بإثنتين ، صدقة وصله :

— عن سلمان بن عامر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الصدقة على المسكين صدقة ، وعلى ذى الرحم صدقة وصله » (٣) •

وصله الرحم مما يكافىء الله عليه فى الدنيا بيسط الرزق وإطالة العمر ، وهذا ثواب معجل يتسابق اليه معظم الناس ، وهو زائد على ثواب الآخرة الذى ادخره الله للمؤمنين الذين يعملون الصالحات ابتغاء مرضاته :

— عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من أحب أن ييسط له فى رزقه وينسأ له فى أثره فليصل رحمه » (٤) •

(ينسأ : أى يؤخر ، والنسأ هو التأخير) •

(١) رواه البخارى ومسلم واللفظ له ، ج ٤ ص ١٩٨٠/٥ كتاب البر والصلة (٦) باب صلة الرحم — رقم الحديث (٢٥٥٤) •

(٢) محمد : ٢٢ — ٢٤

(٣) رواه الترمذى ج ٢ ص ٢٦/٨٤ باب ما جاء فى الصدقة على ذى القربى — رقم الحديث (٦٥٣) •

(٤) رواه البخارى ج ٧ ص ١٢/٧٢ باب من بسط له فى الرزق •

والمراد من الأثر : الأجل والعمر ، وذلك لأن عمر الإنسان في هذه الحياة هو الزمن الذي تسجل له فيه آثاره - أى أعماله ذات الآثار - سواء أكانت خيراً أو شراً . فيكون المعنى المراد من « وينسأ له في أثره » : يؤخر له في عمره ، أى يطول له في عمره .

وأفضل الصدقة وأفضل أعمال البر هو ما كان منها على الأرحام والأقربين ما وجد فيهم ذو حاجة .

— عن زينب الثقفية امرأة عبد الله بن مسعود ، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تصدقن يا معشر النساء ولو من حليكن » قالت : فرجعت الى عبد الله فقلت : انك رجل خفيف ذات اليد ، وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمرنا بالصدقة . فاته فأسأله : فان كان ذلك يجزى عنى والا صرفتها الى غيركم . (تريد بذلك اعطاء صدقتها الى زوجها اذا كان ذلك جائزاً) قالت : فقال لى عبد الله : بل ائتيه أنت . قالت : فانطلقت . فاذا امرأة من الأنصار ياب رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجتى حاجتها . قالت : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ألقى عليه المهاية . قالت : فخرج علينا بلال فقلنا له : ائت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره أن امرأتين بالباب تسألانك : أتجزى الصدقة عنهما على أزواجهما ، وعلى أيتام فى حجورهما ؟ ولا تخبره من نحن . قالت : فدخل بلال على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من هما » ؟ فقال : امرأة من الأنصار وزينب . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أى الزيانب » ؟ قال : امرأة عبد الله . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لهما أجران : أجر القرابة وأجر الصدقة » (١) .

(١) رواه مسلم ج ٢ ص ١٢/٩٦٤ كتاب الزكاة (١٤) باب فضل النفقة على الأقربين - رقم الحديث (١٠٠٠) .

هذه تعاليم الاسلام الرائعة ، وهذا حال نساء الصدر الأول من المسلمين . والأمر بصلة الرحم من أوائل ما أنزل من التشريع فى الاسلام .

— عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : كان أبو طلحة أكثر أنصارى بالمدينة مالا . وكان أحب أمواله إليه يرحى (اسم لحديقة من فخل) وكانت مستقبلة المسجد . وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب . قال أنس : فلما نزلت هذه الآية : ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ (١) قام أبو طلحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ان الله يقول فى كتابه : ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ ، وان أحب أموالى الى يرحى . وانها صدقة لله ، أرجو برها وذخرها عند الله . فضعها يا رسول الله حيث شئت . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بخ بخ ! ذلك مال رابح . ذلك مال رابح . » قد سمعت ما قلت فيها . وانى أرى أن تجعلها فى الأقربين » فقسمها أبو طلحة فى أقاربه وبنى عمه (٢) .

— عن أبى أيوب الأنصارى أن رجلا قال : يا رسول الله ، أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « تعبد الله ولا تشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصل الرحم » (٣) . وصلة الرحم مطلوبة فى الاسلام ، ولو كانت الرحم غير مسلمة ، ولكن صلتها حينئذ تكون فيما لا يتعارض مع الاسلام وأحكامه أو مع مصلحة المسلمين :

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : لما أنزلت هذه الآية : ﴿ وَانذُرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ (٤) . دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا فعم وخص . فقال : « يا بنى كعب بن لؤى أنقذوا أنفسكم

(١) آل عمران : ٩٢

(٢) رواه البخارى ومسلم واللفظ له ، ج ٢ ص ١٢/٦٩٣ كتاب

الزكاة (٤) باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين — رقم الحديث (٩٩٨) .

(٣) رواه البخارى ج ٧ ص ٧٢ باب فضل صلة الرحم .

(٤) الشعراء : ٢١٤

من النار • يا بنى مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار • يا بنى عبد
شمس أنقذوا أنفسكم من النار • يا بنى عبد مناف أنقذوا أنفسكم من
النار • يا بنى هاشم أنقذوا أنفسكم من النار • يا بنى عبد المطلب أنقذوا
أنفسكم من النار • يا فاطمة أنقذى نفسك من النار فانى لا أملك لكم
من الله شيئاً ، غير أنى لكم رحماً سألها يبلاها « (١) » .

(يبلاها : البلال مصدر بله بالماء اذا قداه به ، جمع البلال ،
والعرب يطلقون الندادة على الصلة ، واليس على القطيعة) • ومعنى
الحديث : سألها - شبهت قطيعة الرحم بالحرارة ، ووصلها باطفاء
الحرارة ببرودة • ومنه : بلوا أرحامكم : أى صلوها •

وصلة الرحم قد تكون مقدمة على عتق الرقاب فى بعض الأحوال :
- عن أم المؤمنين ميمونة ، أنها أعتقت وليدة ، ولم تستأذن
النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما كان يومها الذى يدور عليها فيه ،
قالت : أشعرت يا رسول الله أنى أعتقت وليدتى ؟ قال : « أو فعلت » ؟
قالت : نعم • قال : « أما أفك لو أعطيتها أخوالك كان أعظم
لأجرك » (٢) •

ويظهر أن أخوالها كانوا ذوى حاجة ، أو أن صلتها لهم تؤلف
قلوبهم ، وتجبر خواطرهم •
فصلة الرحم ظاهرة ترجع الى جملة من الأسس الأخلاقية ، منها
الرحمة ، ومنها حب الحق وإيثاره ، لأن الله تعالى قد عقد بين الرحم
شبكة حقوق متبادلة ، ومنها الدافع الجماعى ، والشعور بالمحبة تجاه
الآخرين •

وأبان الرسول صلى الله عليه وسلم أن صلة الأرحام من الأعمال
التي يشيب الله عليها بشوايين معجلين فى الدنيا •

(١) رواه مسلم ج ١ ص ٨٩/١٩٢ باب فى قوله تعالى : ﴿ وانذر
عشيرتك الأقربين ﴾ - رقم الحديث (٢٠٤) •
(٢) رواه البخارى ج ٣ ص ١٣٥ باب هبة المرأة لغير زوجها وعتقها .

الأول : البسط فى الرزق والتوسعة فيه ، فالذى يصل رحمه
يسط الله له فى رزقه •

الثانى : اطالة العمر والبركة فيه •

وأبان الرسول صلى الله عليه وسلم أن المكافئ على الصلة
بمثلها ليس هو الواصل ، إنما الواصل هو الذى اذا قطعت رحمه
وصلها • وأبان أن قطيعة الرحم من الذنوب التى يعجل الله لصاحبها
العقوبة فى الدنيا ، مع ما يدخره له فى الآخرة من عقوبة •

وتفهم من حديث ميمونة مع أحاديث أخرى أن الأفضليات الواردة
فى كلام الرسول صلى الله عليه وسلم كثيرا ما كان يراعى الرسول
فيها حال السائل وظروف الحادثة ، فلكل حادثة حكمها ، ومن العسير
الحكم بالأفضلية المطلقة الا الايمان • وفيما عدا ذلك كثيرا ما تتبادل
الأعمال الأفضليات بحسب المصالح التى تتحقق بها (١) •

عقوق الوالدين

عقوق الوالدين : هو اهمال حقوقهما ، والخروج عن طاعتهما ،
وفعل ما لا يرضيهما ، وايداؤهما ولو بكلمة مرة ، أو نظرة شرة •••
فمن فعل شيئا من هذا استحق سخط الله تعالى ، وحرم معوته ،
وارتكب اثما من أكبر الكبائر (٢) •

عن أبى بكره رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول : « كل الذنوب يؤخر الله ما شاء منها الى يوم القيامة ،
الا عقوق الوالدين فان الله تعالى يعجله لصاحبه فى الحياة قبل
الممات » (٣) •

(١) انظر : الاخلاق الاسلامية واسسها - عبد الرحمن الميدانى

ج ٢ ص ٣٤ - ٤١

(٢) انظر : منهاج التربية الصالحة - أحمد عز الدين البيانونى ص ١٤٥

(٣) رواه المستدرک على الصحيحين - الحاكم النيسابورى ج ٤

ص ١٥٦ كتاب البر والصلة •

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : رضا الرب فى رضا الوالد . وسخط الرب فى سخط الوالد (١) .

قضت الفطرة السليمة بأن الوالدين لهما حقوق على أولادهما لا يمكن أن يفوا بجزء منها . اذ هم مدينون لهما بتربيتهم وتنشئتهم ورعايتهم . وأن يذكروا كم بذل الأبوان فى سبيل راحتهم واسعادهم من جهد وسهر وحنان .

ثم ليذكر الولد من رعاه ، ومن أطعمه وسقاه ، ومن علمه ورباه ، ومن بذل راحته لهناه ، ليذكر الولد من احتمل العناء فى سبيله .

ولقد صدق من قال : انه لا يوجد فى الحياة من يعتبر بحق مثال التضحية الصامته الصابرة المثابرة الراضية المطمئنة كالوالدين بالنسبة لأولدهما ، لذلك كان برهما مقتضى الفطرة ، لأنه شكر للنعمة واعتراف بالجميل . لقد أمر الشارع الحكيم بالاحسان الى الوالدين فى غير موضع من الكتاب الكريم وجعل تعالى طاعتهم مقرونة بطاعته ، وقضى بالبر اليهما بجانب عبادته ، وأعلن عن رضاه فى رضاها وعن سخطه فى سخطهما . لأن الوالدين سبب وجود الانسان وهما مصدر البر والرحمة والحنان ، فالأم التى رأت أنواع المشقة والآلام فى سبيل اسعاده ، والوالد يشقى ليوفر لولده حياة الرغد والأمن والاستقامة . لذلك حرص الاسلام على رضا الوالدين ، وجعل حتى التطوع للجهاد بغير اذنهما لا يجدى نفعا .

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : أقبل رجل الى نبي الله صلى الله عليه وسلم فقال : أبايعك على الهجرة والجهاد ، أبتغى الأجر من الله . قال : « فهل من والديك أحد حى » ؟ قال : نعم ،

(١) الأدب المفرد - البخارى ص ١١ باب قوله تعالى : ﴿ ووصيناك

الانسان بوالديه حسنا ﴾ .

بل كلاهما • قال : « فتبتغي الأجر من الله » ؟ قال : نعم • قال : « فارجع الى والديك فأحسن صحبتهما » (١) •

وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « رغم أنف ، ثم رغم أنف ، ثم رغم أنف » قيل : من • • يا رسول الله ؟ قال : « من أدرك أبويه عند الكبر ، أحدهما أو كليهما فلم يدخل الجنة » (٢) •

عن أسماء بنت أبي بكر رضى الله عنهما قالت : قدمت على أمى ، وهى مشركة ، فى عهد قريش اذ عاهدتهم • فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله ، قدمت على أمى وهى راغبة • أفأصل أمى ؟ قال : « نعم • صلى أمك » (٣) • فالرسول صلى الله عليه وسلم يأمر أسماء أن تصل أمها مع أنها مشركة • وقد أوصى تبارك وتعالى بهما مع عدم إيمانهما : ﴿ وان جاهدك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفاً ﴾ (٤) •

وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم البر بأصدقاء الأب من أير البر : عن ابن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما قال : ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أير البر أن يصل الرجل ود أبيه » (٥) •

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يهدى لصديقات السيدة خديجة بعد وفاتها برا بها ووفاء لها وهى زوجته ، فكيف بالوالدين ؟

(١) رواه مسلم ج ٤ ص ٤٥/١٩٧٥ كتاب البر والصلة (١) باب بر الوالدين - رقم الحديث (٢٥٤٩) •

(٢) رواه مسلم ج ٤ ص ٤٥/١٩٧٨ كتاب البر والصلة (٣) باب رغم أنف من أدرك أبويه - رقم الحديث (٢٥٥١) •

(٣) رواه البخارى ومسلم واللفظ لمسلم ، ج ٢ ص ١٢/٦٩٦ الزكاة (١٤) باب فضل النفقة على الاقربين (٥٠) •

(٤) لقمان : ١٥

(٥) رواه مسلم ج ٤ ص ٤٥/١٩٧٩ كتاب البر والصلة رقم (١٢) •

روى عن أبى أسيد الأنصارى قال : كنا عند النبی صلی الله عليه وسلم فقال رجل : يا رسول الله ، هل بقى من بر أبوى شیء بعد موتهما أبرهما ؟ قال : « نعم » الصلاة عليهما ، والاستغفار لهما ، وإتفاذ عهدهما ، وإكرام صديقهما » (١) .

فرضاء الأبوين يعود على الابن بالخير العظیم ، وهو طریق يصل به الى الجنة .

— عن عمرو بن مرة قال : جاء رجل الى النبی صلی الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، شهدت أن لا اله الا الله وأنت رسول الله ، وصليت الخمس وأدیت زكاة مالى وصمت شهر رمضان . فقال النبی صلی الله عليه وسلم : « من مات على هذا كان مع النبین والصديقین والشهداء يوم القيامة هكذا — ونصب أصبعیه — ما لم يعق والديه » (٢) .

فهذا الحديث يدل على أن عقوق الوالدين لا ينفع معه أى طاعة ، اذ به يستحق سخط الله وعذابه فى الحياة وبعد الممات .

— عن أنس بن مالك رضى الله عنه ، عن النبی صلی الله عليه وسلم ، فى الكبائر قال : « الشرك بالله . وعقوق الوالدين . وقتل النفس . وقول الزور » (٣) .

— لقد جعل رسول الله صلی الله عليه وسلم عقوق الوالدين من أكبر الكبائر وأن مرتبته بعد الشرك بالله . لأن من أعق والديه فقد أساء الى من أحسن اليه ، وعامل بالقسوة أشد الناس به رحمة ، وهذا يدل على خبث فى النفس ، ودناءة فى الخلق . فعاق الوالدين لا خير فيه لأحد ، لأن الذى يضيع حق أعز الناس عليه لا يؤمن على حق أحد .

(١) الأدب المفرد — للبخارى ص ٢٠/١٩ باب بر الوالدين بعد موتهما — رقم الحديث (٣٥) .

(٢) رواه أحمد والطبرانى : مجمع الزوائد ومنبع الفوائد — الهيثمى ج ٨ ص ١٤٧ باب ما جاء فى العقوق .

(٣) رواه مسلم ج ١ ص ٣٨/٩١ باب بيان الكبائر وأكبرها — رقم الحديث (٨٨) .

عن ابن عمر رضى الله عنهما ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ثلاثة لا ينظر الله اليهم يوم القيامة : العاق لوالديه ، ومدمن الخمر ، والمنان عطاءه . » وثلاثة لا يدخلون الجنة : العاق لوالديه ، والديوث ، والرجلة » ، وفى رواية : « المترجلة تشبه الرجال » (١) .

وروى عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه شابا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى « علقمة » مرض واشتد مرضه ، فقيل له : قل لا اله الا الله ، فلم ينطق لسانه ، فأخبر بذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال : « هل له أبوان » ؟ فقيل : مات أبوه وله أم كبيرة ، فأرسل اليها رسول الله ، فجاءت فسألها عن حال ابنها فقالت : كان كذا وكذا وكان يتصدق بجملة دراهم ما ندرى وزها ولا عددها . فقال لها رسول الله : « فما حالك وحاله » ؟ قالت : أنا عليه ساخطة واجدة — أى غاضبة — قال لها : « ولم ذلك » ؟ قالت : كان يؤثر على امرأته ، ويطيئها فى الأشياء ، فقال رسول الله : « سخط أمه حجب لسانه عن شهادة أن لا اله الا الله ، ثم قال لبلال : « انطلق واجمع خطبا كثيرا حتى أحرقه بالنار » ، فقالت أمه : يا رسول الله ، ابنى وشرة فؤادى تحرقه بالنار بين يدي ، وكيف يحتل قلبى ذلك ؟ فقال لها الرسول : « أيسرك أن يغفر له ؟ فارضى عنه . » فوالذى نفسى بيده ، لا ينتفع بصلاته ولا بصدقته ولا بصومه ما دمت عليه ساخطة » ، فرفعت يدها الى السماء وقالت : أشهد الله تعالى فى سمائه وأنت يا رسول الله ومن حضر أنى قد رضيت عنه . فقال رسول الله : « انطلق يا بلال فانظر هل يستطيع علقمة أن يقول لا اله الا الله ، فلعن أمه تكلمت بما ليس فى قلبها حياء من رسول الله » فانطلق بلال ، فلما انتهى الى الباب سمع علقمة يقول : لا اله الا الله ومات من يومه (٢) .

(١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج ٨ ص ١٤٨ باب ما جاء فى العقوق .

(٢) رواه الطبرانى ، واحمد ، انظر : مجمع الزوائد ومنبع الفوائد — الهيثمى ج ٨ ص ١٤٧/١ فى العقوق .

— عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من الكبائر شتم الرجل والديه » قالوا : يا رسول الله ، وهل يشتم الرجل والديه ؟ قال : « نعم • يسب أبا الرجل فيسب أباه • ويسب أمه ، فيسب أمه » (١) •

لأن المشتوم يكون فى حالة تأثر وانفعال يستحيل معها أن يقابل ما لحقه من أذى وإهانة بالصمت والسكوت ، بل لا بد له من أن يثار وينتقم ، فيرد على الشتائم بما يشفى غلته • ويطفىء غيظه فيكون البادىء ، والبادىء أظلم ، لذلك يجب الابتعاد عن كل ما يجلب لهما الأذى والاساءة ولو بطريق التسبب •

ثم اذ الذى يسىء الى والديه لا يرجى منه الاحسان الى أى انسان ، وكيف يرجى منه الاحسان للغير ولم يحسن الى من ربياه صغيرا ، ونسى عطفهما وعنايتهما ورعايتهما مما يدل على دناءة نفسه وخسة طبعه •

لقد جمع القرآن الكريم بين عبادة الله والأمر بالاحسان الى الأبوين والصبر على خلمتهما ، والتفانى فى رضائهما ، وخفض الصوت أمامهما ، ولكن يوجد أبناء لا يقدران شرف الأبوة • ولم يؤثر فيهم معروف الأمومة فتذكروا لآبائهم ، وعقوا أمهاتهم ، وطردهم من بيوتهم ارضاء لزوجاتهم • وترى المحاكم الشرعية مشغولة بفرض النفقات على الأولاد العاقين لآبائهم العاجزين •

وقد ذكر الفقهاء بأن النفقة لا تجب الا على ذا يسار بحيث يفضل من حاجاته الأصلية الا الأبوين فانه لا يشترط أن يكون الولد بالنسبة لأبويه موسرا مادام قادرا على العمل لكى يعينهما فى شيخوختهما • وان لم يكن فى كسبه ما يفضل لهما ضمهما اليه وأكل معهما مما يكسب قليلا كان أو كثيرا • وذلك لأن القرآن الكريم نهى الولد أن يتأفف

(١) رواه مسلم ج ١ ص ٣٨/٩٢ باب بيان الكبائر واكبرها — رقم الحديث (٩٠) •

من أبويه اذا بلغا عنده الكبر ، واذا كان لا يسوغ له أن يتأفف منهما ،
فأولى ألا يتركهما جائعين •

وحقوق الأبوين على أولادهم لا يحدها حد ، ولا يفيها عطف
أو عطاء ، لأنهما بذلا شبابهما وراحتهما وعافيتهما في سبيل اسعاد
أولادهم والسهر على راحتهم ، ومهما عمل الأولاد فهو جزء ضئيل من
حقوقهما •

ولنختم هذه الكلمة بشكاة الشاعر الجاهلي دريد بن الصمة
من ولده الذي بنى آماله كلها على رعايته وسد حاجاته عند شيخوخته ،
ولكنه كان على النقيض من ذلك • فقال معاتباً على ذلك الولد العاق
الناكر للجميل :

غذوتك مولودا وعلتك يافعا	تعل بما أدنى اليك وتنهبل
اذا ليلة فابتك بالشكو لم أبت	لشكواك الا ساهرا أتململ
كأنتى أنا المطروق دونك بالأذى	طرقت به دونى فعينى تهمل
تخاف الردى قضى عليك وانها	لتعلم أن الموت وقت مؤجل
فلما بلغت السن والغاية التى	اليها مدى ما كنت فيك أومل
جعلت جزائى منك جبها وغلظة	كأنك أنت المنعم المتفضل
فليتك اذ لم ترع حق أبوتى	فعلت كما الجار المجاور يفعل ^(١)

* * *

٢ - عدم نهرهما والتضجر منهما ، لقوله تعالى :

﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا ، اما يبلغن عندك
الكبر احدهما او كلاهما فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا
كريما • واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما
ربيانى صغيرا ﴾ (٢) •

(١) انظر : من هدى النبوة - كمال الدين الطائى ص ٣٧٦

(٢) الاسراء : ٢٣ ، ٢٤

وقد تضمنت هاتان الآيتان :

١ - الأمر بالاحسان الى الوالدين مقابل احسانهما الى الولد ،
وجزاء فضلهما عليه واقتران ذلك بالأمر بالعبادة .

٢ - النهى عن فھرهما بغلظة ، وزجرهما بخشونة ، وعن كل
ما يتضجر منه وان كان بكلمة « أف » الدالة على الضجر والتبرم . واذا
كانت كلمة « أف » منھيا عنها فما بالنا بغيرھا !! وهذا النهى ليس
خاصا بحالة الكبر وانما هو نهى عام فى جميع الأحوال .

٣ - وعلى الأولاد أن يتخيروا فى مخاطبة آبائهم أجمل الكلمات
والطف العبارات وأن يكون قولهم كريما لا يصحبه شيء من العنف .
٤ - وعليهم أن يتدللوا لآبائهم ويخفضوا جناح الذل لھم رحمہ
بھم وعطفا علیھم .

٥ - من حق الآباء كذلك أن يدعو لھم الأبناء الله بأن يظلمھم
برحمته التى وسعت كل شيء وأن يقول الولد فى دعائه لوالديه :
« رب ارحمھما كما ربيانى صغيرا » . وقوله : « كما ربيانى »
خص التربية بالذكر ليتذكر العبد شفقة الأبوين وتعبھما فى التربية
فيزيده ذلك اشفاقا وحنانا عليھما .

قال ابن عباس : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « من أمسى
مرضيا لوالديه وأصبح ، أمسى وأصبح وله بابان مفتوحان من الجنة ،
وان واحدا فواحد . ومن أمسى وأصبح مسخطا لوالديه ، أمسى وأصبح
وله بابان مفتوحان الى النار وان واحدا فواحد » . فقال رجل : يا رسول
الله ، وان ظلماء ؟ قال : « وان ظلماء ، وان ظلماء . وان ظلماء » (١) .

٣ - الاحسان اليھما بالقول الكريم والدعاء بالرحمة والاستغفار ،

(١) انظر : الأدب المفرد - للبخارى ص ١٢/٤ باب بر الوالدين
وان ظلماء رقم (٧) .

وبالبذل والعطاء . قال تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَسَنًا ﴾ (١)
ينبغي للمسلم أن يحسن إلى والديه ويبرهما جزاء ما قدموا له
في الصغر ويذل كل جهده في إرضائهما ، وبر الوالدين ليس مقصورا
على حياتهما ، وإنما هو مستد إلى ما بعد الوفاة كما بين الله سبحانه
وتعالى على لسان نوح : ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِن دَخَلْ بَيْتِي مُؤْمِنًا
وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ (٢) .

وقال سبحانه على لسان إبراهيم : ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ
وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾ (٣) .

فرابطة المودة باقية في الحياة وبعد الممات بالدعاء والاستغفار :
فقد جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يا رسول
الله ، هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد وفاتهما ؟ قال : « نعم :
الصلوة عليهما ، والاستغفار لهما ، وإنفاذ عهدهما من بعدهما ، وصلة
الرحم التي لا توصل إلا بهما ، وإكرام صديقتهما » (٤) .

٤ - أن يأخذ الوضع اللائق أمامهما بتعديل جلسته والبعد عن
أوضاع اللامبالاة أمامهما كمد الرجل أو رفعها في مواجهتهما أو القهقهة
أو الاضطجاع أو الغناء أو التعري وغيرها .

٥ - مساعدتهما في أعمالهما : فليس من اللائق أن تسير إلى
جانب والدك وهو يحمل في يده شيئا وأنت لا تحمل شيئا ، بل الأدب
أن تحمله عنه وأن تساعد في عمله ، وأن تعاون البنت أمها في تدبير
المنزل ، ومن مساعدتهما الحفاظ على نظافة البيت والأثاث والملابس .
ومن مساعدة الوالد : الدراسة بجد حتى تحقق النجاح وتوفر عليه

(٢) نوح : ٢٨

(١) العنكبوت : ٨

(٣) إبراهيم : ٤١

(٤) رواه الترمذي ج ٥ ص ٣٥٢/١٢٩ باب بر الوالدين رقم الحديث

(٥١٤٢) .

مصرف السنة التي تخفق فيها ، ومن مساعدتهما اهتمام الأخوة
الكبار بالصغار ، سواء في التوجيه أو بالاعتناء بهم أو بتعليمهم .

٦ - الحفاظ على سمعة والديك وكرامتهم ، وذلك بعدم الاساءة
الى الناس كي لا يتعرضوا بالاساءة الى والديك بالشتم والتجريح .

عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : قال النبي صلى الله عليه
وسلم : « من الكبائر أن يشتتم الرجل والديه » فقالوا : كيف يشتتم ؟
قال : « يشتتم الرجل ، فيشتتم أباه وأمه » (١) .

ان حق الوالدين على الولد من أجل الحقوق وأعظمها بعد حق
الله سبحانه وتعالى لأن الله اذا كان هو الخالق الحقيقي للولد فانه
سبحانه يجعل لكل شيء سببا ، وقد جعل الوالدين هما مصدر
هذا الخلق وسببه المباشر ، ولأنهما يبذلان من التضحيات والجهود من
أجل تربية الأولاد واعدادهم للحياة ما يستحقان المكافأة عليه (٢) .

* * *

الأدب مع الوالدين

لا يخفى على المرء ما يتحملة الوالدان من مشقة وعناء في سبيل
سعادة أولادهم والسهر على مصالحهم وما يكتان لهم من حب وعطف .
ومن الوفاء مقابلة الاحسان بالاحسان ، ومهما قدم المرء لوالديه من ضروب
البر والاحسان يبقى عاجزا عن أن يفهما حقهما أو أنه يرد اليهما جميلهما :
« وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا » (٣) ، ومن الاحسان
اليهما التزام الأدب معهما . واليك بعض هذه الآداب :

(١) الأدب المفرد - للبخارى ص ١٨ / ١٤ باب لا يسب والديه
رقم (٢٧) .

(٢) انظر : علاقة الآباء بالأبناء في الشريعة الاسلامية - سعاد ابراهيم
صالح ص ٢٧

(٣) الاسراء : ٢٣

١ - طاعتها : والطاعة دليل المحبة ، وطاعة الوالدين واجبة في المعروف لا في معصية الله . فانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق . لقوله تعالى :

﴿ وان جاهدك على ان تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا ، واتبع سبيل من اناب الى ، ثم الى مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون ﴾ (١) .

قال القرطبي : « ان طاعة الأبوين لا تراعى في ارتكاب كبيرة . ولا في ترك فريضة ، وتلزم طاعتها في المباحات » . وتقل عن الحسن انه قال : « ان منعه أمه من شهود صلاة العشاء شفقة فلا يطعها » . وقد ذهب بعض الناس الى أن أمرهما بالمباح يصيره في حق الولد مندوبا اليه . وأمرهما بالمندوب يزيده تأكيدا في نهيته . والأساس في هذا قوله تعالى : ﴿ وان جاهدك على ان تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما ﴾ فكما تحرم طاعة الوالدين في الشرك تحرم في كل معصية . لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » (٢) .

ولكن .. هناك بعض الآباء يتعذر ارضاؤهم بما يستطيعه أولادهم من الاحسان ، بل يكلفون الأولاد ما لا طاقة لهم به . فقد تظلم الأم ولدها قليلا مغلوبة لبادرة الغضب ، أو طاعة لما يعرض من أسباب الهوى ، كأن تتزوج رجلا تحبه وهو يكره ولدها من غير ، وكأن يقع التباير بينها وبين امرأة ولدها وتطلب منه أن يطلق زوجته وان لم يقصر فيما يجب لها من البر والاحسان ، وقد يتحكم الآباء في مستقبل أبنائهم انطلاقا من الحرص على تحقيق المصلحة لهم ، وقد يتحكمون في تزويج أولادهم بمن يكرهون أو اكراههم على تطلق من يحبون ، فهل تجب طاعة الوالدين في مثل هذه الأمور ؟

(١) لقمان : ١٥

(٢) احكام القرطبي - مجلد (٥) ، ص ٣٨٥٣ - ٣٨٥٥

يقول صاحب المنار فى تفسيره لقوله تعالى : ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وبالوالدين احساناً ﴾ (١) : « يجب أن نفهم أن الاحسان للوالدين الذى أمرنا به فى دين الفطرة هو أن نكون فى غاية الأدب مع الوالدين فى القول والعمل بحسب العرف حتى يكونا مغبوطين بنا ، وأن نكفيهما أمر ما يحتاجان اليه من الأمور المشروعة المعروفة بحسب استطاعتنا . فإذا أراد أحدهما أو كلاهما الاستبداد فى تصرفنا فليس من البر ولا من الاحسان شرعاً أن نترك ما نرى فيه الخير العام أو الخاص ونعمل ما نرى فيه الضر العام أو الخاص عملاً برأيهما واتباعاً لهواههما » .

ويعمل رأيه بما جاء فى الهدى النبوى الشريف أن الشيب من النساء أحق بنفسها ، فليس لأبيها ولا لغيره من أوليائها أن يعقلوا لها الا على من تختاره وترضاه لنفسها لأنها لممارستها الرجال تعرف مصلحتها . وأن البكر على حيائها وغرارتها وعدم اختيارها وعلم ما يعلم الأب الرحيم من مصلحتها يجب أن تستأذن فى العقد عليها ويكتفى من اذنها بصمتها . وظاهره أنها اذا لم تظهر الرضا بل صرحت بعدمه لا يجوز العقد عليها . وأما الولد فهو أحق من أبيه بتزويج نفسه اجماعاً ، وليس لأبيه ولاية عليه فى ذلك ، فكيف يتحكم الوالد فى ولده بما لا يحكم به الشرع ولا ترضى به الفطرة (٢) .

ويقصد بذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « الشيب أحق بنفسها من وليها ، والبكر تستأمر واذنها سكوتها » (٣) .

أما ما ورد فى السنن عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه قال : « كانت تحتى امرأة أحبها وكان أبى يكرهها فأمرنى أن أطلقها ، فأتيت النبى صلى الله عليه وسلم فذكرت له فقال : « يا عبد الله ، طلق »

(١) النساء : ٣٦

(٢) انظر : تفسير المنار - محمد رشيد رضا ج ٥ ص ٨٣ - ٨٨

(٣) سنن الدارقطنى ج ٣ ص ٢٣٩

امراًك» (١) فانه خاص بعمر لأنه محقق في كراهتها لشي يراه . وعمر مشهور بورعه وتقواه ، ولا يطلب شيئاً يخالف أحكام الشرع ، وانما ينظر الى المصلحة في جل اجتهاداته . والا فالطلاق لا ينبغي الا لسبب شرعى وليس منه مجرد طلب الوالدين . فانهما غالبا يكرهان الزوجة من غير شيء . والطلاق مما يهتز منه العرش .

* * *

حسن تربية الولد

الأب والأم هما المثل الأعلى للأطفال ، والطفل بطبيعته يحب التقليد ، لذا كثيرا ما ترى طفلة تقلد أمها في لباسها أو طفلا يقلد أباه في جلسته ، وكثيرا ما تنشأ البنت صورة عن أمها والابن صورة عن أبيه ، وقديما قيل : « من شابه أباه فما ظلم » . وكما أن الأولاد أدبا مع والديهم كذلك للآباء آداب أمام أولادهم نوجز بعضها :

١ - أن يكون الأبوان قدوة حسنة لأبنائهم في الاستقامة والصدق والأمانة والصفات الحسنة كلها . فهما أقرب نموذج مثالى لتعليمهم الأدب والتطبع على مكارم الأخلاق ومحاسن العادات ولا يستطيع أحد أن ينكر أثر البيئة على الطفل ، وأفضل وسائل التعليم هي القدوة الحسنة . عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه وينصرانه أو يمجسانه » (٢) .

٢ - أنه لا يظهر أحدهما بمظهر متناقض أمام أولاده كأن يأمرهم بالصدق وهو كذوب ، أو بالامتناع عن شرب الدخان وهو يشربه ، أو بالتعاون والتعاطف بين الأخوة وهو قاطع لرحمه . قال تعالى :

(١) رواه الترمذى وأبو داود ، انظر : التاج لجامع الأصول في احاديث الرسول ج ٢ ص ٣٤٢
(٢) رواه أبو داود ج ٥ ص ١٨/٨٦ باب في ذرارى المشركين - رقم الحديث (٤٧١٤) .

• يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون • كبر مقتا عند الله ان تقولوا
ما لا تفعلون (١) • فان التناقض يفقد النصائح أثرها •

٣ — أن يتعد الوالدان عن التلفظ بالألفاظ الفاحشة والنايية
أمام أولادهم ، كالتلفظ بالكفر والكلام الفاحش والبذىء والحلف
بالطلاق وما شاكل ذلك ، فالطفل كالمسجل يلتقط الكلمة عن والديه ،
فما يلبث أن يعيدها ، كما ليس من الأدب أن يداعب أمهم في حضرتهم ،
أو أن يطردهم من البيت الأتفه الأسباب مما يساعد على افسادهم •

٤ — أن لا يتضايق من البنات أو من كثرتهم ، وأن يسوى في
المعاملة بين الذكور والاناث ، عن شرحبيل رضى الله عنه قال : سمعت
ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما من مسلم تدركه
ابنتان ، فيحسن صحبتهما ، الا أدخلتاه الجنة » (٢) •

٥ — أن لا يخص ولدا بعتاء دون آخر ، أو يمنع أحدا من عطاء
منحة اخوانه ، فإن ذلك يولد الحقد عليه وعليهم لما فى ذلك من
ظلم ، ففى الحديث :

عن النعمان بن بشير • قال : تصدق على أبى بعض ماله •
فقال أمة بنت رواح : لا أرضى حتى تشهد رسول الله صلى
الله عليه وسلم ، فانطلق أبى الى النبي صلى الله عليه وسلم ليشهده
على صدقتى • فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أفعلت
هذا بولدك كلهم » ؟ قال : لا • قال : « اتقوا الله واعدلوا فى
أولادكم » فرجع أبى • فرد تلك الصدقة (٣) •

٦ — أن يحسن تربيتهم ويعلمهم علوم الدنيا ويكفلهم حتى يقدرُوا
على العمل ، فان الولد السىء يدفع الناس الى ذم أبيه وشتمه ، وأن لا ييخل

(١) الصف : ٢ ، ٣

(٢) انظر : الأدب المفرد — للبخارى ص ١/٣٠ باب من عال جاريتين
او واحدة رقم (٧٧) •

(٣) رواه مسلم ج ٣ ص ١٢٤١ باب كراهة تفضيل بعض الاولاد فى
الهبة رقم (١٣) •

عليهم بما يحتاجون من ضرورات الحياة من الطعام واللباس ولوازم العمل والدراسة ، فإن الله ضامن رزقهم قال تعالى : ﴿ نحن نرزقهم وإياكم ﴾ (١) .

ومن المؤسف أن لا يهتم الآباء بدين أبنائهم . فعندما تسوء صحة الولد يسارعون لعلاجه عند الطبيب ، وعندما تسوء أخلاقه فانهم يهملونه . يقصر في بعض المواد الدراسية فيحضرون له المدرس المختص ، ويجهل الدين ويقصر بواجباته الدينية فلا يهتم ذلك مع علمهم أن جزاء المقصرين النار . عجا ، كيف يشاهدون أبناءهم يقبلون على النار ولا يسارعون لانقاذهم منها والله تعالى يقول :

﴿ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾ (٢) .

قال الله تعالى : ﴿ وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ﴾ (٣) .

عن عمرو بن العاص رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين ، وفرقوا بينهم في المضاجع » (٤) .

وقد نبه بعض العلماء الى أن الضرب ينبغي أن يكون غير مبرح (يعنى لا يترك أثرا) ، فان لم يستجب الا بالضرب المبرح تركه ولم يضربه خيفة أن يؤدي الضرب المبرح الى الهروب والكذب وكره الصلاة .

٧ - من أدب الاسلام أن يعامل الوالدان أولادهما بالعطف والرحمة لينشأ الأولاد على حبهما فيستجيبوا لتوجيهاتهما . يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حق الولد على والده أن يحسن أدبه

(٢) التحريم : ٦

(١) الاسراء : ٣١

(٣) طه : ١٣٢

(٤) رواه أحمد وأبو داود والترمذي واللفظ لأبي داود ج ١

ص ٣٣٢/٤٩٥

ويحسن تربيته ، ويقول صلى الله عليه وسلم : « رحم الله والدا أعان ولده على بره »^(١) . وذلك بحسن معاملته وتربيته ، وبأن لا يطلب منه إلا ما يطيق .

عن أبي هريرة رضى الله عنه أن الأقرع بن حابس أبصر النبي صلى الله عليه وسلم يقبل الحسن . فقال : إن لى عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إله من لا يرحم لا يرحم »^(٢) .

* * *

العسل بين الأولاد

لا يفرق الاسلام بين الذكور والإناث فى التربية . فكل من الجنسين الحق فى أن يربى تربية حسنة ، وفى أن يتعلم العلم النافع ، ويدرس المعارف الصحيحة ، ويأخذ بأسباب التأديب ووسائل التهذيب لتكمل إنسانيته ، ويستطيع النهوض بالأعباء الملقاة على عاتقه .

والدليل على ذلك . ما رواه ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من كانت له أنثى فلم يثدها ولم يهنها ، ولم يؤثر ولده (يعنى الذكور) عليها أدخله الله الجنة »^(٣) .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من كان له ثلاث بنات فصبر على لأوائهن وضرائهن وسرائهن أدخله الله الجنة برحمته إياهن » فقال رجل : واثنين يا رسول الله ؟

(١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - الهيثمى ج ٨ ص ١٤٦ باب إعانة الولد على البر .

(٢) رواه مسلم ج ٤ ص ١٨٠٨/٣ كتاب الفضائل (١٥) باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال رقم (٢٣١٨) .

(٣) رواه أبو داود ج ٥ ص ٣٥٤/١٣٠ باب فى فضل من عال يتيما رقم الحديث (٥١٤٦) .

قال : « واثنان » • قال رجل : يا رسول الله ، وواحدة ؟ قال :
« واحدة » (١) •

ولكى يكون زينة الحياة الدنيا ، وعملا صالحا فى الأخرى ،
أوجب الاسلام على الآباء رعاية أبنائهم ، وتربيتهم تربية أساسها الدين
والخلق القويم لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مروا أولادكم
بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين ،
وفرقوا بينهم فى المضاجع » (٢) •

كل ذلك ليتعودوا على الطاعة والالتقياد ، وأن يكون التأديب
بالرفق واللين • لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الرفق
لا يكون فى شيء الا زانه ولا ينزع من شيء الا شاته » (٣) •

عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال : « أكرموا أولادكم ، وأحسنوا أدبهم » (٤) •

روى أبو حفص عمر بن أبى سلمة قال : كنت فى حجر رسول
الله صلى الله عليه وسلم وكانت يدي تطيش فى الصحيفة - أى تلدور
فى فواحى طبق الطعام - فقال لى : « يا غلام ، سم الله وكل بيمينك ،
وكل مما يليك » (٥) •

ولكى يكون الولد ثمرة طيبة ، وذكرنا حسنا ، وذخيرة عند الله
تعالى ، يجب تنشئته على الآداب والفضائل ، الآن من شب على
شيء شاب عليه • وقديما قال الامام الغزالي : كما أن البلن فى

(١) رواه الحاكم وقال : صحيح الاسناد ، الترغيب والترهيب ج ٤
ص ١٢٧

(٢) رواه أبو داود ج ١ ص ٣٢ رقم الحديث (٤٩٥) •

(٣) رواه مسلم ج ٤ ص ٢٠٠/٥ كتاب البر والصلة والآداب (٢٣)
باب فضل الرفق رقم (٧٨) •

(٤) رواه ابن ماجه ج ٢ ص ٣٣/١٢١١ كتاب الأدب رقم الحديث
(٣٦٧١) •

(٥) رواه مسلم ج ٣ ص ٣٦/١٥٩٩ كتاب الاشرية (١٣) باب آداب
الطعام والشراب (١٠٨) •

الابتداء لا يخلق كاملا ، وانما يكمل ويقوى بالنشوء والتربية والغذاء ،
فكذلك النفس تخلق ناقصة قابلة للكمال ، وانما تكمل بالتربية وتهذيب
الأخلاق والتغذية بالعلم ، والصبي اذا أهمل فى ابتداء نشوئه ، خرج
فى الأغلب رديء الأخلاق كذابا حسودا سريقا نماما لحوحا ذا فضول
وكياد ، وانما يحفظ من جميع ذلك بحسن التأديب الذى يجعله متعة
الحياة ، وعونا على شئونها ، وذخرا بعد الممات ، لأنه الولد
الصالح كله خير لأبويه فى حياتهم وبعد مماتهم^(١) .

وقد قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما عند تفسيره لقوله
تعالى ﴿ يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس
والحجارة ﴾ (٢) :

اعملوا بطاعة الله ، واتقوا معاصى الله ، ومروا أولادكم بامثال
الأوامر واجتناب النواهي ، فذلك وقاية لكم من النار .

وفى الحديث الشريف : « إن الله تعالى سائل كل راع عما استرعاه
حفظ أم ضيع ، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته » .

ثم لا فرق فى الحب بين الذكور والاناث ، وكذا فى العطية حتى
يكونوا فى البر سواء .

وفى الأثر : « ان الله يحب أن تعدلوا بين أولادكم حتى فى القبل » .

ومثله : « ساووا بين أولادكم فى العطية » . وذلك خشية التنافس
والتحاسد بين الأولاد . ويحرم على الأب أن يؤثر أحد أولاده بمنحة
أو عطية لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اعدلوا بين
أبنائكم . اعدلوا بين أبنائكم . اعدلوا بين أبنائكم » قال ذلك عندما
طلبت عمرة بنت رواحة امرأة بشير بن سعد الأنصارى من زوجها

(١) احياء علوم الدين - الغزالي ج ٣ باب واجب الآباء والمربين فى
توجيه أبنائهم ص ٧٠ وما بعدها .
(٢) التحريم : ٦

أن يخص ولدها النعمان بن بشير بمنحة فيهب له غلاما كان يملكه دون أخوته . وطلبت منه أن يشهد عليه رسول الله فذهب بشير الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له : يا رسول الله ، ابن ابنة فلان - يعنى زوجته - سألتنى أن أنحل ابنها غلامى ، فقال صلى الله عليه وسلم : « له أخوة » ؟ قال : نعم . قال : « فكلهم أعطيت مثل ما أعطيته » ؟ قال : لا ، قال الرسول : « فليس يصلح هذا واتى لا أشهد الا على حق ، لا تشهدنى على جور ، ان لبنيك عليك من الحق أن تعدل بينهم ، كما لك عليهم من الحق أن يعدلوا لك فى البر ، اتقوا الله واعملوا فى أولادكم ، أيسرك أن يكونوا فى البر سواء » ؟ قال : نعم ، قال الرسول : « فلا آذن » ، وأمره برد العطية . فرجع بشير فى عطيته « (١) » .

ان تفضيل أحد الأولاد على أخوته بشئ من المال قد منعه الشارع الحكيم ، لما يترتب عليه من مفسد اجتماعية ، اذ يوغر ذلك صدر الأخ على أخيه . وصدر الأخت على أختها وصدرهما على أبيهما ، فتتفرق بذلك الأسر . وتشتعل نار العداوة والبغضاء بين الأهل والأقارب . وقد ورد فى الأثر : « رحم الله والدا أعان ولده على بره » (٢) .

وهذا كله اذا لم يكن سبب للتفضيل بين الأولاد . فقد ذهب بعض العلماء ومنهم الحنابلة الى جواز تخصيص بعض الأولاد دون اخوانهم اذا كانوا بحاجة اليه . كالزمانة والعمى . أو كثرة العائلة أو الاشتغال بالعلم ، كما أجازوا منع عطية الولد عن بعض ولده لنفسه أو بدعته .

ولقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبنات خيرا ، عن

(١) رواه مسلم ج ٣ ص ١٢٤٢/٣ باب كراهية تفضيل بعض الأولاد فى الهبة (١٢) .

(٢) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - ج ٨ ص ١٤٦ ، باب اعانة الولد على البر .

ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما من مسلم تدركه ابنتان ، فيحسن صحبتتهما ، الا أدخلتاه الجنة » (١) .

وفى هذا ردع لأولئك الذين تكفهر وجوههم ، وتنتفخ أوداجهم اذا بشروا بالآثى ، ويهجر البعض منهم نساءهم . كأنهن اللاتى خلقنهن :

قال تعالى : ﴿ واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم . يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ، أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ، الا ساء ما يحكمون ﴾ (٢) .

لقد حرم الاسلام على الوالد أن ينكر ولدا ولدت زوجته فى فراشه لأن انكاره هذا يلحق أكبر الضرر وأقبح العار بالزوجة والولد ، فلا يباح له الاقدام على ذلك لشك عارض ، أو وهم طارىء ، أو اشاعة خبيثة .

أما اذا جزم على خيانة امرأته للأدلة والقرائن ، فقد جعلت الشريعة له مخرجا من ذلك . فأباح له « اللعان » وقد فصل ذلك القرآن الكريم فى سورة النور :

قال تعالى : ﴿ والذين يرمون أزواجهن ولم يكن لهن شهداء الا أنفسهن فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين . والخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين . ويدروا عنها العذاب ان تشهد أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين . والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين ﴾ (٣) .

وبعد ذلك يفرق بينهما ويلحق الولد بأمه .

(١) الأدب المفرد - للبخارى ، ص ٣٠ / ٤٠ باب من عال جاريتين رقم الحديث (٧٧) .

(٢) النحل : ٥٨ ، ٥٩ (٣) النور : ٦ - ٩

وكما حرم على الوالد أن ينكر نسب ولده ، حرم على الولد أن ينتسب لغير نسبه ويدعى الى غير أبيه . ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من ادعى الى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام » (١) ، (٢) .

* * *

الأسرة والحقوق الاجتماعية

١ - الأسرة والوالدين :

فى طليعة الحقوق التى يجب أن تحرص عليها الأسرة ورجال التربية توجيه الناشئة الى حقوق الوالدين برا بهما ، واحسانا اليهما ، وطاعة لأوامرهما ووفاء بحقوقهما ولا سيما فى حال الشيخوخة ، قال سبحانه :

﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا ، أما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما ﴾ (٣) .

(١) وقد أعطى الاسلام للأم حق الرعاية قبل الأب ، جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، من أحق بحسن صحابتي ؟ قال : « أمك » ، قال : ثم من ؟ قال : « أمك » ، قال : ثم من ؟ قال : « أمك » ، قال : ثم من ؟ قال : « أبوك » (٤) .

والاسلام لم يجعل الرعاية للأم قبل الأب اعتبارا ، ولكن لأسباب عاطفية نبيلة وأصول نفسية ، وقواعد تربوية تتصل بطبيعة العلاقة بين الولد والأم ، فالأم تعاني من حمل الولد ، وتعاني من ولادته ، وتعاني من ارضاعه ، وتعاني من القيام على أمره وحضاته ، وهو بعد فى مرحلة الطفولة أكثر مما يعاني

(١) رواه مسلم : ج ١ ص ٨٠ - كتاب الايمان (٢٧) باب حال ايمان من رغب عن أبيه - رقم الحديث (١١٥) .

(٢) انظر من هدى النبوة : كمال الدين الطائى ، ص ٣٨٨ وما بعدها .

(٣) الاسراء : ٢٣

(٤) رواه البخارى ، وابو داود ، والترمذى .

الأب ، وصديق الله حيث قال : ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه
وهنا على وهن وفصاله في عامين ﴾ (١) .

(ب) حق البر : وأكرم خصال بر الوالدين : امتثال أمرهما ،
واحترام رأيهما ، والأخذ بنصيحتهما ، قالت عائشة أم المؤمنين : أتى
رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل معه شيخ فأن ، فقال له :
« يا هذا ، من هذا الذي معك » ؟ قال : أبى ، قال : « فلا تمش أمامه ،
ولا تجلس قبله ، ولا تدعه باسمه ، ولا تستسب له » (٢) .

ومن أعظم ألوان البر الدعاء لهما بعد مآتهما ، قال سبحانه :
﴿ وأخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني
صغيرا ﴾ (٣) .

وروى مالك بن ربيعة قال : بينما نحن عند رسول الله ، إذ جاءه
رجل من بني سلمة ، فقال : يا رسول الله ، هل بقى على من بر
أبوى شيء أبرهما به بعد وفاتهما ؟ قال : « نعم ، الصلاة
عليهما ، والاستغفار لهما ، وإنفاذ عهدهما ، وإكرام صديقيهما ، وصلة
الرحم التي لا توصل إلا بهما » (٤) .

(ج) وقد قدم الإسلام حقوق الوالدين على الجهاد في سبيل
الله ، واعتبر ذلك أولى بالجهاد ، وأحق بالكفاح ، وأجدر بالثواب ،
فقد أقبل رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « أبايعك
على الهجرة والجهاد أبتغى بهما الأجر من الله » ، فقال له النبي صلى
الله عليه وسلم : « هل من والديك أحد حي » ؟ قال : بل كلاهما .
قال : « فتبتغى الأجر من الله » ؟ قال : نعم ، قال : « فارجع إلى والديك
فأحسن صحبتتهما » (٥) .

(١) لقمان : ١٤

(٢) مجمع الزوائد : ج ٨ ص ٢٥

(٣) الأسراء : ٢٤

(٤) رواه أبو داود رقم (٥١٤٢) ، وابن ماجه في الأدب والصلة (٣٦٦٤)

(٥) رواه مسلم في البر والصلة (٤٥٤٩) .

وهذا معاوية بن جاهمة يقول : ابن أباه قد أتى النبي فقال :
يا رسول الله ، أردت الغزو ، وجئت أستشيرك ، فقال : « هل لك من
أم ؟ » قال : نعم ، قال : « الزمها فإن الجنة تحت أقدامها » (١) .

(د) وقد حذر الاسلام من عقوق الوالدين ، وعصيانهما ،
والخروج على أوامرهما ، والصراخ في وجههما ، فمن أكبر العقوق
التنكر لحقهما ، والخجل من الاتسباب لهما ، وعدم الاتفاق عليهما ،
والتضجر من مطالبهما ، فإن عاقبة ذلك وخيمة في الدنيا والآخرة ،
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر » ؟
(ثلاثا) قلنا : بلى يا رسول الله ، قال : « الإشراف بالله ، وعقوق
الوالدين - وكان متكئا فجلس - فقال : ألا وقول الزور ، ألا وشهادة
الزور » ، فما زال يكررها حتى قلنا : ليته سكت (٢) .

وروى عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال : « من الكبائر شتم الرجل والديه » ، قال رجل : يا رسول
الله ، وهل يشتم الرجل والديه ؟ قال : « نعم ، يسب الرجل أبا الرجل ،
فيسب الآخر أباه ، ويسب أمه » (٣) .

وقال معاذ بن جبل : أوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعض كلمات ، قال : « لا تشرك بالله شيئا ، وإن قتلت وحرقت ،
ولا تعقن والديك ، وإن أمراك أن تخرج من أهلِكَ ومالك ... » (٤) .

٢ - الأسرة وصلة الرحم :

تعتبر صلة الرحم مظهرا من مظاهر وظائف الأسرة ، ووشيجة من
وشائج التراحم والترابط ، وقد عنيت الشريعة الاسلامية بتوثيق
عرى روابط القرابة العائلية ، كي يصبح هذا المظهر الكريم ركيزة في
احساس المؤمنين ووجدانهم النابض بالخير .. قال سبحانه :

(١) رواه أحمد ج ٣ ص ٤٢٩

(٢) رواه البخاري والترمذي ج ٦ ص ١٦٠ برقم (١٠٩٢) .

(٣) أخرجه البخاري ومسلم والترمذي برقم (١٩٠٣) .

(٤) رواه أحمد ج ٥ ص ٢٣٨

﴿ واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ﴾ (١) . فقد قرن سبحانه بين طلب التقوى وبين صلة الأرحام ، وتغنى فى كتابه الكريم بهذا الشعور الحى ، وهذه العاطفة النبيلة .

فقال تعالى : ﴿ وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله ﴾ (٢) . وما أكثر الأحاديث النبوية التى ثرها الرسول صلى الله عليه وسلم على طريق صلة الرحم ، ليعلم كل متضرب فى المجتمع الإسلامى قدرها ، ويحذر من عاقبة قطعها ، فقال عليه الصلاة والسلام : « ان الله سبحانه خلق الخلق ، حتى اذا فرغ منها قامت الرحم ، فقالت : هذا مقام العائذ بك من القطيعة ، قال : نعم ، أما ترضين أن أصل من وصلك ، وأقطع من قطعك ؟ فقالت : بلى ، قال : فذلك لك » ثم عقب رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا : « واقرأوا اذا شئتم : ﴿ فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم ﴾ . أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم ﴾ (٣) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما يرويه عن ربه . « أنا الله ، وأنا الرحمن ، خلقت الرحم ، وشققت لها اسما من اسمى ، فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها قطعته » (٤) .

وقال سبحانه : ﴿ والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار ﴾ (٥) .

ومن ثم كانت المهمة الأولى للأبوين باعتبارهما رئيسى الأسرة أن يوجها أبناءهما نحو دوافع صلة الرحم ، لتنمو فيهم خلة الوفاء ، وعاطفة المحبة ، ومد يد العون الى محتاجهم ، ومواساة فقيرهم .

(٢) الأنفال : ٧٥

(١) النساء : ١

(٣) محمد : ٢٢ ، ٢٣

(٤) رواه أبو داود فى الزكاة - باب صلة الرحم (١٦٩٤) .

(٥) الرعد : ٢٥

وثمرات صلة الرحم أكثر من أن تحصى ، ولكننا فجتزئ منها
هذه الجواب رجاء أن تقوم الأسرة بتبصير الأبناء إياها ، وقلقينهم
مبادئها ، ليشبوا وهم مؤمنون بها ، فصلة الرحم تزيد في العمر ، وتوسع
في الرزق . قال صلى الله عليه وسلم : « من أحب أن يبسط له في
رزقه ، وينسأ له في أجله فليصل رحمه » (١) .

وقال : « الرحم متعلقة بعرش الرحمن ، تقول : من وصلني وصله
الله ، ومن قطعني قطعه الله » (٢) .

وصلة الرحم تدفع المكروه عن الواصل ، وتحجب ميتة السوء ،
قال صلى الله عليه وسلم : « ان الصدقة ، وصلة الرحم ، يزيد الله
بهما في العمر ، ويلفع بهما ميتة السوء ، ويصد بهما المكروه
المحذور » (٣) .

وصلة الرحم تملأ الديار بالخير وتتمى الثروات . قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « إن الله لي عمر بالقوم الديار ، ويشمر لهم الأموال ،
وما نظر إليهم منذ خلقهم بغضا لهم » ، قيل : وكيف ذلك يا رسول الله ؟
قال : « بصلتهم الرحم » (٤) .

وأخرج مسلم عن أبي هريرة أن رجلا قال : يا رسول الله ،
إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني ، وأحسن إليهم ويسيئون الي ، وأحلم
عنهم ويجهلون علي ، فقال : « لئن كنت كما قلت ، فكأنما تسفهم
المل ، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك » (٥) .

والمعنى : أنك بصبرك على أذاهم ، وردهم بالتي هي أحسن ، فكأنك
تطعمهم الرماد الحار ، وهذا كناية عن أنهم يصابون بغصة في حلوقهم ،
ويشعرون بمدى تقصيرهم وولوغهم .

(١) رواه البخاري ومسلم في البر (٢٥٥٧) .

(٢) انظر : تيسير الوصول ج ٣ ص ٩

(٣) رواه أبو يعلى .

(٤) رواه الطبراني والحاكم .

(٥) الترغيب والترهيب ج ٣ ص ٣٢١

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ليس الواصل بالمكافئ (أى الذى يثيب على الصلة بمثلها) ولكن الواصل الذى اذا قطعت رحمه وصلها » .

ويقول : « أفضل الصدقة : الصدقة على ذى الرحم الكاشح » -
أى العدو .

وكانت الصدقة أفضل الآن فى ذلك مجاهدة للنفس وحملها على الصبر ، والاعتصام بالهدوء ، وضبط البشرية ، ومن ثم اذا حدثت هذه المجاهدة ، وتجاوزت ظلمة البشر ، وقصد بها الانسان وجه الله تعالى ، فانه يضاعف له الأجر ، وصدق الله حيث يقول :
﴿ وَآتَ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ﴾ (١) .

ومن عنى بقيمة صلة الرحم ، وتبيان ثوابها ، وأثرها النفسى والمادى القاضى عياض ، ومن كلامه : « الرحم التى عناها الله ورسوله ، هى الرحم التى توصل وتقطع وتبر ، انما هى معنى من المعانى ، ليست بجسم ، وانما هى قرابة ونسب ، تجمعهم رحم والدة ، ويتصل بعضه ببعض فسمى ذلك الاتصال رحما ، والمعنى لا يتأتى منه القيام ولا الكلام ، فيكون ذكر قيامها هنا وتعلقها مجرد ضرب مثل ، وحسن استعارة على عادة العرب فى استعمال ذلك ، والمراد تعظيم شأنها وفضيلة واصليها . . . ولا خلاف فى أن صلة الرحم واجبة فى الجملة ، وقطيعتها معصية كبيرة . . . والأحاديث فى الباب تشهد لهذا ، ولكن الصلة درجات ، وبعضها أرفع من بعض ، وأدناها ترك المهاجرة ، وصلتها بالكلام ولو بالسلام ، ويختلف ذلك باختلاف القدرة والحاجة ، فمنها واجب ، ومنها مستحب ، ولو وصل بعض الصلة ولم يصل الى غايتها لا يسمى قاطعا ، ولو قصر عما يقدر عليه وينبغى له لم يسمى واصلا » (٢) .

* * *

(١) الاسراء : ٢٦

(٢) انظر : شرح النووى على مسلم ج ١٦ ص ١١٢ ، ١١٣ ، وانظر ايضا : المجتمع الاسلامى وبناء الاسرة - محمد الصادق عفيفى ص ١٩٧-٢٠١

مراجع الفصل الثانى

- ١ - الأخلاق الإسلامية - عبد الرحمن حسن جنبنة الميدانى •
- ٢ - القرآن الكريم •
- ٣ - صحيح البخارى •
- ٤ - صحيح مسلم •
- ٥ - سنن الترمذى •
- ٦ - الأدب المفرد - للبخارى •
- ٧ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - الهيثمى •
- ٨ - الترغيب والترهيب - المنذرى •
- ٩ - بر الوالدين - عبد الرؤوف الحناوى •
- ١٠ - نيل الأوطار - الشوكانى •
- ١١ - احياء علوم الدين - الغزالى •
- ١٢ - سنن أبى داود •
- ١٣ - منهاج التربية الصالحة - أحمد عز الدين البيافونى •
- ١٤ - المستدرک على الصحيحين - الحاكم النيسابورى •
- ١٥ - من هدى النبوة - كمال الدين الطائى •
- ١٦ - علاقة الآباء بالأبناء فى الشريعة الإسلامية - سعاد ابراهيم صالح •
- ١٧ - أحكام القرطبى •
- ١٨ - تفسير المنار - محمد رشيد رضا •
- ١٩ - سنن الدارقطنى •
- ٢٠ - التاج الجامع الأصول فى أحاديث الرسول •
- ٢١ - سنن ابن ماجه •
- ٢٢ - مسند الامام أحمد بن حنبل •
- ٢٣ - شرح النووى على صحيح مسلم •

الفصل الثالث

الجهاد في سبيل الله..

● تمهيد :

إن الحمد لله فحمده ونستعينه ونستغفره . ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا . من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له . وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله . أما بعد ..

فإن القرآن الكريم كتاب الله الخالد على مر السنين ، جمع فأوعى لم يترك أمرا من أمور الحياة ومشكلاتها الا تعرض له ، وبين الحل ووضع الجواب ، اما اجمالا أو تفصيلا ، ما فرطنا في الكتاب من شيء (١) وبينما نقرأ في القرآن من آيات العقيدة ، ونظريات الكون والخلق والايجاد ونظالم آيات الأخلاق والدعوة اليها والحث على التعاون ، والبر والتقوى والرحمة والتراحم بالضعفاء والآباء وذوى الأرحام ، نقرأ بجانب هذه الآيات : آيات الجهاد ، ومدافعة الأعداء اما للدفاع عن النفس والعقيدة أو حماية الممتلكات والأوطان وحث المؤمنين على الجهاد في سبيل الله بالمال أو بالنفس أو بهما معا .

فما معنى هذا ؟

قد تستعصى الأمور ، وتنفذ الوسائل ، ويظن العدو بأنه جبار لا يستطيع مخلوق أن يرده عن صلفه وغروره ، فلا بد اذن من مقابلة القوة بالقوة ، حتى يرتدع الفاسق ، وينزجر الظالم ..

(١) الأنعام : ٣٨

والشر ان تلقه بالخير ضقت به ذرعا وان تلقه بالشر ينحسم

فالدفاع عن النفس مشروع فى كل القوانين والأديان بما لا يختلف فيه اثنان ، فاذا كانت آيات القرآن قد اشتملت على الجهاد فى بعض سورة فان ذلك دليل على أن المؤمن لا يقبل المذلة والهوان ، ولا بد له من أن يعيش عزيزا محترما بين الناس ، واذا أمن المسلم فى عقيدته وعبادته وحياته وممتلكاته ، فانه مسالم للجميع .

﴿ لا اكراه فى الدين ، قد تبين الرشد من الغي ﴾ (١) .

انذ الاسلام لا يرغب أحدا على الدخول فيه : ﴿ فمن شاء فليؤمن

ومن شاء فليكفر ﴾ (٢) .

واذا كانت هناك أصوات من الغرب تدعى كذبا بأن الاسلام قام بالسيف وبنى مجده على الحروب والقتال فلنراجع تاريخ الاسلام منذ قام النبى صلى الله عليه وسلم بالدعوة الى الله .

فقد ظل فى مكة يدعو الى الله ثلاثة عشر عاما يدعو بالحكمة والموعظة الحسنة ، لم يحمل سيفاً ولم يشهر سلاحاً فى وجه الكفار وتبعاً لتعاليم ربه : ﴿ ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾ (٣)

وقوله تعالى ﴿ فاصبر صبرا جميلا ﴾ (٤) وقوله تعالى ﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ﴾ (٥) . الى غيرها من آيات الصبر والتحمل ، وهنا نجد أن الرسول تحمل الأذى وعنت قريش وكبرياءها ، لكنه كان يقرعهم بالحجة الواضحة ويسكنهم بما أوتى من فصاحة وبيان وبما ينزل عليه من القرآن . ولقى أصحابه معه ألوان الأذى والعنت من قريش على أيدي الجلادين ومنهم من لقي الله شهيدا . ثم كانت المقاطعة المشهورة التى عاش رسول الله صلى الله

(٢) الكهف : ٢٩

(٤) المعارج : ٥

(١) البقرة : ٢٥٦

(٣) النحل : ١٢٥

(٥) الكهف : ٢٨

عليه وسلم وآل بيته في عزلة تامة عن المجتمع المكي ثلاث سنوات حتى اضطر الصحابة الى أكل أوراق الشجر ، وتعرض المسلمون فيها للإبتلاء والتمحيص ، ومروا بتغيرات نفسية عصبية خرجوا منها أقوى ايمانا بالله ورسوله ، ومع كل هذا لم يؤمر المسلمون بالقتال ، وكفى بهذا ردا على هؤلاء وأمثالهم من أعداء الاسلام والمتقولين عليه زورا وبهتانا .

فلما هاجر المسلمون الى المدينة وهاجر بعد ذلك رسول الله وفتح المجتمع المدني صدره للدعوة وصاحبها . واقتشر الاسلام ، خاف أهل مكة على مجدهم القديم فحاولوا المرة بعد الأخرى الهجوم على المدينة للقضاء على الدعوة الاسلامية ، وكان الدرس الأول في غزوة بدر الكبرى حينما قضت الفئة المؤمنة القليلة على الفئة الكثيرة الباغية : ﴿ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ (١) هنا فقط أذن للمؤمنين بالقتال دفاعا عن النفس والعقيدة :

﴿ اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا ، وان الله على نصرهم لقدير ﴾ (٢) .

وكان ذلك ايذانا من الله بشرعية القتال ما دام العدو قد تجاوز الى هذا الحد والا خرج الأمر الى مواقف الذلة التي لا يرضاها الله للمؤمنين وهو القائل : ﴿ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ﴾ (٣) .

فاذا كانت في الاسلام حربا فانما هي حرب دفاعية وقائية ليست حرب انتقام أو اغتصاب أرض أو اذلال طائفة من الناس تهلك الحرث والنسل ، وتأكل الأخضر واليابس ، بل هي حروب مقسدة بالضرورة لدفع العدوان ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد ﴾ (٤) .

(٢) الحج : ٣٩

(٤) الحج : ٤٠

(١) البقرة : ٢٤٩

(٣) المنافقون : ٨

اذن فالاسلام شرع الحرب على أنها وسيلة لا غاية لحل مشاكل المجتمع في وقت كانت القوة العاشمة هي العائق الوحيد الذي يقف أمام دعوة الحق .

وهذا مما يرد على الطاعنين في الاسلام بأنه « دين حرب » وقام على السيف^(١) .

* * *

تعريف الجهاد

● تعريفه لغة : الأصل الاشتقاقى لمادة هذه الكلمة : « جهاد » يرجع الى المشقة . يقال : جهدت نفسى وأجهدت ، والجهد : طاقة ، قال الله تعالى : « والذين لا يجدون الا جهدهم »^(٢) ، ^(٣) .

وقال صاحب القاموس : الجهد الطاقة ، ويضم المشقة ، واجهد جهدك : ابلغ غايتك^(٤) .

وقال في المغرب : الجهاد مصدر : جاهدت العدو جهادا اذا قاتلته أو بذل كل منهما جهده - أى طاقته - فى دفع صاحبه ، فهى صيغة مشاركة من الجهد وهو الطاقة والمشقة . كما أن القتال مشاركة فى القتال ، ثم غلب فى الاسلام على قتال الكفار ونحوه .

وقال الراغب فى مفردات القرآن : والجهاد والمجاهدة : استفراغ الوسع فى مدافعة العدو . وتستعمل كلمة جهاد بمعناها اللغوى الأعم^(٥) .

(١) انظر : الجهاد فى القرآن الكريم - عطية الدسوقي عمر ، تقديم محمد متولى الشعراوى ص ٢ - ٥

(٢) التوبة : ٧٩

(٣) معجم مقاييس اللغة - لابن فارس ج ١ ص ٤٨٦

(٤) الجزء الأول ص ٢٨٦

(٥) نقلا عن آثار الحرب فى الفقه الاسلامى ص ٣٢

● تعريفه عند الفقهاء :

١ - الحنابلة : مصدر جاهد : جهادا ومجاهدة من جهد اذا بلغ في قتل عدوه ، وشرعا قتال الكفار خاصة (١) .

٢ - الحنفية : الجهاد : غلب في عرف الشرع على جهاد الكفار وهو دعوتهم الى الدين الحق وقتالهم ان لم يقبلوا .

وعند بعض الحنفية : هو بذل الوسع والطاقة في سبيل الله عز وجل بالنفس والمال واللسان أو غير ذلك أو المبالغة في ذلك (٢) .

٣ ، ٤ - المالكية والشافعية : كلا منهما في تعريفه يدور على أنه قتال الكفار .

* * *

● المقارنة بين التعريف اللغوي والاصطلاحي :

١ - وبهذا يتبين أن المعنى اللغوي يشترك مع المعنى الاصطلاحي في بذل الوسع واستفراغ الجهد .

٢ - ويتميز التعريف الاصطلاحي لكلمة جهاد بأنه بذل الوسع في نصره دين الله أو صياقته من عبث العابثين اما بالدعوة والبيان واما بالسيف والسنان ، فهو بهذا الاعتبار أخص من التعريف اللغوي .

* * *

● أهداف الجهاد :

شرع الله تعالى الجهاد لاجراج الناس من الظلمات الى النور من جهة ، ولتكون كلمة الله هي العليا من جهة ثانية ، ولحماية المسلمين من أن يفتنوا في دينهم أو تستباح حرماهم وتحتل أرضهم من جهة ثالثة ،

(١) مطالب أولى النهى ج ٢ ص ٤٩٧

(٢) آثار الحرب ص ٣٣

وكل هذه الأمور يجب أن تستمر الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ،
ولا يمكن استمرار تحقيقها الا باستمرار الجهاد فى سبيل الله •

وقد اقتضت مشيئة الله أن يوجد فى الأرض حزبه وحزب
الشیطان ، وأن يكون بجانب الحق الباطل ، وأن يعيش على وجه
الأرض محقون ومبطلون ، وأن يصطرع هؤلاء وأولئك من أول الحياة
الى آخرها •

قال تعالى : ﴿ قلنا اهبطوا منها جميعا فاما ياتينكم منى هدى
فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون • والذين كفروا وكذبوا
بآياتنا أولئك اصحاب النار ، هم فيها خالدون ﴾ (١) •

فما دام فى الأرض مسلمون — ولا بد أن يكونوا — وما دام
فى الأرض كفرون — ولا بد كذلك أن يكونوا — فلا بد من وجود
الصراع بين المسلمين والكافرين لتباين طبيعة الاسلام والكفر ،
فالاسلام يصر على تحرير الناس من عبادة كل ما سوى الله وتعبيدهم
لله وحده ، والكفر يصر على بقاء الناس فى الظلمات ، بل على
اخراجهم من النور الى الظلمات ، وتعييدهم لأرباب متفرقين من
دون الله •

قال تعالى : ﴿ الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور ،
والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات ، أولئك
اصحاب النار ، هم فيها خالدون ﴾ (٢) •

وقال تعالى : ﴿ ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان
استطاعوا ، ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت
اعمالهم فى الدنيا والآخرة ، وأولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ (٣) •

(٢) البقرة : ٢٥٧

(١) البقرة : ٣٨ ، ٣٩

(٣) البقرة : ٢١٧

والواقع يؤيد اصرار أعداء الله على صد الناس عن دين الله
وغدرهم بالمسلمين وعدم الوفاء بعهودهم لهم ، وأنه لا يجدى فى
تقويمهم الا القضاء على رؤوس الفتنة من قادتهم واذلالهم بالجهاد فى
سبيل الله ، وهو أمر دائم ما دام فى الأرض كفر واسلام . ولهذا
كانت آخر مرحلة من مراحل الجهاد صريحة صارمة لا تقبل تأويلا
ولا تحريفا ، كما قال تعالى :

﴿ كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتم
عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ، ان الله يحب المتقين .
كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة ، يرضونكم بافواههم
وتأبى قلوبهم واكثرهم فاسقون . اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا فصدوا
عن سبيله ، انهم ساء ما كانوا يعملون . لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة ،
واولئك هم المعتدون . فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخواتكم
فى الدين ، ونفصل الآيات لقوم يعلمون . وان كنوا ايمانهم من بعد عهدهم
وطعنوا فى دينكم فقاتلوا ائمة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون . الا
تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدعوكم اول مرة ،
اتخشونهم ، فالله احق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين . قاتلوهم يعذبهم الله
بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين . ويذهب
غيظ قلوبهم ، ويتوب الله على من يشاء ، والله عليم حكيم ﴾ (١) ، (٢) .

● حكم الجهاد :

تنقل من كتب فقهاء هذه الأمة حكم الجهاد فى الاسلام ليتضح
حكمه أمام المسلم ليكون من ثم عاملا حسب قدرته على العمل
ومجاهدا حسب قدرته على الجهاد ولينطرح بالتالى عذر العلماء غير
العاملين .

(١) التوبة : ٧ - ١٥

(٢) انظر : حقيقة الجهاد فى سبيل الله وغايته فى الاسلام - عبد الله

ابن أحمد قادورى .

قال فى « بلغة السالك لأقرب المسالك » - وهو على مذهب مالك : « الجهاد فى سبيل الله لاعلاء كلمة الله سنة .. وفرض كفاية اذا قام به البعض سقط عن الباقيين ويتعين (أى يصير واجبا عينيا كالصلاة) بتعيين الامام ، وبهجوم العدو على محلة قوم فيتعين على المرأة والرقيق مع هذه الحالة .. (ولو منعهم المولى والزوج والسيد ورب الدين ان كان مدينا) ، ويتعين أيضا بالنذر ، وللو الدين منعه فى فرض الكفاية فقط ، وفك الأسير من الحريين ان لم يكن له مال يفك فرض كفاية وان أتى على جميع أموال المسلمين » (١) .

وقال فى « المنهاج » للنووى - وهو على مذهب الشافعى :

« كان الجهاد فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرض كفاية وقيل عين .

وأما بعده فالكفار حالان :

أحدهما : يكونون ببلادهم فرض كفاية اذا فعله من فيهم من المسلمين سقط الحرج عن الباقيين .

الثانى : يدخلون بلدة لنا فيلزم أهلها الدفع بالممكن .. وان أمكن تأهب لقتال وجب الممكن على فقير وولد ومدين وعبد بلا اذن» (٢) .

وقال فى « المغنى » لابن قدامة - وهو على مذهب الحنابلة :

« الجهاد فرض على الكفاية اذا قام به قوم سقط عن الباقيين ويتعين فى ثلاثة مواضع :

١ - اذا التقى الزحفان وتقاتل الصفان حرم على من حضر الانصراف ويتعين عليه المقام .

٢ - اذا نزل الكفار ببلد تعين على أهله قتالهم ودفعهم .

(١) بلغة السالك لأقرب المسالك الى مذهب الامام مالك - أحمد ابن محمد الصاوى المالكى - باب الجهاد ج ١ ص ٣٥٤
(٢) منهاج الطالبين - النووى .

٣ - إذا استنفر الامام قوما لزمهم النفير معه « (١) » .

وقال في « المحلى » لابن حزم - وهو على مذهب الظاهرية :
« والجهاد فرض على المسلمين ، فاذا قام به من يدفع العدو ويغزوهم في
عقر دارهم ويحمي ثغور المسلمين سقط فرضه عن الباقيين والا فلا .

ولا يجوز الا باذن الأبوين ، الا أن ينزل العدو يقوم من
المسلمين ففرضه على كل من يمكنه اعانتهم أن يقصدهم مغيثا لهم ..
أذن الأبوان أم لم يأذنا الا أن يضيعا أو أحدهما ، فلا يحل له ترك
من يضيع بعده « (٢) » .

وكل هذه التعاريف والأحكام جامعة ومانعة الا أن ابن حزم
هو الأقرب الى ما تميل اليه وتأخذ به .

وقد وردت أحكام عن الجهاد وجمل واسعة وأشياء لا تحصى
في كثير من كتب الفقه الاسلامي والحديث ، لم نوردنا لأن ما ذكرناه
هنا كافيا ، ولم يخرج أحد من العلماء عن حدود المذكور ، والمعنى
يكادون يتفقون عليه .

وهذه كما هو معلوم فريضة الجهاد في سبيل الله ، تلك الفريضة
التي فرضها الله سبحانه وتعالى وجعلها واجبة الأداء على المسلمين
في كل زمان وفي كل مكان .

وقد بين الله سبحانه وتعالى أن وراء فريضة الجهاد الشاقة
على النفوس حكمة عظيمة فاما النصر واما الشهادة . وقد بذل المسلمون
العاملون جهدهم لنيل درجة من هاتين الدرجتين . ودون التاريخ لهم
ذلك وأدرك الناس خلال العهود كلها هذا منهم وتيقنوا صحة ذلك
وعملوا مثل أعمالهم أو ما يقرب منها . والجهاد في حقيقة أمره واجب
على كل مسلم قادر مستطيع ليعود الانسان الى ربه ومولاه .

(١) المغنى - ابن قدامة المقدسي ج ٨ ص ٣٤٥

(٢) المحلى - ابن حزم الظاهري .

والحفاظ على الأمة الاسلامية والحفاظ على خيراتها واجب كذلك
لا يمكن بحال أن يفرض فيه •

إنه ايجاب الجهاد على كل قادر واستغلال المنصب والجاه من أجل
ذلك واجب عيني يتهم كل انسان يتهاون في ذلك بقول الله تعالى :

﴿ يا ايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم
الى الارض ، ارضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ، فما متاع الحياة الدنيا في
الآخرة الا قليل • الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما ويستبدل قوما غيركم
ولا تضره شيئا ، والله على كل شيء قدير •• ﴾ (١) •

من هذه الآية ندرك خطر القعود عن الجهاد وندرك كذلك عاقبة
من لم يجاهد وهو قادر مستطيع متمكن • وندرك من هذه الآية
شدة عاقبة الركون الى الدنيا وتغليبها على العمل والجهاد والدعوة
في كل المصور •

والجهاد في هذا العصر أراه فرض عين على كل مسلم لادخال
الناس في دين الله عن طريق الحكمة والموعظة الحسنة ، ويمكن لكل
مسلم أن يجاهد في سبيل الله في هذا العصر فلا عذر لمسلم في
ترك الجهاد •• ومتى ما كبر منصب الانسان كان وجوب الجهاد في
حقه أبلغ •• فانه يستغل سمعته وشهرته في الدعوة الى الله
والجهاد في سبيله •

وليس الاثم بساقط على أحد ما دامت الأمة الاسلامية على
حالتها الراهنة ، ولا يقتصر الجهاد على أحد دون أحد ولا على أرض
دون أرض •

ولا يمكن للاسلام أن ينتشر الا بالجد والصدق والاخلاص
والمداومة المستمرة على الجهاد •

(١) التوبة : ٣٨ ، ٣٩

ولا يمكن للعمل أن ينجح الا بالثقة التامة بالله والعمل من أجله
ولعل الخطورة تكمن فى مسألة الجهاد بأنه محاط ومحدد
ومجهول كذلك ولكن ما علينا فان المسلم ملهم ﴿ واتقوا الله ،
ويعلمكم الله ﴾ (١) ، (٢) .

* * *

سيد المجاهدين رسول الله ﷺ

لما كان الجهاد ذروة سنام الاسلام وقبته ، ومنازل أهله أعلى
المنازل فى الجنة ، كما لهم الرفعة فى الدنيا ، فهم الأعلون فى الدنيا
والآخرة ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الذروة العليا
منه ، واستولى على أنواعه كلها فجاهد فى الله حق جهاده : بالقلب ،
والجنان ، والدعوة ، والبيان ، والسيف ، والسنان ، وكانت ساعاته
موقوفة على الجهاد ، بقلبه ، ولسانه ، ويده ، ولهذا كان أرفع العالمين
ذكرا ، وأعظمهم عند الله قدرا .

وأمره الله تعالى بالجهاد من حين بعثه ، وقال : ﴿ ولو شئنا لبعثنا فى
كل قرية نذيرا . فلا تطع الكافرين وجاهدوهم به جهادا كبيرا ﴾ (٣) .

فهذه سورة مكية أمر فيها بجهاد الكفار ، بالحجة ، والبيان ،
وتبليغ القرآن ، وكذلك جهاد المنافقين ، انما هو تبليغ الحجة ، والا فهم
تحت قهر أهل الاسلام ، قال تعالى :

﴿ يا ايها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وماواهم جهنم ،
وبئس المصير ﴾ (٤) .

فجهاد المنافقين أصعب من جهاد الكفار ، وهو جهاد خواص
الأمة ، وورثة الرسل ، والقائمون به أفراد فى العالم ، والمشاركون

(١) البقرة : ٢٨٢

(٢) انظر : الجهاد فى الاسلام بين الطلب والدفاع - صالح اللحيدان

ص ١٤١ وما بعدها .

(٤) التوبة : ٧٣

(٣) الفرقان : ٥١ ، ٥٢

فيه والمعاونون عليه ، وان كانوا هم الأقلين عددا ، فهم الأعظمون عند الله قدرا .

ولما كان من أفضل الجهاد قول الحق مع شدة المعارض ، مثل أن تتكلم به عند من تخاف سطوته وأذاه ، كإن للرسل - صلوات الله عليهم وسلامه - من ذلك الحظ الأوفر ، وكان لنبينا - صلوات الله عليه - من ذلك أكمل الجهاد وأتمه (١) .

* * *

جهاد النفس

ولما كان جهاد أعداء الله في الخارج فرعا على جهاد العبد نفسه في ذات الله ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : « المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه » (٢) .

كان جهاد النفس مقدما على جهاد العدو في الخارج ، وأصلا له . فانه ما لم يجاهد نفسه أولا لتفعل ما أمرت به ، وتترك ما نهيت عنه ، ويحاربها في الله ، لم يمكنه جهاد عدوه في الخارج ، فكيف يمكنه جهاد عدوه والاتصاف منه ، وعدوه الذي بين جنبيه قاهر له ، متسلط عليه ، لم يجاهده ، ولم يحاربه في الله ، بل لا يمكنه الخروج الى عدوه ، حتى يجاهد نفسه على الخروج .

* * *

جهاد الشيطان

فهذان عدوان قد امتحن العبد بهما ، وبينهما عدو ثالث لا يمكنه جهادهما الا بجهاده ، وهو واقف بينهما يشبط العبد عن جهادهما ، ويخذله ، ويرجف به ، ولا يزال يخيل له ما في جهادهما من المشاق ، وترك الحظوظ ، وفوت اللذات ، والمشتريات ، ولا يمكنه

(١) انظر : زاد المعاد في هدى خير العباد - ابن قيم الجوزية ص ٥

(٢) مسند الامام احمد ج ٦ ص ٢١

أن يجاهد ذينك العدوين الا بجهاده ، فكان جهاده هو الأصل لجهادها ،
وهو الشيطان ، قال تعالى : ﴿ ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه
عدوا ﴾ (١) .

والأمر باتخاذ عدوا تنبيه على استفراغ الوسع فى محاربته
ومجاهدته ، لأنه عدو لا يفتر ، ولا يقصر عن محاربة العبد على
عدد الأتقاس ، فهذه ثلاثة أعداء ، أمر العبد بمحاربتها وجهادها ،
وقد بلى بمحاربتها فى هذه الدار ، وسلطت عليه امتحانا من
الله له وابتلاء ، فأعطى الله العبد مددا وعدة وأعوانا وسلاحا لهذا
الجهاد ، وأعطى أعداءه مددا وعدة وأعوانا وسلاحا ، وبلا أحد
الفريقين بالآخر وجعل بعضهم لبعض فتنة ليلوا أخبارهم ويمتحن من
يتولاه ويتولى رسله ممن يتولى الشيطان وحزبه كما قال تعالى :
﴿ وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون ، وكان ربك بصيرا ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلوا بعضكم
ببعض ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين
ونبلوا أخباركم ﴾ (٤) .

فأعطى عباده الأسماع والأبصار ، والعقول والقوى ، وأنزل
عليهم كتبه ، وأرسل اليهم رسله ، وأمدهم بملائكته وقال لهم :
﴿ انى معكم فثبتوا الذين آمنوا ﴾ (٥) .

وأمرهم من أمره بما هو من أعظم العون لهم على حرب عدوهم ،
وأخبرهم أنهم ان امتثلوا ما أمرهم به لم يزالوا منصورين على عدوهم
وعدوهم .

* * *

(٢) الفرقان : ٢٠
(٤) محمد : ٣١

(١) فاطر : ٦
(٣) محمد : ٤
(٥) الأنفال : ١٢

مراتب الجهاد

الجهاد أربع مراتب :

- ١ - جهاد النفس •
- ٢ - جهاد الشيطان •
- ٣ - جهاد الكفار •
- ٤ - جهاد المنافقين •

١ - جهاد النفس :

ينقسم جهاد النفس الى أربع مراتب :

أحداها : أن يجاهدها على تعلم الهدى ، ودين الحق الذى لا فلاح لها ، ولا سعادة فى معاشها ومعادها الا به ، ومتى فاتها علمه ، شقيت فى الدارين •

الثانية : أن يجاهدها على العمل به بعد علمه ، والا فمجرد العلم بلا عمل إن لم يضرها لم ينفعها •

الثالثة : أن يجاهدها على الدعوة اليه ، وتعليمه من لا يعلمه ، والا كان من الذين يكتُمون ما أنزل الله من الهدى والبيّنات ، ولا ينفعه علمه ، ولا ينجيه من عذاب الله •

الرابعة : أن يجاهدها على الصبر على مشاق الدعوة الى الله ، وأذى الخلق ، ويتحمل ذلك كله لله ، فاذا استكمل هذه المراتب الأربع ، صار من الربانيين ، فإن السلف مجمعون على أن العالم لا يستحق أن يسمى رباّنيا حتى يعرف الحق ، ويعمل به ، ويعلمه ، فمن علم وعمل وعلم فذاك يدعى عظيما فى ملكوت السماوات •

٢ - جهاد الشيطان :

أما جهاد الشيطان فمرتبتان :

أحدهما : جهاده على دفع ما يلقي الى العبد من الشبهات
والشكوك القاذحة في الايمان •

والثانية : جهاده على دفع ما يلقي اليه من الارادات الفاسدة
والشهوات •

فالجهد الأول : يكون بعده اليقين ، والثاني : بعده الصبر •

قال تعالى : ﴿ وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا ، وكانوا
بآياتنا يوقنون ﴾ (١) •

فأخبر أن امامة الدين ، انما تتال بالصبر واليقين ، فالصبر يدفع
الشهوات والارادات الفاسدة ، واليقين يدفع الشكوك والشبهات •

٣ - الجهاد باللسان - اى الدعوة :

وأما جهاد الكفار والمنافقين ، فأربع مراتب :

بالقلب ، واللسان ، والمال ، والنفس ، وجهاد الكفار أخص
باليد ، وجهاد المنافقين أخص باللسان •

٤ - جهاد المنافقين والفاسقين :

وأما جهاد أرباب الظلم ، والبدع ، والمنكرات ، فثلاث مراتب :

الأولى : باليد اذا قدر ، فان عجز ، انتقل الى اللسان ، فان
عجز ، جاهد بقلبه ، فهذه ثلاثة عشر مرتبة من الجهاد ، و « من مات
ولم يغز ، ولم يحدث نفسه بالغزو ، مات على شعبة من النفاق » (٢) •

(١) السجدة : ٢٤

(٢) رواه مسلم ج ٣ ص ١٥١٧/٤٧ باب ذم من مات ولم يغز -
رقم الحديث (١٩١٠) ، واخرجه ابو داود (٢٥٠٢) في الجهاد : باب كراهية
ترك الغزو ، والنسائي (٣٠٩٩) في الجهاد - باب التشديد في ترك الجهاد •

اكمل الخلق فى الجهاد

وأكمل الخلق عند الله ، من كمل مراتب الجهاد كلها ، والخلق متفاوتون فى منازلهم عند الله ، متفاوتهم فى مراتب الجهاد ، ولهذا كان أكمل الخلق وأكرمهم على الله خاتم أنبيائه ورسله ، فانه كمل مراتب الجهاد ، وجاهد فى الله حق جهاده ، وشرع فى الجهاد من حين بعث الى أن توفاه الله عز وجل ، فانه لما نزل عليه : ﴿ يا أيها المدثر . قم فانذر .

وربك فكبر . وثيابك فطهر ﴾ (١) .

شمر عن ساق الدعوة وقام فى ذات الله أتم قيام ، ودعا الى الله ليلا ونهارا وسرا وجهارا ، ولما نزل عليه : ﴿ فاصدع بما تؤمر ﴾ (٢) فصدع بأمر الله لا تأخذه فيه لومة لائم ، فدعا الى الله الصغير والكبير ، والبحر والعبد ، والذكر والأنثى ، والأحمر والأسود ، والجن والانس .

ولما صدع بأمر الله ، وصرح لقومه بالدعوة ، وبإداهم بسب آلهم ، وعيب دينهم ، اشتد أذاهم له ، ولمن استجاب له من الصحابة ، ونالوه وقالوهم أنواع الأذى ، وهذه سنة الله عز وجل فى خلقه كما قال تعالى : ﴿ ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك ﴾ (٣) .

وقال ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن ﴾ (٤) . وقال : ﴿ كذلك ما انى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون . اتواصوا به ، بل هم قوم طاغون ﴾ (٥) .

فعزى الله سبحانه نبيه بذلك ، وأذن له أسوة بمن تقدمه من المرسلين ، وعزى اتباعه بقوله : ﴿ ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم ، مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ، الا ان نصر الله قريب ﴾ (٦) .

(٢) الحجر : ٩٤

(٤) الأنعام : ١١٢

(٦) البقرة : ٢١٤

(١) المدثر : ١ - ٤

(٣) فصلت : ٤٣

(٥) الذاريات : ٥٢ ، ٥٣

الدعوة الأولى الى الاسلام

ولما دعا صلى الله عليه وسلم الى الله عز وجل ، استجاب له عباد الله من كل قبيلة ، فكان أسبقها الى الاسلام أبو بكر رضى الله عنه ، فأزره فى دين الله ، ودعا معه الى الله على بصيرة ، فاستجاب لأبى بكر : عثمان بن عفان ، وطلحة بن عبيد ، وسعد بن أبى وقاص .

وبادر الى الاستجابة له صلى الله عليه وسلم صديقة النساء : خديجة بنت خويلد ، وقامت بأعباء الصديقية ، وقال لها : « لقد خشيت على نفسى » فقالت له : أبشر ، فوالله لا يخزيك الله أبدا^(١) .

ثم استدلت بما فيه من الصفات الفاضلة والأخلاق والشيم ، على أن من كان كذلك لا يخزى أبدا ، فعلمت بكمال عقلها وفطرتها ، أن الأعمال الصالحة ، والأخلاق الفاضلة ، والشيم الشريفة ، تناسب أشكالها من كرامة الله ، وتأيينه ، واحسانه ، ولا تناسب الخزى والخذلان .



المعذبون فى الله فى صدر الاسلام

وبادر الى الاسلام على بن أبى طالب رضى الله عنه وكان ابن ثمان سنين ، وقيل : أكثر من ذلك ، وكان فى كفالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أخذه من عمه أبى طالب اعانة فى سنة محل .

وبادر زيد بن حارثة حب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان غلاما لخديجة ، فوهبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما تزوجها ، وكذلك أسلم القس ورقة بن نوفل ، وتمنى أن يكون جذعا اذ يخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه^(٢) . وكذلك

(١) رواه البخارى ج ١ ص ٢١ ، ٢٧ فى باب بدء الوحي الى رسول الله .

(٢) أخرجه البخارى ج ٧ ص ١٠٥ فى المناقب .

يأدر الى الاسلام آل ياسر فكانوا أول من عذب في الله ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مر بهم وهم يعذبون يقول : « صبرا يا آل ياسر ، فإن موعدكم الجنة » (١) .

ومر عدو الله أبو جهل بسمية أم عمار بن ياسر ، وهي تعذب وزوجها وابنها ، فطعنها بحربة في فرجها حتى قتلها فكانت أول قتيلة في الاسلام . وكذلك أسرع وبأدر الى الاسلام بلال بن رباح فعذب في الله أشد العذاب فهان على قومه وهانت عليه نفسه في الله ، وكان كلما اشتد عليه العذاب يقول : أحد أحد ، فيمر به ورقة بن نوفل فيقول : أي والله يا بلال ، أحد أحد ، أما والله لئن قتلتموه لأتخذنه حنافا (٢) .

* * *

الهجرة الى الحبشة

ثم بدأ عباد الله يخلون في هذا الدين شيئا فشيئا وقرش تشتد عليهم بالأذى لتفتتهم عن دينهم ، وهم يشكون ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يأمرهم بالصبر الى أن اشتد البلاء ، أذن الله لهم بالهجرة الأولى الى الحبشة ، وكان أول من هاجر اليها عثمان بن عفان ، ومعه زوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أهل هذه الهجرة الأولى اثني عشر رجلا ، وأربع نسوة . ثم بلغهم أن قرشا قد كفوا عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فرجعوا الى مكة فرأوا أن الأمر كان كذبا فرجعوا الى الحبشة مرة ثانية وبقوا حتى رجعوا كلهم أو أكثرهم في موقعة خيبر وأسهم لهم فيها .

* * *

(١) مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٩٣
(٢) أخرجه الزبير بن بكار فيما ذكره الحافظ في « الاصابة » في ترجمة ورقة عن عثمان بن الضحاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن عروة بن الزبير (الاصابة ج ٣ ص ٦٣٤) .

ما لقي ﷺ في أول الدعوة من صنوف العذاب

وقد بقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة سنة في مكة يدعو الى الله ، يلقي فيها من ألوان العذاب ما لا يعلم الا الله ، حتى أذن الله له بالهجرة • وهى الهجرة التى فرق الله فيها بين أوليائه وأعدائه ، وجعلها مبدأ لاعزاز دينه ونصر عبده ورسوله (١) •

* * *

عرض الرسول نفسه على قبائل العرب

قال الواقدي : حدثني محمد بن صالح ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ويزيد بن رومان وغيرهما قالوا : أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاث سنين من أول نبوته مستخفيا ، ثم أعلن فى الرابعة ، فدعا الناس الى الاسلام عشر سنين ، يوافى الموسم كل عام ، يتبع الحجاج فى منازلهم ، وفى المواسم بمكاظ ، ومجنة ، وذى المجاز ، يدعوهم الى أن يمنعوهم حتى يبلغ رسالات ربه ولهم الجنة ، فلا يجد أحدا ينصره ولا يجيبه ، حتى انه ليسأل عن القبائل ومنازلها قبيلة قبيلة ، ويقول : « يا أيها الناس ، قولوا : لا اله الا الله تفلحوا ، وتملكوا بها العرب ، وتذل لكم بها العجم ، فاذا آمنتم ، كنتم ملوكا فى الجنة » • وأبو لهب وراءه يقول : لا تطيعوه فانه صابىء كذاب ، فيردون على رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبح الرد ، ويؤذونه ، ويقولون : أسرتك وعشيرتك أعلم بك ، حيث لم يتبعوك ، وهو يدعوهم الى الله ويقول : « اللهم لو شئت لم يكونوا هكذا » •

قال : وكان ممن يسمى لنا من القبائل الذين آتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم وعرض نفسه عليهم : بنو عامر بن صعصعة ، ومطارب بن حفصة ، وفزارة وغسان ، ومرة وحنيفة ،

(١) انظر : زاد المعاد فى هدى خير العباد - لابن قيم الجوزية ج ٣ ص ٥ - ٢٥ ، الجهاد فى الاسلام - محمد محمود الزاميني ، ص ٩ وما بعدها .

وسليم ، وعيس ، وبنو النضر ، وبنو البكاء ، وكنده ، وكلب ،
والحارث بن كعب ، وعذرة ، والحضارمة ، فلم يستجب منهم أحد (١) .

اجتماعه الأول بأهل يثرب - وهى العقبة الأولى

وكان مما صنع الله لرسوله أن الأوس والخزرج كانوا يسمعون
من حلفائهم من يهود المدينة أن نبيا من الأنبياء مبعوث فى هذا الزمان
سيخرج ، فنتبعه ونقتلكم معه قتل عاد وارم ، وكانت الأنصار
يحجون البيت كما كانت العرب تحججه دون اليهود ، فلما رأى الأنصار
رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس الى الله عز وجل ، وتأملوا
أحواله ، قال بعضهم لبعض : « تعلمون والله يا قوم أن هذا الذى
توعدكم به اليهود ، فلا يسبقنكم اليه » .

ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لقي عند العقبة فى
الموسم ستة نفر من الأنصار كلهم من الخزرج ، فدعاهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فأسلموا (٢) .

بيعة العقبة الثانية لأهل يثرب واشتراطهم عليه

ثم رجعوا الى المدينة فدعوههم الى الاسلام ، ففشا الاسلام
فيها حتى لم يبق دار الا وقد دخلها الاسلام ، فلما كان العام المقبل ،
جاء منهم اثنا عشر رجلا ، فأتهموا بينهم على أن يأخذوا الرسول
معهم وقالوا : حتى متى يطرد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى
جبال مكة ويخاف ، وعرضوا عليه الأمر فواعدتهم بيعة العقبة ،
فقال له عمه العباس : يا بن أخى ، ما أدري هؤلاء القوم الذين جاءوك ،

(١) أخرجه ابن سعد فى الطبقات الكبرى ج ١ ص ٢١٦ ، ٢١٧ من
طريق الواقدي ، وأخرجه أحمد ج ٤ ص ٣٤١ ، ج ٣ ص ٤٩٢ من حديث
عبد الرحمن بن أبى الزناد .

(٢) أخرجه ابن هشام فى السيرة ، ج ١ ص ٤٢٨ ، ٤٢٩

انى ذو معرفة بأهل يثرب ، فاجتمعنا عنده من رجل ورجلين فلما نظر العباس فى وجوهنا^(١) . قال : هؤلاء قوم لا نعرفهم ، هؤلاء أحداث .

فقلنا : يا رسول الله ، علام نبايعك ؟ قال : « تبايعونى على السمع والطاعة ، فى النشاط والكسل ، وعلى النفقة فى العسر واليسر ، وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وعلى أن تقولوا فى الله لا تأخذكم لومة لائم ، وعلى أن تنصرونى اذا قدمت عليكم وتمنعونى مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبنائكم ولكم الجنة » ، فقمنا نبايعه فأخذ بيده أسعد بن زرارة ، وهو أصغر السبعين ، فقال : رويدا يا أهل يثرب ، انا لم نضرب اليه أكباد المطى الا ونحن نعلم أنه رسول الله ، وإن اخراجه اليوم مفارقة العرب كافة ، وقتل خياركم ، وأن تعضكم السيوف ، فاما أقيم صابرون على ذلك ، فخذوه وأجركم على الله ، واما أنتم تخافون من أنفسكم خيفة فذروه فهو أعذر لكم عند الله ، فقالوا : يا أسعد ، أمط عنا يدك ، فوالله لا نذر هذه البيعة ، ولا نستقبلها ، فقمنا اليه رجلا رجلا ، فأخذ علينا وشرط يعطينا بذلك الجنة^(٢) . ثم انصرفوا الى المدينة .

بعثه معهم مصعب بن عمير وعمر بن أم مكتوم

وبعث معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن أم مكتوم ومصعب بن عمير يعلمان من أسلم منهم القرآن ، ويدعوانه الى الله عز وجل فلم يلبثا الا قليلا حتى فشا الاسلام وظهر فى المدينة ثم رجع مصعب الى مكة ، ووافى الموسم ذلك العام خلق كثير من

(١) زاد المعاد فى هدى خير العباد - ابن قيم الجوزية ج ٣ ص ٤٦ ،
الجهاد فى الاسلام - محمد محمود الزاميني ، ص ١٦
(٢) أخرجه أحمد فى المسند ج ٣ ص ٣٢٢ ، ٣٢٩ ، والبيهقى فى
السنن ج ٣ ص ٣

الأنصار من المسلمين والمشركين ، وزعيم القوم البراء بن معرور ، فلما كانت ليلة العقبة أكدوا البيعة مرة ثانية •

* * *

اول هجرة المسلمين الى المدينة

وبدأت المسلمون بالهجرة من مكة الى المدينة بكثرة ، ولم يبق من المسلمين الا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر الصديق وعلى بن أبي طالب رضى الله عنهما ، أقاما هذان الاثنان بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم لهما ، والا من احتبس به المشركون كرها ، وقد أعد رسول الله صلى الله عليه وسلم جهازه ينتظر متى يؤمر بالخروج وأعد أبو بكر جهازه ليكون في معيته ، ثم ان المشركين أرادوا المكر برسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمه الله منهم وامتن عليه بقوله :

﴿ واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ﴾ (١) •

* * *

خروج النبي مهاجرا الى المدينة

عندما أذن للرسول صلى الله عليه وسلم بالخروج من مكة خرج ومعه صديقه أبو بكر الصديق ، ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الى غار ثور ، فدخلاه ، وضرب العنكبوت على بابه •

وكانا قد استأجرا عبد الله بن أريقط الليثي ، وكان هاديا ماهرا بالطريق بعد خروجهما من الغار ، ولقد سارا بمشيئة الله تحرسهما عينه ، وتحيط بهما عنايته مع ما حدث في طريقهما من الغرائب والعجائب والمعجزات التي أجراها الله على يد عبده ورسوله •

* * *

قدومه المدينة

وبلغ الأنصار مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة .
وقصده المدينة فكافوا يخرجون كل يوم ينتظرونه أول النهار فإذا
اشتد الحر رجعوا الى بيوتهم ، فلما كان يوم الاثنين ثاني عشر
ربيع الأول على رأس ثلاث عشرة سنة من النبوة ، أشرق بوجهه
الكريم على أبناء قبيلة الأوس والخزرج فبادروا الى السلاح يتلقونه به ،
ثم انطلقت ألسنتهم جميعا بالتكبير فرحا بقدومه صلى الله
عليه وسلم ، وحيوه بتحية النبوة ، وأحدقوا به مطيفين حوله ،
والسكينة تغشاه ، والوحي ينزل عليه : ﴿ فان الله هو مولاه وجبريل
وصالح المؤمنين ، والملائكة بعد ذلك ظهير ﴾ (١) فسار حتى نزل بقاء في
بنى عمرو بن عوف وأسس مسجد بقاء ، وبقي فيها عدة ليال ثم سار
والأنصار محدقة به لا يمر على بطن من بطونها الا أخذوا بخطام راحلته ،
هلم ائى العدد والعدة والسلاح والمنعة ، فقال : « خلوا سبيلها ، فانها
مأمورة » فلم تزل فاقتنه سائرة به لا تمر بدار من دور الأنصار الا
رغبوا اليه فى النزول عليهم ، ويقول : « دعوها فانها مأمورة »
فسارت حتى وصلت الى موضع مسجده اليوم وبركت ولم ينزل عنها
حتى نهضت وسارت قليلا ثم رجعت الى موضعها الأول فبركت فيه (٢) .

* * *

بناء المسجد النبوى الشريف

وأول شيء بدأ عمله فى المدينة بناء مسجده الشريف وقد عمل
فيه بنفسه صلى الله عليه وسلم ليكون قدوة لغيره ، وتشجيعا
للأصحابه ، ولذلك قال قائلهم : « لئن قعدنا والنبي يعمل لذلك منا
العمل المضلل » . وليكون هذا المبنى رابطة هذا العقد ولتؤدى فيه

(١) التحريم : {
(٢) انظر : زاد المعاد فى هدى خير العباد - ابن قيم الجوزية
ص ٥٨ ، ٥٩ ، الجهاد فى الاسلام - محمد محمود الزامنى ص ١٨

مصالح الدنيا والآخرة ، وجامعا عاما للمسلمين يتواديون ويتعارفون ويتعلمون ويتشاورون وينظرون في أمورهم •

ولما استقر صلى الله عليه وسلم بالمدينة وأيده الله بنصرة المؤمنين وألف بين قلوبهم بعد العداوة والاحن التي كانت بينهم ، فمنعه أنصار الله وكتيبة الاسلام من الأسود والأحمر ، وبذلوا نفوسهم دونه ، وقدموا محبته على محبة الآباء والأبناء والأزواج ، وكان أولى بهم من أنفسهم •

* * *

شدة عداوة العرب للمؤمنين

عند ذلك رمتهم العرب واليهود عن قوس واحدة ، وشمروا لهم عن ساق العداوة والمحاربة ، وصاحوا بهم من كل جانب ، والله سبحانه وتعالى يأمرهم بالصبر والعفو والصفح حتى قويت الشوكة ، واشتد الجناح ، فأذن لهم حينئذ في القتال ، ولم يفرضه عليهم ، فقال تعالى : ﴿ اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا ، وان الله على نصرهم لقدير ﴾ (١) •

ثم فرض عليهم القتال بعد ذلك لمن قاتلهم دون من لم يقاتلهم فقال : ﴿ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ﴾ (٢) •

ثم فرض عليهم قتال المشركين كافة ، وكان محرما ، ثم مأذونا به ، ثم مأمورا به لمن بدأهم بالقتال ، ثم مأمورا به لجميع المشركين •

اما « فرض عين » على أحد القولين ، أو « فرض كفاية » على المشهور ، والتحقيق أن جنس الجهاد فرض عين ، اما في القلب ، واما باللسان ، واما بالمال ، واما باليد ، فعلى كل مسلم أن يجاهد بنوع من هذه الأنواع •

* * *

الرباط

● **الرباط :** هو الإقامة بالسلاح فى المكان الذى يتوقع هجوم العدو فيه للحراسة والدفاع ، وهو قسمان :

١ - حراسة الحدود لصد العدوان الخارجى ، وهذا ما يقوم به الجيش المنظم .

٢ - حراسة داخل البلاد وهو ما تقوم به قوى الأمن والشرطة .

● **مكان الرباط :** هو الموقع الذى يتوقع هجوم العدو عليه ، وتكون هذه المواقع عادة آخر الحدود الآمنة للمسلمين .

● **فصل الرباط :** المرابط انسان مخلص يقف على خط النار دفاعا عن المسلمين وحماية الأوطانهم ، فهو فدائى غيور يبيع نفسه لله ويشترى الجنة عرضا السموات والأرض . قال تعالى : ﴿ ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون ، وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ، ومن اوفى بعهده من الله ، فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم ﴾ (١) .

وعن عثمان بن عفان، رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « رباط يوم فى سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل » (٢) .

● حكم الرباط فى سبيل الله :

الرباط فرض كفاية فى الأحوال العادية ، واذا فعله البعض بصورة كافية سقط عن بقية المسلمين ، واذا لم يفعله أحد أثم الجميع ،

(١) التوبة : ١١١

(٢) البخارى : الجهاد ص ٧ ، ابن ماجه ج ٢ ص ٩٢٤ فصل الرباط فى سبيل الله .

لأنه يتوقف عليه حماية وحراسة أرض المسلمين وأموالهم وأعراضهم ومصالحهم ، أما في غير الأحوال العادية فهو فرض عين على القادر وهؤلاء المرابطون هم المقاتلون في المعارك لأنهم مسلمون ومدربون ومستعدون •

• اجر من مات مرابطا في سبيل الله :

المرابط مجاهد في أخطر الأماكن وأمسها بسلامة الأمة وأمنها ، فهو في عبادة وثواب كبير ، وإذا مات في الرباط استمر ثوابه وأجره الى يوم القيامة • وأمنه الله من الفرع يوم البعث والحشر وحرمة النار عليه وأوجب له الجنة • قال صلى الله عليه وسلم : « كل ميت يختم على عمله الا المرابط في سبيل الله فانه ينمى له عمله الى يوم القيامة ويؤمن من فتنة القبر » (١) •

وقال صلى الله عليه وسلم : « حرمت النار على عين دمعت أو بكت من خشية الله ، وحرمت النار على عين سهرت في سبيل الله » (٢) •

* * *

الشهداء

الشهيد : هو من قتل في سبيل الله صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر •

وهو الذي يجود بنفسه في ساحة الشرف ، والجود بالنفس هو أقصى غاية الجود كما قال الشاعر العربي مروان بن أبي حفصة :

يجود بالنفس اذ ضن الجواد بها

والجود بالنفس أقصى غاية الجود

ومفهوم الشهادة يتسع ليشمل من يموت في حالة دفاع عن دينه وعرضه وشرفه كما جاء ذلك في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(١) رواه أبو داود والترمذي - الترغيب والترهيب ج ٢ ص ٣٦٦

(٢) رواه أحمد في المسند وغيره ، الترغيب والترهيب ج ٢ ص ٣٧٣

« من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون دينه فهو شهيد ،
ومن قتل دون دمه فهو شهيد ، ومن قتل دون أهله فهو شهيد » (١) .

ومن الشهداء شهداؤنا في معارك التحرير في حرب رمضان
وما قبلها وما بعدها ، لقد أدوا واجبهم واستعذبوا الموت في سبيل
الله ولفظوا أرواحهم وجادوا بحياتهم دفاعا عن أوطانهم وأمتهم فلم جزاء
الله في الجنة وثوابه في الآخرة .

● **حكم الشهداء :** لا يغسل الشهداء ولا يكفنون بل تترك عليهم
ثيابهم وينزع عنهم الأشياء التي لا تصلح للكفن كالقرو أو الدرع ، كما
ينزع عنهم أدوات الحرب لينتفع بها غيرهم ، ولا يصلى على الشهداء
اكتفاء بشرف الشهادة عند جميع الأئمة عدا الحنفية فانهم قالوا :
يصلى على الشهيد

● **في حكم الشهداء :** عد عليه الصلاة والسلام أقواما
وأخبر أنهم من الشهداء ، ومن هؤلاء الذين ماتوا بالطاعون من
غير فرار منه ، ومنهم الذين ماتوا غرقى أو حرقى أو ماتوا بمرض البطن
أو الصدر ، ومنهم المرابطون في سبيل الله .

● **ثواب الشهداء :** الشهداء عادة أكرم الناس نفوسا وأخلصهم
قلوبا ، انهم يحملون أرواحهم على أكفهم ويجودون بها في سبيل الله
رخيصة عليهم غالية في موازين الحق ، ولذلك يهبهم الله الخلود في
حياة برزخية أبدية .

قال الله تعالى : ﴿ ولا تقوا من يقتل في سبيل الله اموات ، بل
أحياء ولكن لا تشعرون ﴾ (٢) .

ومن ثواب الشهداء ما يأتي :

١ - الشهيد في الفردوس الأعلى من الجنة تسبح روحه حول

(١) الترمذي ج ٤ ص ٣٠

(٢) البقرة : ١٥٤

العرش وتأوى الى قناديل من نور ، ولها أعظم المنازل عند الله وفى جواره وفضله ، وقال تعالى : ﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا . ذلك الفضل من الله ، وكفى بالله عليما ﴾ (١) .

٢ - جراح الشهيد تأتى يوم القيامة وهى وسام على صدره تفتح دما ، لونها لون الزعفران وريحها ریح المسك .

٣ - الشهداء أحياء عند الله ، يتمتعون بنعيم الجنة ، ويكافأون بأرفع المنازل فى جنات عدن عند ملك مقتدر . وقد تكفل الله أن ينقل أخبار الشهداء الى المؤمنين بيانا لفضل الشهادة وترغيبا للعمل من أجلها ، عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لما أصيب اخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم فى جوف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها ثم تأوى الى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش ، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا : من يبلغ اخواننا عنا أنا أحياء فى الجنة نرزق لثلا يزهدوا فى الجهاد ، ولا يتكلوا عند الحرب ، فقال الله : أنا أبلغهم فأنزل الله قوله : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا ، بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ (٢) .

٤ - الشهادة فى سبيل الله سنام العمل الصالح وذروة الأعمال الكريمة وأفضل المآثر والأمجاد ، وهى أحسن ما يلقي به العبد ربه وأكرم تاج يحمله صاحبه وأبقى ذكرى وأخلد عملا (٣) .

(١) النساء : ٦٩ ، ٧٠ (٢) آل عمران : ١٦٩

(٣) انظر : الدعوة الاسلامية والاعلام الدينى - عبد الله شحاتة

اعداد الأمة للجهاد

الاسلام رسالة وفكرة وعقيدة ومنهج ، وقد اهتم ببناء الانسان وتكوينه كما عني ببث الروح المعنوية العالية والفكرة السليمة والهدف الواضح ، لقد زين الايمان في قلوب المؤمنين ووضح دعائمه وآدابه ورسم للأمة طريق النصر • وأعدّها للقتال اعدادا سليما •

ومن وسائل الاعداد اتباع الدعائم الآتية :

١ - الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر •

لقد كان الايمان حجر الأساس في تحول العرب من حفاة بداءة متخلفين الى أمة متحضرة مؤمنة متعاونة تؤمن بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولا وتبوع أحكام هذا الدين في إقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة والصيام والحج ، ثم تتسابق الى ميدان القتال طلبا للشهادة وأملا في ثواب الآخرة ، ولا زال العامل البشري من أهم العوامل الحاسمة في المعركة ، وقد أثبتت حرب ٦ أكتوبر ١٩٧٣ م (الموافق ١٠ رمضان ١٣٩٣ هـ) أهمية هذا العامل ، فقد تسابق الرجال يعبرون القنطرة ويجتازون خط بارليف ، ويستعذبون الموت في سبيل الله ، حتى حطموا أسطورة جيش الدفاع الاسرائيلي بأنه الذي لا يقهر ، وأثبتوا أن الايمان عامل حاسم من أهم عوامل النصر •

٢ - اعداد العدة وتجهيز أدوات القتال والتدريب عليها واستخدام أحدث الأسلحة ، وبذل المال الكافي لشراء السلاح الحاسم في المعركة ، قال تعالى : ﴿ واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ﴾ (١) أي أقصى ما نستطيع من قوة للدفاع عن أوطاننا وديننا ، وهذه القوة تكون في كل عصر بما يناسبه ، فمن هذه القوة تزويد الأمة بمختلف أدوات الحرب الحديثة من مدافع وبوارج وطائرات ومصفحات وصواريخ وقنابل وغير ذلك •

(١) الانفال : ٦٠

كذلك يجب على المسلمين أن يتعلموا الفنون التي يتوقف عليها صنع هذه المعدات الآن ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب .

٣ - وحدة الصف ، وتماسك طوائف الأمة ، وترايط المقاتلين والمجاهدين . قال الله تعالى : ﴿ ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص ﴾ (١) .

٤ - البعد عن أسباب الخلاف والنزاع ، فان يد الله مع الجماعة . قال الله تعالى : ﴿ ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب يحكم ، واصبروا ، ان الله مع الصابرين ﴾ (٢) .

٥ - الثبات في الميدان وطاعة الله والتزام أوامره والبعد عن معاصيه . قال تعالى : ﴿ يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ﴾ (٣) .

٦ - الصبر على المكاره وتحمل تبعات الحرب وتكاليف الجهاد . قال تعالى : ﴿ يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾ (٤) .

٧ - عدم تصديق الاشاعات والأراجيف ومحاولة بث اليأس والقنوط ، والقضاء على أساليب العدو ، وعلى الحرب النفسية التي يشنها رغبة منه في تشييط الهمم والتئيس من النصر . قال تعالى : ﴿ يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا ﴾ (٥) .

٨ - الحذر واليقظة وعدم الاستهانة بالعدو . قال تعالى : ﴿ يا ايها الذين آمنوا خذوا حذرکم فانفروا ثبات او انفروا جميعا ﴾ (٦) .

(٢) الأنفال : ٤٦
(٤) آل عمران : ٢٠٠
(٦) النساء : ٧١

(١) الصف : ٤
(٣) الأنفال : ٤٥
(٥) الحجرات : ٦

٩ - طاعة القائد وتنفيذ الأوامر والمحافظة على الضبط والنظام .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ (١) .

١٠ - عدم الفرار من الميدان والاستماتة في القتال حتى النصر أو الشهادة ، وأخذ الشجاعة صبر ساعة ، ورب ثبات لحظات يحول المعركة من هزيمة الى نصر ، ولذلك حرم الله الفرار من المعركة . قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ . وَمَنْ يُولُوهُمْ يَوْمَئِذٍ دَبْرُهُ إِلَّا مَنْ عَفَا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحِيزًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَا وَاهُ جَهَنَّمَ ، وَبُئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ (٢) .

١١ - الثقة بأن النصر من عند الله وأن على المؤمن أن يعد العدة وأن يأخذ في الأسباب ثم يتوكل على الله ﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ (٣) .

١٢ - الثبات في المحنة والهزيمة ، والثقة بأن مع العسر يسرا ومع الشدة فرجا . وتقبل الهزيمة بروح المتوثن للثأر الواثق بأن الأيام دول يوم لك ويوم عليك . قال تعالى : ﴿ إِنْ يَمْسِكُكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ ، وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ (٤) ، (٥) .

* * *

الأحاديث الواردة في فضل الجهاد

● حرص الصحابة على معرفة أفضل الأعمال وممارستها :

لقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لشدة حرصهم على الاكثار من طاعة الله والاستزادة منها - يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أفضل الأعمال التي ترضى ربهم عنهم ، فيجيبهم على

(١) النساء : ٥٩
(٢) الأنفال ١٥ ، ١٦
(٣) الأنفال : ١٠
(٤) آل عمران : ١٤٠
(٥) الدعوة الإسلامية والاعلام الديني - عبد الله شحاتة ص ١٤٣-١٤٥

أسئلتهم ، وقد تختلف اجابته من شخص الى آخر ، أو من حالة لأخرى ، إذ أن السائل قد ينقصه أداء عمل من الأعمال الصالحة ، فيذكره الرسول صلى الله عليه وسلم حثا له على أدائه ، وقد يكون المقام يقتضى أداء عمل آخر من الأعمال الصالحة ، لحاجة المسلمين اليه ، فيذكره صلى الله عليه وسلم فى اجابته حضا على القيام به . . وهكذا .

سأل عبد الله بن مسعود رضى الله عنه الرسول صلى الله عليه وسلم ، كما روى ذلك هو قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت : يا رسول الله ، أى العمل أفضل ؟ قال : « الصلاة لوقتها » قلت : ثم أى ؟ قال : « بر الوالدين » قلت : ثم أى ؟ قال : « الجهاد فى سبيل الله » فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو استزدته لزدني (١) .

فقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الجهاد فى هذا الحديث فى الدرجة الثالثة بعد حقه سبحانه وتعالى ، وحق الوالدين .

وفى حديث أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : دلنى على عمل يعدل الجهاد ، قال : « لا أجده » ، قال : « هل تستطيع اذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك ، فتقوم ولا تفتر ، وتصوم ولا تفطر » ؟ قال : ومن يستطيع ذلك ؟ قال أبو هريرة : ان فرس المجاهد ليستن فى طوله فيكتب له حسنات (٢) .

هذا الصحابى السائل — كان يعلم فضل الجهاد — فأراد — والله أعلم — أن يدلّه الرسول صلى الله عليه وسلم على عمل يساويه

(١) رواه البخارى ج ٢ ص ٧ ، ٨ فى مواقيت الصلاة — باب فضل الصلاة لوقتها ، ومسلم ج ١ ص ٨٩ فى الايمان — باب كون الايمان بالله افضل الأعمال .

(٢) رواه البخارى رقم (٢٧٨٥) ، وفتح البارى ج ٦ ص ٤ ، ومسلم ج ٣ ص ١٤٩٨

يستطيع المداومة عليه في غير وقت الحرب • أو أنه إذا عجز عن مباشرة الجهاد الذي علم فضله يأتي بالعمل الذي يعدله وهو يقدر عليه ، وفي كلتا الحالتين هو يدل على حرص الصحابة رضي الله عنهم على زيادة العلم بالأعمال التي لها فضل كبير ليزاولوها وينالوا من الله ثوابها •

وقد أجابه الرسول صلى الله عليه وسلم بجوابين ، كل منهما يدل على فضل الجهاد العظيم •. الجواب الأول : قوله : « لا أجده » ، أي لا أجد عملاً يعدل الجهاد وهو واضح في أفضلية الجهاد على ما سواه من الأعمال •.

الجواب الثاني : قوله : « هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجداً فتقوم ولا تفتر ، وتصوم ولا تفطر » ؟ وهذا الجواب كذلك يدل على أفضلية الجهاد على ما سواه من الأعمال ، لأن القيام المستمر الذي لا فتور معه ، والصيام المتواصل الذي لا افطار معه غير مستطاعين ، كما أجاب بذلك السائل رسول الله صلى الله عليه وسلم : ومن يستطيع ذلك ؟ وأقره رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذا الجواب • وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن اجتهاد النفس في القيام والوصال في الصيام ، وإنما أراد أن يبين للسائل أن الاستمرار في القيام بالأعمال الصالحة مجتمة - لو كانت مستطاعة - قد تعدل الجهاد ، وفي هذا ما فيه من بيان فضل الجهاد في سبيل الله •

قال الحافظ : « وهذه فضيلة ظاهرة للمجاهد في سبيل الله تقتضي ألا يعدل الجهاد شيء من الأعمال » وقال أيضاً : « قال القاضي عياض : اشتمل حديث الباب على تعظيم أمر الجهاد ، لأن الصيام وغيره مما ذكر من فضائل الأعمال قد عدلها كلها الجهاد ، حتى صارت جميع حالات المجاهد وتصرفاته المباحة معادلة لأجر المواظب على الصلاة وغيرها ولهذا قال صلى الله عليه وسلم : « لا يستطيع ذلك »^(١) •

(١) فتح الباري ج ٦ ص ٥

يضاف الى ذلك تعقيب أبى هريرة رضى الله عنه : « انه فرس
المجاهد ليستن فى طوله فيكتب له حسنات » والظاهر أن القاضى عياض
يشير الى هذا بحالات المجاهد وتصرفاته المباحة .

وفى حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه : قال قيل : يا رسول
الله ، أى الناس أفضل ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« مؤمن يجاهد بنفسه وماله » قالوا : ثم من ؟ قال : « مؤمن فى شعب
من الشعاب يتقى الله ويدع الناس من شره » (١) .

وفى هذا الحديث - كذلك - يبدو حرص الصحابة على التنافس
فى الأعمال الصالحة التى هى أحب الى الله ، والسؤال هنا عن أفضل
الناس ، ولا يكون أفضل الناس الا اذا أتى بأفضل ما يجب الله
ورسوله ، واجابة الرسول صلى الله عليه وسلم واضحة فى تعظيم
الجهاد فى سبيل الله حيث جعل المؤمن المجاهد هو أفضل الناس بخلاف
المؤمن المتقى الذى قصر نفسه على نفسه ، أى أن أعماله الصالحة
لا تتعداه الى غيره فانه جاء فى الدرجة الثانية ، ثم إن هذا المؤمن
المتقى الذى انزوى فى شعب من الشعاب لا يكون له هذه الدرجة
الثانية الا اذا كان لا بد من الانزواء مثل أن يكون الزمن زمن فتنة
بين المسلمين (٢) .

وفى حديث عائشة رضى الله عنها ، قالت : يا رسول الله ، نرى
الجهاد أفضل العمل ، أفلا نجاهد ؟ قال : « لكن أفضل الجهاد ، حج
مبرور » (٣) .

فى هذا الحديث دلالة واضحة على فضل الجهاد وتعظيمه من
وجوه .. الوجه الأول : تطلع النساء الى ما سبقهن به الرجال من هذا

(١) صحيح البخارى رقم (٢٢٨٦) ، فتح البارى ج ٦ ص ٦ ،
وصحيح مسلم ج ٣ ص ١٠٥٣

(٢) انظر : فتح البارى ج ٦ ص ٧

(٣) صحيح البخارى (٢٧٨٤) ، فتح البارى ج ٦ ص ٤

الفضل . الوجه الثانى : قول عائشة رضى الله عنها : نرى الجهاد أفضل العمل ، وإقرار الرسول صلى الله عليه وسلم لقولها . الثالث : قوله صلى الله عليه وسلم : « لكن أفضل الجهاد حج مبرور » فيكون الحج أفضل الجهاد بكونه للنساء لقوله : « لكن » وفى هذا زيادة تأكيد لكون الجهاد أفضل الأعمال لغير النساء .

وفى حديث أنس بن مالك رضى الله عنه ، قال : كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى السفر ، فمنا الصائم ومنا المفطر ، قال : فنزلنا منزلا فى يوم حار ، أكثرنا ظلالا صاحب الكساء ، ومنا من يتقى الشمس بيده ، قال : فسقط الصوم وقام المفطرون ، فضربوا الأبنية وسبقوا الركاب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ذهب المفطرون اليوم بالأجر » (١) .

ويظهر فى هذا الحديث فضل من قام بالخدمة فى الغزو وهو مفطر ، على من صام وعجز عن الخدمة لمشقة الصوم .

قال الحافظ رحمه الله : « الأجر » أى الوافر ، وليس المراد نقص أجر الصوم بل المراد أن المفطرين حصل لهم أجر عملهم ومثل أجر الصوم لتعاطيهم أشغالهم وأشغال الصوم . . . الى أن قال : « قال ابن أبى صفرة : فيه أن أجر الخدمة فى الغزو أعظم من أجر الصيام . قلت : وليس ذلك على الصوم » (٢) .

قال الباحث : هو كذلك فى كل حالة تشبه هذه الحالة : من قام بأعمال الغزو كان أفضل ممن قام بعبادة لازمة شغلته عن عمل الغزو ، لأن الجهاد أفضل العمل لا سيما فى مثل هذا الوقت الذى يكون المسلمون أحوج فيه الى التعاون فى أعمال الجهاد . والله أعلم .

(١) صحيح البخارى (٢٨٩٠) ، فتح البارى ج ٦ ص ٨٤ ، صحيح

مسلم ج ٢ ص ٧٨٨

(٢) فتح البارى ج ٦ ص ٨٤

● درجات المجاهدين :

فى حديث أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « من آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة وصام رمضان ، كان حقا على الله أن يدخله الجنة ، جاهد فى سبيل الله أو جلس فى أرضه التى ولد فيها » .. فقالوا : يا رسول الله ، أفلا نبشر الناس ؟ قال : « ان الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين فى سبيل الله ، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض ، فاذا سألتهم الله فاسألوه الفردوس فانه أوسط الجنة وأعلى الجنة » (١) .

بين الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث حدا أدنى يقف عنده من أراد دخول الجنة غير منافس فى درجاتها العلى ، وهو أن يؤمن بالله ورسوله ويقيم الصلاة ويصوم رمضان ، ولو لم يجاهد فى سبيل الله ، وحدا أعلى لمن طمعت نفسه الى الفردوس والمنافسة فى الدرجات العلى .

وعندما سمع الصحابة رضى الله عنهم الشق الأول من الحديث فرحوا به وطلبوا من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يأذن لهم بأن يبشروا الناس بذلك ، فانتقل بهم الى ما هو أعظم وأفضل ، وهو بيان درجات المجاهدين التى لا ينالها غيرهم من الصنف الأول .

وليس فى الحديث تسوية بين الجهاد وعدمه ، كما توهم بعض العلماء من قوله صلى الله عليه وسلم : « جاهد فى سبيل الله أو جلس فى أرضه التى ولد فيها » بل فيه أن أصل دخول الجنة مضمون له جاهد أو لم يجاهد ، وهذا هو الحد الأدنى كما مضى ، أما الحد الأعلى فقد ذكره بقوله : « ان فى الجنة مائة درجة .. » (الحديث) ، وهذه علة لترك التبشير أى لا تبشروهم بما سبق ليتجاوزوه الى الأفضل وهو أن فى الجنة مائة درجة .. الخ .

(١) صحيح البخارى رقم (٢٧٩٠) ، وفتح البارى ج ٦ ص ١١

كما بين ذلك الحافظ مستدلاً برواية الترميذي ونصها : قلت يا رسول الله ، ألا أخبر الناس ؟ قال : « ذر الناس يعملون ، فإن الجنة مائة درجة » . قال الحافظ : فظهر أن المراد : لا تبشر الناس بما ذكرته من دخول الجنة لمن آمن وعمل الأعمال المفروضة عليه فيقفوا عند ذلك ولا يتجاوزوه الى ما هو أفضل منه من الدرجات التي تحصل بالجهاد^(١) .

* * *

● الجنة تحت ظلال السيوف :

عن عبد الله بن أبي أوفى : فكتب الى عمر بن عبيد الله ، حين سار الى الحرورية يخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في بعض أيامه التي لقي فيها العدو ، ينتظر حتى اذا مالت الشمس قام فيهم فقال : « يا أيها الناس ، لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية . فاذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف » ثم قام النبي صلى الله عليه وسلم وقال : « اللهم منزل الكتاب . ومجرى السحاب . وهازم الأحزاب . اهزمهم وانصرنا عليهم »^(٢) .

وأى فضل أكبر من هذا الفضل ؟ يصول المجاهد ويجول في حومة الوغى وهو يعلم أنه يتجول في عرصات الجنة تحت ظل سيفه وسيف عدوه ، وما أن يسقط في هذه الأرض حتى يرى مقعده في الجنة وتظله الملائكة .

* * *

● فضل الشهداء وكرامتهم :

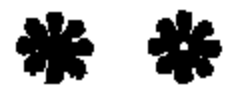
عن أبي هريرة رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « انتدب لمن خرج في سبيله ، لا يخرجه الا ايمان بى وتصديق

(١) فتح البارى ج ٦ ص ١٢
(٢) رواه مسلم ج ٣ ص ١٣٦٢/٦ باب كراهة تمنى لقاء العدو -
رقم الحديث (٢٠) .

يرسلى أن أرجعه بما نال من أجر أو غنيمة وأدخله الجنة ، ولولا أن أشق على أمتى ما قعدت خلف سرية ، ولوددت أنى أقتل فى سبيل الله ، ثم أحيا ثم أقتل ، ثم أحيا ثم أقتل » (١) .

— وعن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع الى الدنيا وله ما على الأرض من شىء الا الشهيد يتمنى أن يرجع الى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة » (٢) .

فالمجاهد — كما يظهر من حديث أبى هريرة — رابح على كل حال ، اقتصر على عدوه فعاد الى بيته غانما مأجورا ، أم استشهد فدخل الجنة ، وهذه الأخيرة هى الكرامة التى ميز الله بها الشهيد حيث لا يتمنى أحد غيره أن يحييه الله حياة أهل الدنيا ويخرجه من الجنة ليعود الى الدنيا ليقاتل فى سبيل الله فيقتل مرارا لما رأى من الخير العظيم المترتب على الشهادة فى سبيل الله لا بل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحب المقام المحمود الذى ما كان يقعد خلف سراياه الا اشفاقا على أمته بأن تكلف نفسها الخروج فى كل سرية مثله فيشق ذلك عليها ، أنه صلى الله عليه وسلم ليتمنى أن يقتل ثم يحيا ثم يقتل فى سبيل الله حبا فى كرامة الشهداء عند الله . قال الحافظ : قال ابن بطلان : هذا الحديث (حديث أنس) أجل ما جاء فى فضل الشهادة (٣) .



● اى شىء نشتهى :

عن مسروق . قال : سألنا عبد الله بن مسعود عن هذه الآية :

-
- (١) رواه البخارى رقم (٣٦) ، فتح البارى ج ١ ص ٩٢ ، ومسلم ج ٣ ص ١٤٩٧
(٢) رواه البخارى رقم (٢٨١٧) ، فتح البارى ج ٦ ص ٣٢ ، ومسلم ج ٣ ص ١٤٩٧
(٣) فتح البارى ج ٦ ص ٣٣

ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا ، بل أحياء عند ربهم يرزقون» (١) . قال : أما انا قد سألنا عن ذلك فقال : « أرواحهم في جوف طير خضر . لها قناديل معلقة بالعرش . تسرح من الجنة حيث شاءت . ثم تأوى الى تلك القناديل . فاطلع اليهم ربهم اطلاعة . فقال : هل تشتهون شيئا ؟ قالوا : أى شئ تشتهى ؟ ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا . ففعل ذلك بهم ثلاث مرات . فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا ، قالوا : يا رب ا فريد أن ترد أرواحنا فى أجسادنا حتى نقتل فى سبيلك مرة أخرى ، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا» (٢) .

● وانه فى جنة الفردوس :

عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن أم الريح بنت البراء وهى أم حارثة بن سراقة أتت النبى صلى الله عليه وسلم فقالت : يا نبى الله ، ألا تحدثنى عن حارثة - وكان قتل يوم بدر - أصابه سهم غرب - فان كان فى الجنة صبرت ، وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه فى البكاء . قال : « يا أم حارثة ، انها جنان فى الجنة ، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى» (٣) .

● اللون لون الدم والريح ريح المسك :

حدثنا أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) آل عمران : ١٦٩

(٢) رواه مسلم ج ٣ ص ٣٣/١٥٠٢ باب بيان ارواح الشهداء فى الجنة - رقم الحديث (١٢١) .

(٣) فتح البارى - ابن حجر العسقلانى ج ٦ ص ١٤/٢٦ باب من اتاه سهم غرب فقتله .

أنه قال : « كل كلم يكلمه المسلم فى سبيل الله ، ثم تكون يوم القيامة كهيئتها اذ طعنت تفجر دما . اللون لون الدم والريح ريح المسك » (١) .

● ينطلقون فى الغرف العلى فى الجنة :

عن نعيم بن همار العطفانى رضى الله عنه أن رجلا سأل النبى صلى الله عليه وسلم : أى الشهداء أفضل ؟ قال : « الذين يلقوا فى الصف لا يلفتون وجوههم حتى يقتلوا ، أولئك ينطلقون فى الغرف العلى فى الجنة ، ويضحك اليهم ربه ، واذا ضحك ربك الى عبد فى الدنيا فلا حساب عليه » (٢) .

● يعطى الشهيد ست خصال :

عن قيس الجذامى - رجل كانت له صحبة - قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « يعطى الشهيد ست خصال عند أول قطرة من دمه : يكفر عنه كل خطيئة ، ويرى مقعده فى الجنة ، ويزوج من الحور العين ، ويؤمن من الفرع الأكبر ، ومن عذاب القبر ، ويعطى حلة الايمان » (٣) .

وقال الحافظ : وروى ابن ماجه من طريق شهر بن حوشب عن أبى هريرة قال : ذكر الشهيد عند النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : « لا تجف الأرض من دم الشهيد حتى تبتدره زوجاته من الحور العين ، وفى يد كل واحدة منهن حلة خير من الدنيا وما فيها » ، والأحمد والطبرانى من حديث عبادة بن الصامت مرفوعا : « انى للشهيد عند الله

(١) رواه مسلم ج ٣ ص ١٤٩٧/١٠٦ ، البخارى رقم (٢٣٧) ، فتح البارى ج ١ ص ٣٤٤

(٢) مسند الامام أحمد ج ٥ ص ٣٨٧

(٣) مسند الامام أحمد ج ٤ ص ٢٠٠ ، قال البنا فى الفتح

الربانى ج ١٣ ص ٣٠ : أخرجه ابن سعد وسنده جيد .

سبع خصال » ، فذكر الحديث وفيه : « ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين » (اسناده حسن ، وأخرجه الترمذى من حديث المقدم ابن معد يكرب ، وصححه) (١) .

● لا يفضل النبيون إلا بدرجة النبوة :

عن عتبة بن عبد السلمي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . « القتل ثلاثة : مؤمن جاهد بنفسه وماله في سبيل الله اذا لقي العدو قاتل حتى قتل » . قال النبي صلى الله عليه وسلم فيه : « فذلك الشهيد الممتحن في خيمة الله تحت عرشه لا يفضل النبيون إلا بدرجة النبوة ، ومؤمن خلط عملا صالحا وآخر سيئا جاهد بنفسه وماله في سبيل الله اذا لقي العدو قاتل حتى يقتل » ، قال النبي صلى الله عليه وسلم فيه : « مصمصه تحت ذنوبه وخطاياها ، ان السيف محاء للخطايا وأدخل الجنة من أى أبواب الجنة شاء ، ومنافق جاهد بنفسه وماله اذا لقي العدو حتى قتل فذاك في النار ، ان السيف لا يمحو النفاق » . قال عبد الله : يقال للشوب اذا غسل : مصمص (٢) .

● تظله الملائكة بأجنحتها :

عن ابن المنكدر قال : سمعت جابرا قال : لما قتل أبى جعلت أبكى وأكشف الثوب عن وجهه فجعل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ينهونى والنبي صلى الله عليه وسلم لم ينه ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا تبكيه - أو ما تبكيه - ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفع » (٣) .

(١) فتح البارى ج ٦ ص ١٥ ، ١٦

(٢) سنن الدارمى ج ٢ ص ٢٠٦ باب في صفة القتل في سبيل

الله ، والطياسى ج ١ ص ٢٣٤ ، وابن حبان : موارد الظمان ص ٣٨٨ ، والبيهقى ج ٩ ص ١٦٤

(٣) رواه البخارى ج ٥ ص ٣٩ باب من قتل من المسلمين يوم احد ،

فتح البارى ج ٧ ص ٢٧٤

● رضى الله عنهم وارضاهم :

عن أنس بن مالك قال : جاء فاس الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : أن ابعث معنا رجلا يعلمونا القرآن والسنة • فبعث اليهم سبعين رجلا من الأنصار • يقال لهم القراء • فيهم خالي حرام يقرءون القرآن • ويتدارسون بالليل يتعلمون • وكانوا بالنهار يجيئون بالماء فيضعونه في المسجد • ويحتطبون فيبعونه ويشترون به الطعام لأهل الصفة • وللفقراء • فبعثهم النبي صلى الله عليه وسلم اليهم • فعرضوا لهم فقتلوه • قبل أن يبلغوا المكان • فقالوا : « اللهم ! بلغ عنا نبينا ، انا قد لقيناك فرضينا عنك • ورضيت عنا » • قال : وأتى رجل حراما - خال أنس - من خلفه فطعنه برمح حتى أفضه ، فقال حرام : فزت ، ورب الكعبة ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : « ان اخوانكم قد قتلوا • وانهم قالوا : اللهم ! بلغ عنا نبينا ، انا قد لقيناك فرضينا عنك • ورضيت عنا » (١) •

* * *

● افضل الدور واحسنها (دار الشهداء) :

عن سمرة قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « رأيت الليلة رجلين أتياني فصعدا بي الشجرة فأدخلاني دارا هي أحسن وأفضل لم أر قط أحسن منها قالا : أما هذه الدار فدار الشهداء » (٢) •

* * *

● الأوسمة النبوية للمجاهدين (سيف من سيوف الله) :

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : خطب النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « أخذ الراية زيد فأصيب ثم أخذها جعفر فأصيب ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأصيب ثم أخذها خالد بن الوليد عن غير امرأة

(١) رواه مسلم ج ٣ ص ١٥١١ / ١ باب ثبوت الجنة للشهيد - رقم الحديث (١٤٧) •

(٢) رواه البخارى ج ٣ ص ٢٠٢ باب درجات المجاهدين في سبيل الله •

ففتح له « وقال : « ما يسرنا أنهم عندنا » قال أيوب : أو قال .
« ما يسرهم أنهم عندنا » وعيناه تذرفان (١) .

إذا كان من يسمونهم بالقواد العظام من عباد الدنيا والطفاة والجاه
والثناء يستبسلون في بعض المعارك مع أعدائهم لينالوا رتبا عسكرية
أو تخلد ذكراهم - كما يقولون - باطلاق أسمائهم على بعض الشوارع
في المدن أو غير ذلك مما يروته تكريما لهم ، فإن المجاهد المسلم ينال
أشرف ثناء وينال أعلى الأوسمة الإلهية والنبوية ، ثناء صدق ووسام
شرف ، وما هو أحد أبطال الإسلام وقادته العظام حقا ، ينال هذا
اللقب النبوي الخالد على مدى الدهر « سيف من سيوف الله » فإذا
ذكره المسلمون على ألسنتهم لم يذكروا اسمه وإنما يذكرون هذا
اللقب الذي ألزمه الله به على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ،
فيقولون : سيف الله خالد ، ولو لم يكن خالد رضى الله عنه أبلى في
سبيل الله بلاءا حسنا وقاد جيوش الإسلام للجهاد في سبيل الله
لما حاز هذا الشرف وما نال هذا الوسام الإلهي العظيم .

* * *

● يا ابن ذى الجناحين :

وينتقل المجاهد الى جوار ربه وينال رضوانه وينال أقاربه التكريم
من أجله . وقد كان ابن عمر رضى الله عنهما إذا سلم على ابن جعفر
قال له : « السلام عليك يا ابن ذى الجناحين » (٢) .

بعد أن هنأ الرسول صلى الله عليه وسلم باستشهاد أبيه وما ناله
من تكريم الله له بقوله : « هنيئا لك ، أبوك يطير مع الملائكة في السماء » ،
قال الحافظ : أخرجه الطبراني بإسناد حسن .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال : « مر بي جعفر الليلة في ملا من الملائكة ، وهو

(١) رواه البخارى ج ٣ ص ٢٠٣ باب تمنى الشهادة .

(٢) صحيح البخارى رقم (٣٧٠٩) ، فتح البارى ج ٧ ص ٥٧

مخضب الجناحين بالدم » (أخرجه الترمذى والحاكم بإسناد على شرط مسلم) ، وأخرج أيضا هو والطبرانى عن ابن عباس مرفوعا : « دخلت البارحة الجنة فرأيت فيها جعفر يطير مع الملائكة » وفى طريق آخر عنه : « أن جعفر يطير مع جبريل وميكائيل له جناحان عوضه الله من يديه » ، وإسناد هذه جيد وطريق أبى هريرة فى الثانية قوى إسناده على شرط مسلم (١) .

* * *

● كانت تزفر لنا القرب يوم أحد :

عن ثعلبة بن أبى مالك أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قسم مروطا بين نساء من نساء أهل المدينة ، فبقى منها مرط جيد ، فقال له بعض من عنده : « يا أمير المؤمنين ، أعط هذا بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم التى عندك - يريدون أم كلثوم بنت على - فقال عمر : أم سليط أحق به ، وأم سليط من نساء الأنصار ممن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال عمر : فانها كانت تزفر لنا القرب يوم أحد (٢) .

* * *

● الثناء على القوم بكثرة شهدائهم :

عن قتادة قال : ما نعلم حيا من أحياء العرب أكثر شهيدا أعز يوم القيامة من الأنصار ، قال قتادة : وحدثنا أنس بن مالك أنه قتل منهم يوم أحد سبعون ، ويوم بئر معونة سبعون ، ويوم اليمامة سبعون . قال : وكان بئر معونة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويوم اليمامة على عهد أبى بكر يوم مسيلمة الكذاب (٣) .

* * *

(١) فتح البارى ج ٧ ص ٧٦

(٢) فتح البارى ج ٧ ص ٣٦٦ ، صحيح البخارى رقم (٤٠٧١) .

(٣) صحيح البخارى رقم (٤٠٧٨) ، فتح البارى ج ٧ ص ٣٧٤

● وكذلك من شهد بدرا من الملائكة :

عن رافع الزرقى قال : جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ما تعدون أهل بدر فيكم ؟ قال : « من أفضل المسلمين » — أو كلمة نحوها — قال : وكذلك من شهد بدرا من الملائكة^(١) .

الملائكة الذين اشتركوا في معركة بدر مع المسلمين خيار الملائكة ، كما أن الصحابة الذين شهدوها خيار المسلمين كما ورد ذلك صريحا في بعض الروايات ، سأل جبريل النبي صلى الله عليه وسلم : كيف أهل بدر فيكم ؟ قال : « خيارنا » قال : وكذلك من شهد بدرا من الملائكة هم خيار الملائكة^(٢) . فالجاهدون من الملائكة أفضل من سواهم .

● خير من الدنيا وما فيها :

عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لعدوة في سبيل الله أو روحه خير من الدنيا وما فيها » . وفي رواية من حديث أبي هريرة : « لعدوة أو روحه في سبيل الله خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب »^(٣) .

● امن دائم ورزق مدرار وعمل صالح مستمر :

عن سهل بن سعد الساعدي رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها . وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها ، والروحة يروحها العبد في سبيل الله أو لعدوة خير من الدنيا وما عليها »^(٤) .

(١) صحيح البخارى رقم (٣٩٩٢) ، فتح البارى ج ٧ ص ٣١١

(٢) فتح البارى ج ٧ ص ٣١٣

(٣) صحيح البخارى رقم (٢٧٩٢) ، فتح البارى ج ٦ ص ١٣

(٤) صحيح البخارى رقم (٢٨٩٢) ، فتح البارى ج ٦ ص ٨٥

وعن سلمان • قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه • وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمل ، وأجرى عليه رزقه ، وأمن الفتان » (١) •

● من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله :

ومما يظهر فضل الجهاد في سبيل الله هدفه العام الذي شرع من أجله :

عن أبي موسى رضى الله عنه قال : جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : الرجل يقاتل للمغنم ، والرجل يقاتل للذكر ، والرجل يقاتل ليرى مكانه ، فمن في سبيل الله ؟ قال : « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » (٢) •

فالذى يجاهد في سبيل الله لاعلاء كلمة الله ، لا للمغنم ، ولا لذكر ورياء - واعلاء كلمة الله يتحقق به كل خير ويقضى به على كل شر - الذى يجاهد لذلك لا شك يحوز فضلا لا يحوزه الا من سلك سبيله •

اخلاق المجاهد

انه من أبرز تعاليم الاسلام الحرية تنظيم أخلاق المجاهد قائدا كان أو جنديا ، وسنعيش مع المجاهدين المسلمين الأول لنرى الأخلاق التى تحلوا بها فضمنت لهم النصر المبين :

١ - الشجاعة والصبر :

فى قمة هذه الأخلاق الشجاعة والصبر ، وذلك يبدو واضحا

(١) صحيح مسلم ج ٣ ص ٥٠/١٥٢٠ باب فضل الرباط في سبيل الله - رقم الحديث (١٦٣) •

(٢) صحيح البخارى رقم (٢٨١٠) ، فتح البارى ج ٦ ص ٢٧ ، صحيح مسلم ج ٣ ص ١٥١٢

من تكليف القرآن للمسلمين في مطلع الاسلام أن يناضل الواحد منهم عشرة ، وأن يتغلب عليهم بالصبر ، وعندما خفف الله عنهم أصبح على المسلم أن يصارع اثنين وأن يصبر ليتغلب عليهما ، استمع الى قوله تعالى :
﴿ يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال ، ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا بانهم قوم لا يفقهون . الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا ، فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ، وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله ، والله مع الصابرين ﴾ (١) .

وقد ضرب المسلمون الأول - وفي قمتهم الرسول صلى الله عليه وسلم - أعلى المثل في التخلق بالشجاعة والصبر ، وقد روى عن علي بن أبي طالب قوله : « انا كنا اذا اشتد البأس واحمرت الحديق اتقينا برسول الله ، فما يكون أحد أقرب الى العدو منه » ، ويقول عبد الله ابن عمر : ما رأيت أشجع ولا أنجد ولا أجود ولا أرضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان الصحابة يرون في الرسول قدوة لهم .

وقد عبر عن ذلك سعد بن معاذ بقوله : والذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا العدو غدا ، انا لصبر في الحرب ، صدق في اللقاء ، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك . وكان خالد بن الوليد يقول لجنده : يا أهل الاسلام ، ان الصبر عز ، ولله الفضل عجز ، وإن النصر مع الصبر .

* * *

٢ - الخشونة والتقشف :

ومن الأخلاق التي يراها الاسلام ضرورية للجندى : الخشونة والتقشف ، ومن الواضح أن اللين والترف يفسدان حياة الجندى ويقضيان على نخوته ، والتاريخ يذكرنا بالأبطال الميامين الذين وقفوا

(١) الأنفال : ٦٥ ، ٦٦

خلف الخندق فى غزوة الأحزاب يدافعون عن الديار وقد شدوا
الحجارة على بطونهم من الجوع ، وقد رأينا من قبل ذلك المحارب
البطل الذى انسل من المعركة بدافع الجوع لياكل بضع بلحات هى
كل زاده ، وقد أثبت أبطال الاسلام فى الجيل الأول بطولة نادرة
لأن نشأتهم كانت نشأة صلابة وخشونة ، انهم كانوا كما وصفتهم
رسل المقوقس اليه : ليس لأحد منهم فى الدنيا رغبة ولا نهمة ،
جلوسهم على التراب ، وأميرهم كواحد منهم •

وفى العهود الاسلامية المتأخرة نجد الانكشافية يحققون نصرا
مينا فى مختلف الأرجاء لأن تربيتهم كانت خشنة شديدة ، فلما ذاقوا
اللين وانغمسوا فى قبح العيش انهاروا وأصبحوا وبالا على أنفسهم
وعلى بلادهم ، وكان لا بد من القضاء عليهم لتبدأ الدولة من جديد •

ويرتبط بالخشونة فى الحروب : الطاعة ، وقد عبر القرآن الكريم
عن هذا الخلق أدق تعبير :

قال تعالى : ﴿ طاعة وقول معروف ، فإذا عزم الأمر فلو صدقوا
الله لكان خيرا لهم ﴾ (١) •

* * *

٣ - صدق البلاء :

ومن الأخلاق الضرورية للمحارب : صدق البلاء والاصرار على
الصراع ، يقول على بن أبى طالب كرم الله وجهه : لقد كنا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم نقتل آباءنا واخواننا وأعمامنا ، ما يزيدنا ذلك
الا ايمانا وتسليما • ومضيا على اللقم (أى الطريق المعتدل) وصبرا
على مضض الألم ، وجدا فى جهاد العدو ، ولقد كان الرجل منا والآخر
من عدونا يتصاولان تصاول الفحلين يتخالسان أنفسهما أيهما يسقى
صاحبه كأس المنون ، فمرة لنا من عدونا ، ومرة لعدونا منا ، فلما رأى

(١) محمد : ٢١

الله صدقنا أنزل بعدونا الكبت وأنزل علينا النصر ، حتى استقر
الاسلام ملقيا جرابه ومبتونا أوطانه .

* * *

٤ - انكار الذات :

ومن الأخلاق الضرورية للمجاهد : انكار الذات ، ودخول المعركة
باسم الجماعة ، والتعاون التام للحصول على النصر وان اختفى دور الفرد
فى ثنايا العمل الجماعى ، وهو المقصود بقوله تعالى : ﴿ ان الله يحب الذين
يقاتلون فى سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص ﴾ (١) .

أى تبدو فيهم وحدة البنيان لا تعدد اللبئات ، ويحكى التاريخ
أن مسلمة بن عبد الملك كان أميرا على جيش من جيوش المسلمين ، وكان
يحاصر حصنا من حصون الروم استعصى عليهم فلم يفتجوه . فحرض
الأمير جنده على التضحية والاقدام ، حتى يحدثوا فى ذلك الحصن
ثغرة ، ويثقبوا فيه ثقباً ، فأسرع واحد من المسلمين بالاستجابة
لنداء الأمير ، واندفع الى الحصن وقد وضع لثاماً على وجهه حتى
لا يعرفه أحد ، واستطاع أن يحدث فيه ثغرة اندفع منها جنود المسلمين
وفاجأوا الأعداء واقتصروا عليهم ، ففرح مسلمة كثيراً ونادى :
أين صاحب الثقب ؟ فلم يأت أحد ، فصاح : عزمت على صاحب
الثقب ألا جاء لى ، فحضر الرجل المثلث واستأذن للدخول على القائد
فسأله الحاجب : هل أنت صاحب الثقب ؟ فأجاب : أنا أدلكم عليه ،
فأدخله الحاجب ، فلما مثل الرجل أمام مسلمة قال له : أيها الأمير ،
إن صاحب الثقب يشترط عليكم ثلاثاً : ألا تبعثوا باسمه فى صحيفة
الى الخليفة ، وأن لا تأمروا له بشئ ، وألا تسألوه من هو . فقال
مسلمة : ذلك له ، فقال الرجل فى استحياء : أنا صاحب الثقب ، ثم ولى
مسرعاً .

(١) الصف : ٤

فكان مسلمة بعد ذلك لا يصلى صلاة الا دعا فيها فقال : اللهم
اجعلنى مع صاحب الثقب يوم القيامة .

ومثل هذا يروى أنه فى أثناء حصار عكا كان هناك رجل من
دمشق يشرف على آلات النفط وتحضير المواد اللازمة للمفرقات ،
فأحرق ثلاثة أبراج للعدو ، فأمر صلاح الدين بأن يمنح جائزة ، ولكن
الزجل رفض قبولها وقال : «انما فعلته لله ، ولا أريد الجزاء الا منه»^(١) .

* * *

٥ - الايثار :

ومن الأخلاق الضرورية للمحارب : الايثار ، ففى رحاب الايثار وحدة
وصلابة وقوة ، ويذكر التاريخ أن ثلاثة من أبطال المسلمين وقعوا مشخين
بالجراح فى معركة اليرموك وهم : عكرمة بن أبى جهل ، وسهيل
ابن عمرو ، والحارث بن هشام ، وعندما كانوا فى النزاع الأخير مر بهم
الساقى وكل منهم فى حاجة الى قطرات من الماء ، ولكن كل منهم
كان يؤثر صاحبيه على نفسه ، فيروى أن الساقى عندما جاء الى
عكرمة أشار هذا الى سهيل لأنه كان ينظر الى افاء الماء ، فلما
تقدم الساقى من سهيل قال : ابدأوا بالحارث ، ومات الثلاثة دون أن
ينالوا من الماء شيئاً .

وفى حرب أكتوبر ١٩٧٣ على خط النار فى سيناء مثل الجيش
المصرى أروع دور فى الايثار ، فكانوا يعيشون اليوم والأيام يتقاسمون
قطعة من البسكويت ، ويقتسمون كوب ماء ليلى كل منهم لسانه فقط .
وكان هذا من أسباب النصر المبين الذى أحرزه جيشنا فى صراعه
مع الصهاينة أعداء الله وأعداء الانسانية .

* * *

(١) ابن خلدون ج ٥ ص ٣٢١

تلك هي أبرز الصفات التي يلزم أن يتخلق بها المجاهد قائداً كان أو جندياً . ولكن هناك صفات خاصة بالقائد ، ذلك الذي وضعت في يده مقاليد الأمور وأرواح الناس من جند يدفع بهم الى المعركة ، ومن شعب التزم القائد بالدفاع عنه وحراسته ، وهذا يحتم على القائد أن يكون أهلاً لهذه المسؤولية الكبرى . لأن غلطة واحدة منه تجر على الجند والشعب ألواناً من الكوارث . وقد كتب الهرثمي في الباب الثالث من مخطوطته عن سياسة الحرب أبرز الصفات اللازمة للرئيس ، فقال : أفضل الرؤساء في الحرب أفضلهم تقيّة ، وأكملهم عقلاً ، وأطولهم تجربة ، وأبعدهم صوتاً ، وأبصرهم بتدبير الحرب ومواضعها ، ومواضع القرص والحيل والمكايد ، وأحسنهم تعبئة لأصحابه من العدو ، وأن يكون حسن السيرة عفيفاً صارماً حازماً متيقظاً ، شجاعاً ، سخياً^(١) .

وقد تعرض الهرثمي لتقوى الله في الحرب ، وأفرد لها الباب الأول من مخطوطته ، ومما جاء فيه قوله : ينبغي لصاحب الحرب أن يجعل برأس سلاحه في حربه تقوى الله وحده ، وكثرة ذكره ، والاستعانة به ، والتوكل عليه ، والفرع اليه . ومسأله التأييد والنصر ، والسلامة والظفر^(٢) ،^(٣) .

* * *

غزوات رسول الله ﷺ والسرايا التي أرسلها النبي الكريم

لقد سميت المعارك وسميت الحملات العسكرية التي لم يحدث فيها قتال والتي كانت بقيادة رسول الله صلى الله عليه وسلم المباشرة « غزوات » ، أما التي أرسلها النبي صلى الله عليه وسلم تحت إمرة

(١) الهرثمي : المختصر في سياسة الحروب ص ٦ ، ٧ - مخطوطة بالجامعة العربية .

(٢) المرجع السابق ص ٤

(٣) أحمد شلبي - الجهاد والنظم العسكرية في التفكير الاسلامي

ص ٧٢ - ٨٧

أحد القادة المسلمين فقد سميت « سرايا » ما عدا غزوة مؤتة فقد سميت كذلك لأهميتها •

اذ لم يكن للسرية عدد محدد فقد كان عددها يزداد أو يقل تبعاً للمهمة التي توكل اليها ، فبينما كان عدد أفراد السرية يرتفع الى ما يوازي عددها في المصطلح المعاصر أو أكثر منه ، نرى أن هذا العدد ينخفض في بعض الأحيان الى ما يمكن تسميته اليوم بـ «مفرزة» ، لذلك نرى أن ما كان يقصد به كلمة سرية هو قريب اليوم من كلمة « مهمة » فقد كان عدد غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم التي غزا فيها بنفسه سبعا وعشرين غزوة وقد حدث قتال في تسع منها ، وهذه الغزوات هي : بدر الكبرى ، أحد ، المريسيع ، الخندق ، قريظة ، خيبر ، فتح مكة ، حنين ، الطائف •

أما السرايا فقد كانت سبعا وأربعين سرية ، كان يبعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الأحيان في مهمات استطلاعية ، وفي أحيان أخرى للدعوة القبائل الى الاسلام وتعليمهم أسس الدين الجديد ، أو لعقد اتفاقيات مع بعض هذه القبائل تتعهد فيها بأن لا تظاهر أحدا ضد المسلمين ولا تقوم ضدهم بأعمال عدوانية •

أما القبائل التي كانت تظهر العداوة للمسلمين أو تتآمر ضدهم أو تبغى لهم الشر ، فاتها كانت تتعرض اما لغزوة بقصد تأديبها أو لتثبيت قواتها المقاتلة في أماكنها فلا تهب لنجدة خصم من أعداء المسلمين ، أو من أجل تثبيت قواتها قبل أن تكمل استعداداتها لمهاجمة المسلمين •

كما كانت القبائل المعادية تتعرض لهجمات سريعة من قبل سرايا المسلمين فتستولى فيها هذه السرايا على ما تصادفه من أملاك ومواشي الأعداء ، لأن مواشي المسلمين وممتلكاتهم على أطراف المدينة كانت تتعرض أيضا وفي أحيان كثيرة لاغارات من جانب القبائل المعادية ، بحيث ان بقاء المسلمين دوما في حالة الدفاع عن النفس كان مما يشجع

تلك القبائل على زيادة تحرشاتها واعتداءاتها ، وبالتالي مما يؤدي الى النيل من معنويات المسلمين واطعاف شأنهم .

لذلك كان خروج الغزوات والسرايا لمهاجمة الأعداء في عقر دارهم هو من الأمور الضرورية لفرض هيئة القوات المسلمة وراعاة الأعداءها .

أما الغزوات والسرايا التي كانت تعترض سبيل قوافل قريش التجارية بقصد الاستيلاء عليها ، فانها جاءت ردا على الحرب التي بدأت بشنها قريش ضد المسلمين بما في ذلك الحرب الاقتصادية ومنها المقاطعة الاقتصادية في الشعب وغيرها من أنواع الظلم والقهر الذي أدى الى حمل المسلمين على الهجرة الى المدينة تاركين في مكة منازلهم وممتلكاتهم التي استولى عليها بعد هجرتهم زعماء قريش .

هذا بينما لم يحدث صدام أو مواجهة عسكرية على نطاق واسع مع القوات المسلمة في غزواتها وسراياها حتى واقعة بدر الكبرى ، ومن ثم في عدد من المعارك الأخرى التي سنشرحها في الصفحات القادمة^(١) .



نسخة موجزة عن مجمل الغزوات والسرايا

● سرية حمزة بن عبد المطلب :

كانت سرية حمزة بن عبد المطلب في شهر رمضان ، الشهر السابع من الهجرة النبوية الشريفة ووصول رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة المنورة .

قالوا : أول لواء عقده رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن قدم المدينة لحمزة بن عبد المطلب ، بعثه في ثلاثين راكبا شطرين :

(١) الغزوات الكبرى ومعارك الفتح في العراق ومصر والشام - عبد الكريم غزال ص ١٢٢

خمسة عشر من المهاجرين وخمسة عشر من الأنصار . فلما وصل حمزة وجنوده الى شاطئ البحر اعترض لعير قريش قد جاءت من الشام تريد مكة ، فيها أبو جهل في ثلاثمائة راكب من أهل مكة ، فالتقوا حتى اصطفوا للقتال ، فمشى بينهم مجدى بن عمرو وكان حليفا للفريقين جميعا ، فلم يزل يمشى الى هؤلاء وإلى هؤلاء حتى انصرف القوم وانصرف حمزة راجعا الى المدينة فى أصحابه ، وتوجه أبو جهل فى عيره وأصحابه الى مكة ولم يكن بينهم قتال (١) .

* * *

● سرية عبيدة بن الحارث الى رابغ :

ثم عقد لواء لعبيدة بن الحارث ، فى شوال على رأس ثمانية أشهر ، الى رابغ - ورابغ على بعد عشرة أميال من الجحفة - فخرج أبو عبيدة فى ستين راكبا ، فلقى أبا سفيان بن حرب على ماء يقال له احياء من بطن رابغ ، وأبو سفيان يومئذ فى مائتين ، فما كان من أبى سفيان الا أن أسرع فى سيره تجنباً لوقوع الصدام بينه وبين المسلمين وذلك عندما رمى سعد بن أبى وقاص بأسهمه نحو جمع المشركين . فكان أول من رمى بسهم فى الاسلام سعد بن أبى وقاص ، لم يسلوا السيوف ولم يصطفوا للقتال أكثر من هذا الرمي للمناوشة ، ثم انصرف هؤلاء على حاميتهم وهؤلاء على حاميتهم (٢) .

* * *

● سرية سعد بن أبى وقاص الى الخرار :

ثم عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم لواء لسعد بن أبى وقاص الى الخرار - والخرار من الجحفة - فى ذى القعدة على رأس تسعة أشهر من مهاجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) المفازى - الواقدي ج ١ ص ٩

(٢) المرجع السابق ج ١ ص ١٠

عن عامر بن سعد عن أبيه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اخرج يا سعد حتى تبلغ الخرار ، فان عيرا لقريش ستمر به » • فخرجت في عشرين رجلا - أو أحد وعشرين - على أقدامنا ، فكنا نكمن النهار ونسير الليل حتى صبحناها صبح خميس ، فنجد العير قد مرت بالأمس • وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم عهد الى ألا أبجوز الخرار ، ولولا ذلك لرجوت أن أدركهم • فرجع الى المدينة^(١) •

● غزوة الأبواء (٢) :

ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في صفر على رأس أحد عشر شهرا ، حتى بلغ الأبواء يعترض لعير قريش ، فلم يلق كيدا ، وفي هذه الغزوة وادع بنى ضمرة من كثافة على ألا يكثروا عليه ، ولا يعينوا عليه أحدا • ثم كتب بينهم كتابا ، ثم رجع ، وكانت غيبته خمس عشرة ليلة^(٣) •

● غزوة بواط :

ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بواط في ربيع الأول على رأس ثلاثة عشر شهرا ، يعترض لعير قريش ، فيها أمية بن خلف ومائة رجل من قريش ، وألفان وخمس مائة بعير ، ثم رجع ولم يلق كيدا^(٤) •

● غزوة بدر الأولى :

ثم غزا النبي صلى الله عليه وسلم في ربيع الأول من السنة الثانية

(١) المفازى - الواقدي ج ١ ص ١١

(٢) الأبواء : قرية من أعمال الفرع من المدينة ، بينها وبين الجحفة مما يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلا (معجم البلدان) ج ١ ص ٩٢

(٣) المفازى - الواقدي ج ١ ص ١١ ، ١٢

(٤) المرجع السابق - ج ١ ص ١٢

للهجرة في طلب « كرز بن جابر الفهري » ورجاله الذين أغاروا على
سرح للمسلمين كان يرعى على مقربة من المدينة ، فتبعه النبي ومعه قوة من
المسلمين حتى بلغ بدرا ولم يدركه (١) .

* * *

● غزوة ذي العشيرة :

ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم في جمادى الآخرة من
السنة الثانية للهجرة متوجها نحو مكان يسمى « العشيرة » يقع من
ناحية ينبع بين مكة والمدينة ، خرج عليه الصلاة والسلام في مائتين
من المسلمين يعترض لقافلة قرشية خرجت من مكة تريد الشام وفيها
أموال للقرشيين جمعت وأرسلت مع تلك القافلة ، لكن القافلة أفلتت
من قبضة المسلمين فعادوا الى المدينة ولم تحدث مواجهة بين الفريقين (٢) .

* * *

● سرية نخلة :

وأرسل النبي صلى الله عليه وسلم سرية على رأسها عبد الله بن
جحش في شهر رجب من السنة الثانية للهجرة ، وكان عدد أفراد
السرية قليلا لأن مهمتها كانت استطلاعية فقط ، وقد أرسلها النبي
الكريم بقيادة عبد الله بن جحش وأرسل معه ثمانية رجال كلهم من
المهاجرين وكتب له كتابا وأمره أن لا ينظر فيه الا بعد مسير يومين ،
فلما سار عبد الله يومين فتح الكتاب فاذا فيه : « سر حتى تأتي بطن
نخلة على اسم الله وبركاته ، ولا تكرهن أحدا من أصحابك على المسير
معك ، وامض لأمرى فيمن اتبعك حتى تأتي بطن نخلة فترصد بها قريشا
وتعلم لنا من أخبارهم » - ونخلة مكان يقع بين مكة والطائف .

(١) الغزوات الكبرى ومعارك الفتح في العراق ومصر والشام -
عبد الكريم غزال ص ١٢٢ وما بعدها .
(٢) المرجع السابق .

فلما قرأ الكتاب على أصحابه قال لهم : لست مستكرها منكم
أحدا ، فمن أراد منكم الشهادة فليمض لأمر رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، ومن أراد الرجعة فمن الآن •

فقالوا جميعا : نحن سامعون ومطيعون لله ولرسوله ولك ، فسر
على بركة الله حيث شئت • فمضى عبد الله بن جحش حتى نزل بنخلة ،
فمرت به غير لقريش تحمل زيبا وجلودا ، وفيها أربعة رجال من قريش ،
فتشاور رجال عبد الله بن جحش في أمرهم وكان ذلك في آخر يوم
من رجب فقالوا : فوالله لو تركتم القوم هذه الليلة ليدخلن الحرم
فيمتنعن منكم به ، ولئن قتلتموهن لتقتلنهم في الشهر الحرام ، فتردد
القوم وهابوا الاقدام عليهم ، ثم شجعوا أنفسهم وأجمعوا على قتل
من قدروا عليه وأخذ ما معهم من تجارة ، فرمى واقد بن عبد الله
التيمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله ، ثم ألقى رفاقه القبض على
اثنين من رجال القافلة وفر الرابع منهم ، وأقبل عبد الله بن جحش
بالعير ومعه الأسيران حتى وصلوا الى المدينة ، فلما قدموا على رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام » ،
فوقف العير فلم يأخذ منها شيئا وحبس الأسيرين ، فلما قال النبي
صلى الله عليه وسلم ذلك ، سقط في أيدي القوم وظنوا أنهم هلكوا ،
ولا سيما عندما عنفهم اخوانهم المسلمون ولاموهم بينما كانت
المدينة تفور فور الرجل • وقالت قريش : لقد استحل محمد وأصحابه
الشهر الحرام فسفكوا فيه الدم وأخذوا فيه الأموال ، وأسروا الرجال •
فلما أكثر الناس في ذلك ، أنزل الله تعالى على رسوله الآية الكريمة :
﴿ يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه ، قل قتال فيه كبير ،
وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وأخرج أهله منه أكبر
عند الله ﴾ (١) •

فلما نزل القرآن بهذا الأمر وفرج الله عن المسلمين ما كانوا فيه من حذر وغم ، قبض رسول الله العير والأسيرين ، فافتدت قريش أحدهما وأسلم الأسير الثاني وأقام في المدينة^(١) .

* * *

● غزوة بدر القتال :

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون للاستيلاء على قافلة أبي سفيان عند عودتها من الشام في طريقها الى مكة . قدرت قوة المسلمين بثلاثمائة مقاتل تقريبا وقدرت قوة المشركين بألف مقاتل .

خرج المسلمون للجهاد في سبيل الله دفاعا عن الدين ووقوفا في وجه المعتدين يحاربون بإيمان في سبيل هدفين : نصر أو شهادة . أما المشركون فهم قوم يحاربون من أجل دنياهم بنفوس كلها حقد ، يسعون الى البغى والسطان ، يحرصون على حياتهم ليعودوا الى ما كانوا يتمتعون به من لذات دنيوية .

بدأ القتال في بدر في صباح اليوم السابع عشر من رمضان من السنة الثانية للهجرة وانتهى في عصر ذات اليوم ، وقد ولي أهل مكة الأدبار ، لقد تصدعت جموع الشرك أمام قوة الايمان وانتصر جند الله على جند الشيطان .

وكانت المعركة قد انجلى عن سبعين قتيلاً وسبعين أسيراً ، وغنم المسلمون كل ما خلف المشركون وراءهم من زاد وعتاد ، أما الذين فازوا بالشهادة فكانوا أربعة عشر شهيدا .

ولم يحزن المسلمون على قتلاهم ولم يكوا عليهم بل اعتبروا شهادتهم فخرا ومجدا وعزا وشرفا .

(١) الغزوات الكبرى ومعارك الفتح في العراق ومصر والشام - عبد الكريم غزال ص ١٢٢ وما بعدها .

وكان النصر العظيم الذي أحرزه المسلمون في بدر ذا أثر كبير في نفسية المسلمين ، فقد اشتدت سواعدهم وقويت شوكتهم وعمق إيمانهم ، وهان عدوهم في نظرهم ، وأصبحوا لا يبالون به ، وازداد اقترابهم من الله (١) .

* * *

● سرية قتل عصماء بنت مروان :

كانت عصماء بنت مروان تؤذى النبي صلى الله عليه وسلم ، وتعيب الاسلام ، وتحرض على النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر جاءها عمير بن عدى في جوف الليل حتى دخل عليها في بيتها وحولها نفر من ولدها نيام ، منهم من ترضعه في صدرها ، فجسها بيده ، فوجد الصبي ترضعه فنجاه عنها ، ثم وضع سيفه على صدرها حتى ألقاه من ظهرها ، ثم خرج حتى صلى الصبح مع النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة . فلما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم نظر الى عمير فقال : « أقتلت بنت مروان » ؟ قال : نعم ، بأبي أفت يا رسول الله . فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم الى من حوله فقال : « اذا أحببتم أن تنظروا الى رجل نصر الله ورسوله بالغيب ، فانظروا الى عمير بن عدى » . وقد كان قتلها في الخامس والعشرين من رمضان من السنة الثانية للهجرة (٢) .

* * *

● سرية قتل أبي عفك :

ثم كانت سرية بقيادة سالم بن عمير ذهبت لقتل أبي عفك الذي كان يحرض الناس على عداوة المسلمين وقتالهم ، ويهجو رسول الله بأشعاره ، وقد قال أبو عفك أبيتا من الشعر بعد وقعة بدر عاب

(١) العبقريّة العسكرية في غزوات الرسول - محمد فرج ص ٢٦٤

وما بعدها (بتصرف) .

(٢) المغازي - الواقدي ص ١٧٢

فيها الاسلام وتهكم على المسلمين ، وقد كان مقتل أبى عفك فى شهر
شوال من السنة الثانية للهجرة (١) .

* * *

● غزوة بنى قينقاع :

وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة بنى قينقاع ، التى
كانت فى الخامس عشر من شوال من السنة الثانية للهجرة ، وذلك بعد
ما تقضى بنو قينقاع عهد المبادعة الذى كان بينهم وبين رسول الله صلى
الله عليه وسلم ، وقد حدثت هذه الغزوة فى أعقاب حادثة مفادها :
أن امرأة مسلمة من الأنصار جاءت تشتري حليا من سوق قبيلة
قينقاع اليهودية فى المدينة ، فجلست القرفصاء أمام أحد الحوانيت
وعلى وجهها غطاء - أو خمار - فجاء رجل من بنى قينقاع فربط طرف
ثوب المرأة الى أعلى ظهرها خلصة بشوكة قوية أو ابرة ، فلما نهضت
ظهرت عورتها فضحك وقهقه من كان على مقربة منها من اليهود ،
فصاحت المرأة مستغيثة فجاء أحد المسلمين وقتل الرجل الذى صنع
بها ذلك ، وهنا اجتمع من كان فى السوق من بنى قينقاع وقتلوا
الرجل المسلم ثم ذهبوا وتحصنوا فى حصونهم ، فسار اليهم رسول
الله وحاصرهم حتى استسلموا فأمر صلى الله عليه وسلم عندئذ بإجلائهم
عن المدينة ومصادرة أسلحتهم ، وقد توسط لهم عبد الله بن أبى قائل
لرسول الله : يا محمد ، أحسن فى موالى (أى حلفائى) فهؤلاء منعونى
يوم بعثت وانى رجل أخشى الدوائر . ثم توجه بعد ذلك بنو قينقاع فى
قوافل حملتهم الى الشام ومنهم من ذهب الى خيرى ووادى القرى (٢) .

* * *

(١) الغزوات الكبرى ومعارك الفتح فى العراق ومصر والشام -
عند الكريم غزال .
(٢) المرجع السابق .

● غزوة قرارة الكدر :

خرج الرسول صلى الله عليه وسلم الى بنى سليم وغطفان ،
فى الخامس عشر من المحرم من السنة الثانية للهجرة ، وقد
غاب الرسول فيها خمسة عشر يوما ، والكدر هو اسم
ماء لبنى سليم . خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة
الى قرارة الكدر عندما علم أن بها جمعا من غطفان وسليم ، فسار رسول
الله صلى الله عليه وسلم اليهم وأخذ عليهم الطريق ولم يجد فى المجال
أحدا . فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ظفر بنعم ، فانحدر
الى المدينة حتى صلى الصبح بها ، فأمر أن يقسموا غنائمهم ، واقتسموا
غنائمهم فأصاب كل رجل منهم سبعة أبعرة ، وكان القوم مائتين (١) .

● غزوة السويق :

وقعت فى الخامس من ذى الحجة من السنة الثانية للهجرة ، وفى
هذه الغزوة خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لملاحقة أبى سفيان
الذى هاجم أطراف المدينة ومعه مائتى فارس من قريش ، فقتل اثنين من
المسلمين ولاذوا بالفرار عندما تعقبهم المسلمون ، وجعل أبو سفيان
وأصحابه يتخفون فيلقون طعام « السويق » ، فجعل المسلمون
يمرون بها فيأخذونها (٢) .

● قتل ابن الأشرف :

وكانت سرية محمد بن مسلمة لقتل كعب بن الأشرف فى شهر
ربيع الأول من السنة الثالثة للهجرة . وقد قتل ابن الأشرف ، اذ كان
ابن الأشرف رجلا يهوديا أخذ يهجو المسلمين فى أشعاره ويعرض

(١) المفازى - الواقدي ج ١ ص ١٨٢

(٢) المرجع السابق - ج ١ ص ١٨١

قريشا على حرب المسلمين ومهاجمتهم فى المدينة حيث قال : ابن بطن الأرض خير من ظهرها بعد ما قتل سادة العرب وأشرافهم بيد (١) .

* * *

● شان غزوة غطفان بنى أمر :

وكانت فى ربيع الأول من السنة الثالثة للهجرة ، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد عشر يوما ، وذو أمر اسم لماء بنجد (٢) .

* * *

● غزوة بنى سليم ببحران :

ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى سليم ببحران فى الأيام الأولى من جمادى الأولى من السنة الثالثة للهجرة ، وقد غاب عليه الصلاة والسلام فى هذه الغزوة عشرة أيام ورجع الى المدينة ولم يلق كيدا (٣) .

* * *

● سرية القردة :

ثم كانت سرية القردة وأميرها زيد بن حارثة ، و « القردة » ماء بنجد . وقد كان مسير هذه السرية فى منتصف شهر جمادى الآخرة من السنة الثالثة حيث ذهبت سرية زيد بن حارثة وكان عددها مائة راكب لكى تعترض طريق تجارة لقريش فى قافلة سلكت طريق نجد متوجهة الى العراق وذلك بعد ما تخوف القرشيون من الذهاب عن طريق ساحل البحر الأحمر فى قوافلهم التجارية الى الشام فى أعقاب انتصار المسلمين فى واقعة بدر الكبرى . وقد كانت هذه القافلة تحمل

(١) الغزوات الكبرى ومعارك الفتح — عبد الكريم غزال .

(٢) المرجع السابق .

(٣) المغازى — الواقدى ج ١ ص ١٩٦

كثيرا من الفضة وأصنافا ثمينة غيرها استولت عليها سرية زيد بن حارثة
ثم عادت الى المدينة ومعها أسيرين^(١) .

● غزوة أحد :

« أحد » اسم جبل شهير من جبال المدينة المنورة . نشبت هذه
المعركة الهائلة بين المسلمين والمشركين يوم السبت الموافق الخامس عشر
من شوال من سنة ثلاث من الهجرة . وقد كانت هذه المعركة ثانی
معركة دامية طاحنة يخوضها المسلمون ضد مشركي مكة وهي أعظم
من معركة بدر من حيث كثرة الاستعداد وضخامة القوات التي اشتبكت
فيها . وسبب هذه المعركة ، هو أن قريشا لما هزمت في معركة
بدر ، وفتك المسلمون بقادتها وزعمائها ، وهدموا هيبتها في نفوس
العرب ، صممت على الانتقام من المسلمين وقررت مهاجمتهم في عقر
دارهم ، وقد بلغت قوة قريش في هذه الحملة ثلاثة آلاف مقاتل
وثلاثة آلاف بعير ، ومئتا فرس ، وسبعمائة درع . وكان أبا سفيان
قائدا عاما للجيش وخالد بن الوليد قائدا لسلاح الفرسان .

خرج النبي صلى الله عليه وسلم الى العدو على رأس جيش بلغ
حوالي ألف مقاتل واقتربت ساعة الصفر ، فبعد أن أتم الفريقان
تعبئتهما وأخذ كل من القادة والجنود مكانه المرسوم له ، تقابل
الخصمان وجها لوجه ، ثلاثة آلاف من فرسان المشركين وأبطالهم تقودهم
الحمية الجاهلية وتدفعهم الرغبة في الأخذ بالثأر ، يواجهون سبعمائة
من المسلمين تدفعهم الرغبة الصادقة في الاستشهاد في سبيل الله
والاقتصار لرفع كلمة الله ، وانهزم الكفر أمام الايمان وكادت المدينة
تسجل مرة أخرى على مكة نصرا ساحقا ، لا يقل روعة وفاعلية عن
النصر الذي سجلته عليهم في ملحمة بدر ، ولكن الكارثة حلت
بالمسلمين عندما خالف الرماة أوامر رسول الله صلى الله عليه وسلم
وتركوا أماكنهم في الجبل ، فقد لمح خالد بن الوليد قائد فرسان

(١) الغزوات الكبرى ومعارك الفتح - عبد الكريم غزال .

مكة ترك أكثر الرماة لمراكزهم فى الجبل فاغتنم الفرصة على عجل
واندفع نحو مواقع الرماة فى الجبل وقضى على من بقى منهم ثم انقض
بفرسانه على مؤخرة الجيش الاسلامى وتغير الموقف وتحول مجرى
القتال لصالح المشركين وانسحب المسلمون واعتصموا بالجبل لاعادة
تنظيم صفوفهم .

بلغت خسارة المسلمين فى هذه المعركة سبعين شهيدا ، وحوالى
مائة وخمسين جريحا ، وبلغت خسائر المشركين اثنين وعشرين قتيلا
أما الجرحى فلم يعرف عددهم (١) .

* * *

● غزوة حمراء الأسد :

وقعت هذه الغزوة يوم الأحد السادس عشر من شوال من السنة
الثالثة من الهجرة ، أى فى اليوم التالى من غزوة أحد .
تحالفت المحن والبلايا ضد المسلمين من جديد - بعد معركة
أحد ، كنتيجة للنكبة التى أصابت المسلمين فى هذه الغزوة ، غير أن
الرسول صلى الله عليه وسلم لم يستسلم لليأس ولم يفت فى عضده
فداحة المصائب الذى نزل بجيشه فى واقعة أحد ، بل سارع الى
القيام بأعمال عسكرية حاسمة سريعة ، كانت غاية فى النجاح ، أعاد
بها النظام واستعاد بها هبة المسلمين وأمن قاعدتهم الكبرى « المدينة »
فمن ناحية البدو المتحفزين للهجوم على المدينة ، فقد سارع الرسول
صلى الله عليه وسلم الى تأديبهم وضربهم فى ديارهم حيث جرد عليهم
حملات عسكرية خاطفة ، أوقعت بهم فى منازلهم قبل أن يتحركوا منها
نحو المدينة فشئت شملهم وملأ نفوسهم فرعا ورعبا . أما اليهود
الذين سارعوا بعد معركة أحد الى إثارة القلاقل وحبك المؤامرات
ضد المسلمين فقد تنبه الرسول صلى الله عليه وسلم وطهر المدينة
من رجسهم حيث سارع الى نفيهم من المدينة ، وهؤلاء اليهود هم

(١) من معارك الاسلام الفاصلة : غزوة أحد - محمد أحمد باشميل

(بتصرف) .

بنو النضير الذين أجلاهم الرسول من يثرب بعد حصار دام عشرين ليلة .

وبهذه الأعمال السريعة الحاسمة التي قام بها النبي صلى الله عليه وسلم ضد اليهود والأعراب والمنافقين استعاد المسلمون هيبتهم وعادت لهم السيطرة التامة على المدينة وظل المسلمون سادة الموقف في منطقة يثرب^(١)

● سرية بئر معونة :

ثم كانت سرية بئر معونة ، في شهر صفر من السنة الثالثة للهجرة ، وعدد السرية كان أربعون رجلا ، وقيل ان عددها كان سبعين ، أميرهم المنذر بن عمرو الساعدي ، اذ كان لهذه السرية مهمة الدعوة الى دين الله وقد أرسلها رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بنى عامر ليعلمهم الاسلام ، لكن بنى سليم غدروا بهذه السرية وقتلوا جميع أفرادها بعد ما قاتل المسلمون باستبسال حتى آخر رجل منهم ، حيث دار هذا القتال بالقرب من بئر لبنى سليم يسمى « بئر معونة »^(٢) .

● سرية الرجيع :

وكانت سرية الرجيع - أو يوم الرجيع - في صفر من السنة الثالثة للهجرة ، وكان عدد السرية أو البعثة سبعة رجال على رأسهم مرثد ابن أبي مرثد الغنوي ويقال انه كان أميرهم عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح ، وبعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ديار قبيلتي « عضل » و « القارة » لتعليمهم الاسلام بناء على طلب هاتين القبيلتين ، فلما وصل أصحاب رسول الله الى ماء اسمه الرجيع بين المدينة ومكة

(١) غزوة أحد - محمد أحمد باشميل ص ٣٤٨ ، ٣٤٩

(٢) الغزوات الكبرى ومعارك الفتح في العراق والشام ومصر -

عبد الكريم غزال .

وعلى مقربة من عسفان غدرت بهم عضل والقارة فقتلوا بعضهم وأسروا البعض الآخر ثم اقتادوا الأسرى الى مكة فباعوهم الى قريش وبذلك أصبح اسم «عضل» و «القارة» منذ ذلك الحادث اسما مشؤما يطلقه المسلمون على كل جماعة غادرة أو عمل سيء عدائي يوجه ضدهم (١) .

* * *

● غزوة بنى النضير :

ثم كانت غزوة بنى النضير فى ربيع الأول من السنة الرابعة للهجرة وقد حدثت هذه الغزوة عندما ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى نادى قبيلة بنى النضير اليهودية ومعه عدد من أصحابه للتباحث معهم بشأن دية رجلين من بنى عامر كان قد قتلها أحد المسلمين خطأ ، لأن بنى النضير كانوا حلفاء لبنى عامر فجلس النبی صلى الله عليه وسلم فى بهو قاديهم بعدما رحب بنو النضير بقدومه قائلين له : نفعل يا أبا القاسم ما أحببت ، اجلس حتى نطعمك ، ثم خلا بعضهم ببعض وأخذوا يتهامون ، فقال زعيمهم حبي بن أخطب : يا معشر اليهود ، لقد جاءكم محمد فى ثغر قليل من أصحابه ، فاطرحوا عليه الحجارة من فوق هذا البيت الذى هو تحته فاقتلوه ، فلن تجدوه أخلى منه الساعة ، فانه ان قتل تفرق أصحابه ، فلحق من كان معه من قريش بقومهم وبقي من كان ههنا من الأوس والخزرج فعادوا حلفاءكم كما كانوا . فوافق حبي بن أخطب بعض قومه وخالفه آخرون وأنكروا عليه هذا العمل ، حتى قال رجل من بنى النضير اسمه عمرو بن جحاش : أنا أظهر على البيت فأطرح عليه صخرة ، فلما صعد لالقاء الصخرة وكان النبی صلى الله عليه وسلم قد لاحظ حركاتهم المريبة أوحى الله تعالى الى نبيه بما يبيت له ، فنهض من مكانه قبل تنفيذ المؤامرة وذهب الى المدينة ولحق به أصحابه ،

(١) الغزوات الكبرى ومعارك الفتح فى العراق والشام ومصر - عبد الكريم غزال .

وفى اليوم التالى أعد النبى صلى الله عليه وسلم قوة من المسلمين سار بهم الى حصون بنى النضير فحاصروهم خمسة عشر يوما حتى نزل بنو النضير فى نهايتها على شروط رسول الله التى قضت بأن يجلووا عن المدينة ويأخذوا معهم ما حملت جمالهم من أموالهم ما عدا السلاح ، وأن لهم عشرة أيام حتى يجمعوا ما لهم من دين فى الناس ، فمنهم من أسلم وظل فى المدينة ، أما غالبيتهم فقد توجهت فى قوافل حملتهم الى خيبر ، ومن خير ذهب زعيمهم حبي بن أخطب فى وفد قومه الى مكة فحرض زعماء قريش وغيرها من القبائل على مهاجمة المسلمين فى غزوة الأحزاب (١) .

* * *

● غزوة بدر الموعد :

ثم ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة « بدر الموعد » ومعه ألف وخمسمائة رجل من المسلمين ، وذلك فى منتصف شهر ذى القعدة من السنة الرابعة للهجرة ، وهذه الغزوة هى التى كان قد تواعد النبى صلى الله عليه وسلم وأبو سفيان فى معركة أحد أن يلتقيا فيها ، غير أن أبا سفيان تخوف من لقاء المسلمين فى بدر فتخلف عن المجيء اليها وقد غاب النبى صلى الله عليه وسلم فى هذه الغزوة ستة عشر يوما (٢) .

* * *

● سرية ابن عتيك الى خيبر :

وكانت سرية أميرها عبد الله بن عتيك لقتل « أبى رافع » واسمه سلام بن أبى الحقيق ، وهو أحد زعماء بنى النضير ، وكان عدد السرية خمسة رجال ، ذهبت الى خيبر وقتلت أبى رافع ، وذلك فى اليوم الرابع من شهر ذى الحجة من السنة الرابعة للهجرة ، وقد كان سبب قتله أنه كان يتفاوض مع قبيلة غطفان ويحرض غيرها من مشركى العرب

(١) المفازى - الواقدي ج ١ ص ٢٦٣ - ٣٨٠ (بتصرف) .

(٢) الغزوات الكبرى ومعارك الفتح فى العراق والشام ومصر -

عبد الكريم غزال ص ٩٨ - ١٢١

ليقوموا مجتمعين فى حملة لمهاجمة المسلمين فى المدينة لقاء مكافآت سخية وعد بتقديمها لهم (١) .

* * *

● غزوة ذات الرقاع :

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى غزوة « ذات الرقاع » وسميت بهذا الاسم لأنه جبل فيه بقع حمراء وسواد وبياض وكان ذلك فى العاشر من المحرم من السنة الرابعة للهجرة ، وفى هذه الغزوة خرج النبى صلى الله عليه وسلم فى أربعمئة من أصحابه للقاء قوات متحالفة من قبيلتى أنمار وثلعة اللتين كانتا تتهيآن وتعدان العدة لمهاجمة المسلمين فى المدينة ، فلما اقترب المسلمون من ديار هاتين القبيلتين تفرق القوم وقد أصابهم الذعر من هذه المفاجأة التى لم يكونوا يتوقعونها قبل استكمال استعداداتهم لذلك فروا الى رؤوس الجبال تاركين كثيرا من الغنائم التى استولى عليها المسلمون ثم عادوا الى المدينة (٢) .

* * *

● غزوة دومة الجندل :

ثم كانت غزوة « دومة الجندل » فى ربيع الأول من السنة الخامسة للهجرة . فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ألف من المسلمين عندما علم بأن فى دومة الجندل جموعا كبيرة من المشركين تعتدى على التجار الذين كانوا يجلبون الدقيق والزيت من الشام الى المدينة المنورة ، فسار النبى صلى الله عليه وسلم برجاله حتى وصل الى مسافة قريبة من دومة الجندل ، وهناك وجد المسلمون ماشية وابلا كثيرة تركها أصحابها وفروا الى دومة الجندل وأخبروا أهلها بقدوم جيش المسلمين فتفرقوا ، فلما دخلها المسلمون لم يجدوا أحدا فيها ، فعاد

(١) الغزوات الكبرى ومعارك الفتح فى العراق والشام ومصر - عبد الكريم غزال ، ص ٩٨ - ١٢١

(٢) المغازى - الواقدي ج ١ ص ٣٩٥

رسول الله مع أصحابه إلى المدينة ومعهم قطعان الابل التي غنموها في هذه الغزوة (١) .

● غزوة بنى المصطلق :

ثم كانت غزوة بنى المصطلق في شهر شعبان من السنة الخامسة للهجرة ، وبنو المصطلق بطن من خزاعة وسيدهم هو الحارث بن ضرار . . . وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الحارث قد جمع لحربه نفر من قومه ومن العرب ، فخرج الرسول صلى الله عليه وسلم في ألف مقاتل ، ومعه ثلاثون فرسا وسمح رسول الله لعدد من المنافقين فخرجوا مع الخارجين . وبلغ المسلمون مكانا يقال له المريسيع ، حيث رفع راية المهاجرين أبي بكر وراية الأنصار سعد بن عبادة واصطف الفريقان وجهها لوجه . وعرض عليهم الرسول الاسلام فأبوا وتراموا بالنبل ثم أمر الرسول بشن الهجوم ، فحمل المسلمون عليهم حملة رجل واحد فقتلوا من القوم عشرة ، وأسروا الباقي ووضعوا أيديهم على مغنم كثيرة ، وتزوج الرسول جويرة بنت الحارث حتى يدخل قومها في الاسلام (٢) .

● غزوة الخندق أو الأحزاب :

تحالفت قريش مع قبائل غطفان وجهزوا عشرة آلاف مقاتل لمهاجمة المسلمين في عقر دارهم (المدينة المنورة) ، بينما لا يزيد جيش المسلمين على ثلاثة آلاف مقاتل . واجتمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه يشاورهم في الأمر فاقترح سلمان الفارسي حفر خندق حول المدينة ليحميهم من هجوم جيش الأحزاب ، وتم حفر الخندق بأيدي المسلمين وعلى رأسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعد

(١) المفازي - الواقدي ج ١ ص ٤٠٣

(٢) العبقريّة العسكرية في غزوات الرسول - محمد فرج ص ٤٢٨

حفر الخندق أصبحت المدينة كالحصن المنيع الذى لا يمكن الوصول اليه الا عن طريق المغامرات الانتحارية ، وبعد أن أتم المسلمون حفر خندقهم حول المدينة بقيت قواتهم خلفه مرابطة متيقظة فى انتظار جيش الأحزاب بقيادة أبى سفيان . تحركت جيوش الأحزاب نحو المدينة وقد كان الميعاد المتفق عليه بين قادة الأحزاب التجمع حول المدينة فى شهر شوال من السنة الرابعة للهجرة .

وعندما وصلت جيوش الأحزاب الى المدينة وجدوا أنفسهم أمام مفاجأة عسكرية ذهلوا لها وصعقوا ، وجدوا أنفسهم أمام خندق . فكانت هذه المكيدة التى لم يألّفها العرب من قبل سببا فى قلب خططهم رأسا على عقب .

وظل الحال هكذا مدة من الزمن قصيرة - ترام بالنبل وجولان بالخيّل للارهاب من جانب قريش ودوريات من الجانبين .

وبعد حصار خائق شهيد دام حوالى شهر بلغت حالة المسلمين من الضيق والتعب والارهاق حد الأعياء . هبت عاصفة هوجاء عاتية على معسكر الأحزاب فاقتلعت خيامهم فأسرعوا يلبون داعى الهزيمة بالفرار ، وعاد المسلمون الى المدينة حامدين لله تعالى بركته وتأيدته وعونه (١) .

* * *

● غزوة بنى قريظة :

ثم كانت غزوة بنى قريظة ، والتى جاءت فى اليوم التالى لغزوة الأحزاب مباشرة . وحاصرهم المسلمون فى حصونهم ، وبعد أن تمت عملية الاستسلام أمر النبى صلى الله عليه وسلم أن يوضع الرجال فى حبس خاص بهم . أما النساء والذراري فقد أمر صلى الله عليه وسلم أنه يحفظوا فى مكان ليس فيه صفة الحبس والتضييق .

(١) غزوة الأحزاب - محمد أحمد باشميل (بتصرف) .

وفوض رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الأوس سعد بن معاذ ليحكم فيهم بما يريه الله تعالى . وحكم سعد بن معاذ بالاعدام ضرباً بالسيف على كل من بلغ الحلم من رجال يهود بنى قريظة ، وأن تسبى نساؤهم وذرايرهم وأن تصادر جميع ممتلكاتهم غنيمة للمسلمين .
وتم حكم الاعدام فى يهود بنى قريظة (١) .

* * *

● سرية عبد الله بن أنيس :
وكانت سرية عبد الله بن أنيس لقتل سفيان بن خالد بن نبيح الهذلي يوم الاثنين فى الخامس من شهر المحرم من السنة الخامسة للهجرة . وسفيان بن نبيح كان يستعد على رأس قوة من قبيلته ويحرض غيرها من المشركين لغزو رسول الله . لذلك ذهب عبد الله بن أنيس الى مضارب تلك القبيلة متكرراً فى الليل الى أن تمكن من سفيان بن خالد فقتله وعاد برأسه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المدينة (٢) .

* * *

● غزوة القرطاء :

وكانت غزوة القرطاء وأميرها محمد بن مسلمة ومعه ثلاثون رجلاً من المسلمين ذهب لغزو بنى بكر حتى أغار على جمع منهم فقتل عشرة رجال وساق الأغنام والابل ثم عاد الى المدينة . وكان ذلك فى شهر المحرم من السنة الخامسة للهجرة (٣) .

● غزوة بنى لحيان :

وفىها خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى منتصف ربيع الأول من السنة السادسة للهجرة على رأس مائتى رجل من أصحابه ، منهم عشرون فارساً ، سار بهم حتى وصل الى عسفان ثم عاد

(١) غزوة بنى قريظة - محمد احمد باشميل (بتصرف) .

(٢) الغزوات الكبرى ومعارك الفتح فى العراق والشام ومصر -

عبد الكريم غزال .

(٣) المفازى - الواقدي ج ٢ ص ٥٣٤

الى المدينة ولم يلق كيدا ، الا ان بنى لحيان فروا وتفرقوا فى رؤوس
الجبال عندما علموا بمسير رسول الله اليهم (١) .

● غزوة القابة :

وقد خرج رسول الله فى هذه الغزوة فى شهر ربيع الثانى
من السنة السادسة للهجرة لمطاردة عيينة بن حصن الذى أغار هو
وأربعون فارسا من فرسانه على أغنام وابل للمسلمين كانت ترعى
على أطراف المدينة ، فلما تعقبه المسلمون ترك مواشى المسلمين وفر ،
ولكن بعد ما قتل المسلمون من رجاله أربعة فرسان (٢) .

● سرية عكاشة بن محصن الى الغمر :

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عكاشة بن محصن فى
أربعين رجلا فى أواخر ربيع الثانى من السنة السادسة للهجرة لغزو
بنى أسد فلما وصل عكاشة الى ماء لهذه القبيلة اسمه الغمر وجد على
مقربة من الماء مائتى بعير وماشية أخرى فاستاقها وعاد الى المدينة (٣) .

● سرية محمد بن مسلمة الى ذى القصة :

بعث النبى صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة على رأس سرية
عدها عشرة رجال الى مكان اسمه ذى القصة ، وذلك لغزو بنى ثعلبة
الا أن الأعراب الذين كانوا فى مائة مقاتل أحاطوا ليلا بهذه السرية وقتلوا
جميع أفرادها ، وجرح محمد بن مسلمة جرحا يليغا ، فلم يتحرك
فاعتقد القوم أنه قتل ، فلما انصرفوا عنه حمله أعرابى الى المدينة مر به

(١) الغزوات الكبرى ومعارك الفتح فى العراق والشام ومصر -
عبد الكريم غزال .

(٢) المرجع السابق .

(٣) المفازى - الواقدى ج ٢ ص ٥٥ .

ووجده جريحا بين القتلى ، وفي المدينة برىء من جراحه ، وكان ذلك
فى شهر جمادى الأولى من السنة السادسة للهجرة (١) .

* * *

● سرية زيد بن حارثة الى العيص :

وبعث النبى صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة الى العيص على
رأسه سرية عددها مائة وسبعون راكبا تعترض لقافلة قرشية كانت
قادمة من الشام فاستولت هذه السرية على القافلة التى كانت فيها
سبع ثمانية وفضة ، كما أسرت عددا من رجال القافلة ، كان من
بينهم أبو العاص بن الربيع زوج السيدة زينب بنت رسول الله ، وقد
سبق لزينب أن هاجرت الى المدينة وبقي زوجها أبو العاص مشركا فى
مكة . فلما أسرته سرية زيد بن حارثة وأحضرتة الى المدينة أفلتت من
جند السرية وذهب الى بيت زوجته زينب واستجار بها فأجارتها وطلبت
من والدها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرد عليه ما أخذ منه
من مال ففعل ذلك الرسول بعد ما تشاور مع أصحابه فى
الأمر ، فلما رجع أبو العاص الى مكة وأدى الى كل ذى حق حقه من
التجارة ، قالوا له : جزاك الله خيرا فقد وجدناك وفيا كريما ، فقال
هو : وانى الآن أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله ،
وانى أسلمت فى المدينة وما منعنى ابن أقيم فيها الا خشيتى من أن
تظنوا أنى أسلمت لأكل عليكم أموالكم .

وقد قيل لأبى العاص بن الربيع لما قدم من الشام ومعه
أموال قریش فى هذه القافلة التجارية : هل لك أن تسلم وتأخذ
هذه الأموال فانها أموال مشركين ؟ فقال : بئس ما أبدأ به إسلامى
أن أنخون أمانتى ، بعد ذلك عاد أبو العاص الى المدينة ورجع الى

(١) الغزوات الكبرى ومعارك الفتح فى العراق والشام ومصر -
عبد الكريم غزال .

زوجته التي أحلت له عندئذ ، وكان ذلك فى رجب من السنة السادسة للهجرة (١) .

* * *

● سرية زيد بن حارثة الى الطرف :

ثم كانت سرية بقيادة زيد بن حارثة عددها خمسة عشر رجلا ذهبت الى الطرف وهو ماء على بعد ستة وثلاثين ميلا من المدينة ، وعند ذلك الماء كانت مضارب بنى ثعلبة ، فلما وصلت سرية زيد الى مقربة من الطرف وجدت سرحا لبنى ثعلبة فساقته وعادت به الى المدينة ، وكان ذلك فى رجب من السنة السادسة للهجرة (٢) .

* * *

● سرية زيد بن حارثة الى حسمى :

ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة الى حسمى وهو مكان لبنى جذام ، وكان عدد السرية خمسمائة مقاتل بامرة زيد ابن حارثة لتخليص أموال استولى عليها بنو جذام عندما هاجموا دحية الكلبي مبعوث رسول الله الى قيصر الروم ، وأخذوا ما كان معه من تجارة قدم بها من الشام ، وكان ذلك فى أواخر رجب من السنة السادسة للهجرة (٣) .

* * *

● سرية عبد الرحمن بن عوف الى دومة الجندل :

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن عوف الى دومة الجندل فى شهر شعبان من السنة السادسة للهجرة ، على رأس سرية عددها سبعمائة مقاتل وأوصاه بدعوة بنى كلب الى

(١) المفازى - الواقدي ج ٢ ص ٥٥٣

(٢) الغزوات الكبرى ومعارك الفتح فى العراق والشام ومصر - عبد الكريم غزال ص ١٢٨ وما بعدها .

(٣) المفازى - الواقدي ج ٢ ص ٥٥٥ ، ٥٦٠

الاسلام وقال له : « ان استجابوا لك فتزوج ابنة ملكهم أو سيدهم » ،
فلما دعاهم عبد الرحمن بن عوف الى الاسلام استجابوا له ، فتزوج
ابنة ملكهم تماضر بنت الأصبح بن عمرو ، ثم قدم بها المدينة ، وهى
أم أبى سلمة^(١) .

* * *

● سرية على بن أبى طالب الى بنى سعد بفدك :

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا كرم الله وجهه فى مائة
رجل الى حى سعد بفدك ، وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن
لهم جمعا يريدون أن يمدوا يهود خيبر ، فسار الليل وكن النهار حتى
وصل على رضى الله عنه الى معسكر بنى سعد فوجده خاليا بعد ما فر
كل من فيه ، فاستولى المسلمون على سرح لبنى سعد عدده خمسمائة
بعير وألفا شاه ثم رجعوا الى المدينة ، وكان ذلك فى أواخر شهر
شعبان من السنة السادسة للهجرة^(٢) .

* * *

● سرية زيد بن حارثة الى بنى فزارة بن بدر :

ثم كانت سرية بقيادة زيد بن حارثة لغزو بنى فزارة بن بدر ، الذين
سبق لهم أن اعترضوا لتجارة للمسلمين كانت ذاهبة الى الشام
بقيادة زيد بن حارثة نفسه ، فاستولوا على القافلة التجارية وضيروا
من كان فيها ضربا مبرحا ، لذلك أرسل النبي صلى الله عليه وسلم
زيد بن حارثة لتأديبهم ، فلما وصل زيد وسريته الى ديار فزارة بن
بدر لم يجدوا القوم فرجعوا الى المدينة وقد أصابوا بعض الغنائم
والسبى كان فيه امرأة تدعى « أم قرفة » وكان ذلك فى شهر رمضان من
السنة السادسة للهجرة^(٣) .

* * *

(١) المفازى - الواقدي ج ٢ ص ٥٦٠

(٢) الفزوات الكبرى ومعارك الفتح فى العراق والشام ومصر -
عبد الكريم غزال ص ١٢٨ وما بعدها .

(٣) المرجع السابق .

● سرية عبد الله بن رواحة الى أسير بن زرام :

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة على رأس سرية عددها ثلاثون رجلا الى أسير بن زرام فى شهر شوال من السنة السادسة للهجرة ، وكان أسير بن زرام من كبار زعماء اليهود فى خير وقد أراد أن يحالف غطفان بقصد مهاجمة المسلمين فى المدينة ، لذلك ذهبت سرية ابن رواحة لتستطلع الأمر وتقف على ما يجرى هناك . وفى خير دخل عبد الله بن رواحة على أسير ابن زرام وقال له : ان رسول الله بعثنا اليك أن تخرج اليه فيستعملك على خير ويحسن اليك ، فطمع « أسير » فى ذلك وشاور قومه فخالفوه فى الخروج ، فقال لهم : لقد مللنا الحرب ، ثم خرج مع سرية هو وثلاثون مقاتلا من قومه ، وفى الطريق ندم على خروجه واشتبك ورجاله فى قتال مع سرية عبد الله بن رواحة فكافت الغلبة للمسلمين ، اذ قتل أسير بن زرام فى الاشتباك وعدد من رجاله وفر من نجا منهم عائدا الى خير (١) .



● سرية كرز بن جابر الفهري :

ثم أرسل النبى صلى الله عليه وسلم « كرز بن جابر الفهري » بعد ما اعتنق الاسلام ، على رأس سرية عددها عشرون فارسا للملاحقة جمع من الأعراب استاقوا بعض سرح المدينة عندما كان يرعى فى مكانه اسمه الجدر فاحية قباء ، فأعاد كرز بن جابر السرح وألقى القبض على الفاعلين ثم أحضرهم أسرى الى المدينة وهناك قالوا العقاب الصارم ، وكان ذلك فى أواخر شوال من السنة السادسة للهجرة (٢) .



(١) المفازى - الواقدي ج ٢ ص ٥٥٦

(٢) الفزوات الكبرى ومعارك الفتح فى العراق والشام ومصر -

عبد الكريم غزال .

● غزوة الحديبية أو صلح الحديبية :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتطلع شوقا الى اليوم الذى تؤمن فيه قريش ، ويهفو قلبه الى مكة التى أخرجته منها وهو كاره ، كما كان عليه السلام يتشوق الى تطهير بيت الله الحرام من رجس الأوثان والأصنام . وفى ليلة من ليالى شهر شوال من العام السادس للهجرة رأى عليه السلام فى منامه حلما ، رأى أنه قد دخل مكة مع أصحابه المسلمين محرما مؤديا للعمرة ، وقد ساق معه الهدى معظما للبيت الحرام مقدسا له . وفى أول ذى القعدة من سنة ست للهجرة خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من المدينة وساقوا معهم الهدى ولم يكن معهم الا السيوف فى أغمارها اذ لم يكن فى نيته عليه السلام أن يحارب قريشا ، فلما بلغ « ذو الحليفة » أحرم مع بعض أصحابه . واختار النبی صلى الله عليه وسلم طريقا آخر لأنه كان يتحاشى الاصطدام بقريش ابتعادا عن سفك الدماء واراقتها ، وتابعوا سيرهم حتى بلغوا « الحديبية » وهى بئر تبعد عن مكة تسعة أميال وهنا توقفت فاقة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المسير ، وأقام فى ذلك المكان بانتظار ما سيسفر عنه موقف قريش المتعنتة . ولما أدرك النبی صلى الله عليه وسلم اصرار قريش وعنادها ، اقتدب عثمان بن عفان رضى الله عنه وأرسله الى قريش ، وبعد عودة عثمان الى معسكر المسلمين ، جاءهم « سهيل بن عمرو » موفدا من قبل قريش للمفاوضة ووضع شروط الصلح وتوقيع المعاهدة . فاجتمع الى النبی صلى الله عليه وسلم بحضور نفر من كبار الصحابة ، وجرت بين الطرفين محادثات كان فى ظاهرها تنازلات من النبی عليه السلام وظننها بعض الصحابة ضعفا وذلة لكن حقيقتها وجوهرها : « نصر من الله وفتح قريب » . ووقع الطرفان وثيقة الصلح الذى سسمى بصلح الحديبية والذى كان ايذانا بالفتح المبين والنصر العظيم (فتح مكة) ودخول الناس فى دين الله أفواجا ، ثم عاد المسلمون الى المدينة وكفى الله المؤمنين شر القتلى والقتال (١) .

(١) صلح الحديبية - محمد على القطب ، (بتصرف) .

● غزوة خيبر :

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خيبر فى شهر جمادى الأولى من السنة السابعة للهجرة فى ألف وستمئة ومعهم مائة فارس ودفع بالراية الى على بن أبى طالب رضى الله عنه وكانت المسافة بين خيبر والمدينة نحو مائة ميل تقطعها الابل فى خمسة أيام وقطعها الرسول صلى الله عليه وسلم على ثلاث مراحل وبلغ موقع خيبر فى اليوم الرابع ، وكان خروج رسول الله سرا . وعندما رأى اليهود رسول الله والجيش قالوا : محمد والجيش معه ، فأدبروا هرابا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الله أكبر .. خربت خيبر ، انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين » . وهاجم المسلمون اليهود فى حصونهم من حصن الى آخر وسيطر المسلمون على خيبر وهكذا انتهت دولة اليهود فى الجزيرة ، وأمن الرسول والمسلمون جانبهم (١) .

* * *

● غزوة وادى القرى :

ثم كانت غزوة وادى القرى فى شهر جمادى الثانية وذلك عندما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر بعد ما فتحها حيث توجه صلى الله عليه وسلم بجيش المسلمين الى وادى القرى فهاجم حصونها التى كانت بأيدي اليهود وفرض حولها حصارا دام أربعة أيام استسلم فى نهايتها المدافعون عن الحصون ، ثم عقد المسلمون صلحا مع يهود وادى القرى «فدك» و «تيماء» على غرار ما صالح عليه أهل خيبر (٢) .

* * *

(١) العبقريّة العسكرية فى غزوات الرسول - محمد فرج ص ٤٩١

وما بعدها (بتصرف) .

(٢) الغزوات الكبرى ومعارك الفتح فى العراق والشام ومصر - عبد الكريم غزال ص ٩٨ وما بعدها .

● سرية عمر بن الخطاب الى تربة :

وبعث النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب على رأس سرية عددها ثلاثون رجلا الى تربة لدعوة بنى نصر بن معاوية وبنى جشم ابن بكر الى الاسلام وهاتان القبيلتان تمتان فى الأصل الى « هوازن » فلما وصل عمدة ومن معه الى ديارهم فلم يجد منهم أحدا فعاد الى المدينة ، وكان ذلك فى شهر شعبان من السنة السابعة للهجرة (١) .

* * *

● سرية أبى بكر الى نجد :

وأرسل النبي صلى الله عليه وسلم أبى بكر رضى الله عنه على رأس سرية الى نجد فى مهمة دعوة القبائل للدخول فى الاسلام ، وكان ذلك فى شهر شعبان من السنة السابعة للهجرة (٢) .

* * *

● سرية بشير بن سعد الى فذك :

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بشير بن سعد الى بنى مرة بناحية « فذك » على رأس سرية عددها ثلاثون رجلا ، فوجدت هذه السرية على ماء قريب من فذك أغناما وابلا فساقتها وتوجهت نحو المدينة ، لكن بنى مرة عندما أخبرهم رعاتهم الخبر ، أعدوا قوة كبيرة ، تبعت بشير بن سعد فأدركته فى منتصف الطريق واشتبكت مع سريته فى معركة ضارية قتل فيها عدد من سرية بشير وولى الباكون وقد جرح بشير بن سعد جراحا بليغة ، فلما كان الليل تحامل على نفسه وذهب الى فذك وهناك أقام عند رجل يهودى حتى تحسنت جراحه فعاد الى المدينة ، وكان ذلك فى شهر شعبان من السنة السابعة للهجرة (٣) .

* * *

(١) المغازى - الواقدي ج ٢ ص ٧٢٢

(٢) الغزوات الكبرى ومعارك الفتح فى العراق والشام ومصر -

عبد الكريم غزال ص ٩٧ وما بعدها .

(٣) المرجع السابق .

● عمرة القضاء - أو عمرة القضية :

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بقصد العمرة في شهر ذي القعدة من السنة السابعة للهجرة وذلك بعد مرور عام كامل على صلح الحديبية ، خرج صلى الله عليه وسلم قاصدا مكة حسبما اتفق عليه في الحديبية من العام الفائت ، وكان معه ألفان من المسلمين ومائة فارس بسلاحهم الكامل ، فأدى مناسك العمرة وعاد الى المدينة وقد سميت العمرة عمرة القضاء^(١) .

* * *

● سرية ابن أبي العوجاء السلمى الى بنى سليم :

ثم كانت سرية ابن أبي العوجاء السلمى في شهر ذي الحجة من السنة السابعة للهجرة وكان عدد السرية خمسون رجلا ذهبوا الى بنى سليم بقصد دعوتهم الى الاسلام ، فلما وصلوا الى مكان تجمع بنى سليم وكانوا جمعا كبيرا دعوهم الى الاسلام فلم يقبلوا منهم ، فتقاتل الجانبان في معركة حامية وغير متكافئة في العدد ، قتل فيها عدد من المسلمين وجرح أمير السرية ابن أبي العوجاء الذي تحامل على جراحه وعاد الى المدينة^(٢) .

* * *

● سرية غالب بن عبد الله بالكديد :

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم غالب بن عبد الله على رأس سرية عددها عشرون رجلا ليشن الغارة على « بنى الملوح » في مكان اسمه الكديد ، فلما وصلت هذه السرية الى مكان بنى الملوح

(١) المغازى - الواقدي ج ٢ ص ٧٣١

(٢) الغزوات الكبرى ومعارك الفتح في العراق والشام ومصر - عبد الكريم غزال ص ٩٨ وما بعدها .

لم يجدوا القوم بل شاهدوا ابلا وأغناما فاستاقوها وعادوا الى المدينة ، وكان ذلك فى صفر من أواخر السنة السابعة للهجرة (١) .

* * *

● سرية كعب بن عمير الى ذات أطلاق :

وفى شهر ربيع الأول من السنة الثامنة للهجرة • بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن عمير الغفارى فى خمسة عشر رجلا الى ذات أطلاق من أرض الشام بقصد دعوة بعض القبائل الى الاسلام من تلك التى تقيم فى منطقة ذات أطلاق ، فدعواهم الى الاسلام فلم يستجيبوا بل اشتبكوا معهم فى معركة ضارية وقتلهم أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم حتى استشهدوا وأفلت منهم رجل جريح ، وتحامل حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره الخبر ، فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأراد أن يبعث قوة كبيرة لتأديب القوم فى ذات أطلاق ، فبلغه أنهم ساروا الى مكان آخر فتركهم (٢) .

* * *

● سرية شجاع بن وهب الى السىء من أرض بنى عامر :

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم شجاع بن وهب فى أربعة وعشرين رجلا الى جمع من هوازن بالسىء بقصد الاغارة ، فذهبت هذه السرية ثم عادت بما أصابت من المواشى والابل ، وكان ذلك فى شهر ربيع الثانى من السنة الثامنة للهجرة (٣) .

* * *

(١) المفازى - الواقدي ج ٢ ص ٧٥٠

(٢) المرجع السابق - ج ٢ ص ٧٥٢

(٣) الغزوات الكبرى ومعارك الفتح فى العراق والشام ومصر -

عبد الكريم غزال ص ٩٨

● غزوة مؤتة :

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الحارث بن عمير الأزدي الى ملك بصرى بكتاب يدعو له للاسلام ، فعرض له شرحبيل بن عمرو الغساني وقتله ، واشتد ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم ودعا الناس الى الخروج فاجتمع لديه ثلاثة آلاف مقاتل ييغون الشار ويطلبونه . وحدد رسول الله صلى الله عليه وسلم القيادة فجعلها لزيد بن حارثة ، ثم لجعفر بن أبي طالب ، ثم لعبد الله بن رواحة ، ومضى الجيش الى غايته فنزلوا بأرض الشام عند معاذ . وبلغهم أذنه هرقل ملك الروم قد تجهز لهم في مائة ألف من الروم وانضم اليهم مائة ألف أخرى من القبائل العربية مثل لخم وجذام ، ومعهم الخيل والسلاح ، والتقت القوتان في مؤتة وبدأ القتال واستشهد القادة الثلاثة وتم اختيار خالد بن الوليد قائدا للجيش ودرس الموقف ثم انتهى الى خطة تتميز بالبراعة والاحكام وانسحب خالد بقواته وعاد الى المدينة وقد فقد الجيش اثني عشر رجلا فقط (١) .

* * *

● غزوة ذات السلاسل :

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص الى مكان أو ماء بأرض جذام في شمال شبه الجزيرة العربية اسمه «ذات السلاسل» على رأس سرية من المهاجرين والأنصار عددها ثلاثمائة رجل ، من بينهم ثلاثون فارسا وذلك بعدما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن جمعا كبيرا من قبيلتي « يلى » و « قضاة » قد تهيأ للاغارة على أطراف المدينة ، وقد بعث النبي الكريم عمرو بن العاص على رأس السرية لأن أخوال عمرو كانوا من قبائل تلك المنطقة ، لعله يستميلهم الى جانبه ، فلما وصل عمرو بن العاص الى مقربة من أماكن القوم ، علم بأن لهم جموعا كبيرة فأرسل الى النبي صلى الله عليه وسلم يطلب امداده

(١) العبقريّة العسكرية في غزوات الرسول - محمد فرج ص ٦١٨

بالرجال فبعث عليه الصلاة والسلام مددا اليه بقيادة أبي عبيدة بن الجراح مؤلفا من مائتى مقاتل من بينهم أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما ، فلما وصل أبو عبيدة وسريته قاتل الى جانب سرية عمرو بن العاص حتى انهزمت جموع العدو وتشتتت فى كل وجه ، فعادت قوة المسلمين الى المدينة ومعها كثير من الغنائم التى أصابتها ، وكان ذلك فى شهر جمادى الثانية من السنة الثامنة للهجرة (١) .

* * *

● سرية الخبط بقيادة أبي عبيدة :

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة بن الجراح فى سرية فيها المهاجرون والأنصار . وهم ثلاثمائة رجل الى ساحل البحر الأحمر من جهينة فأصابهم جوع شديد فأكلوا الخبط وهو نوع من أوراق الأشجار لهذا سميت السرية بهذا الاسم . وكان ذلك فى رجب من السنة الثامنة للهجرة (٢) .

* * *

● سرية خضرة وأميرها أبو قتادة :

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا قتادة على رأس سرية عددها ستة عشر رجلا للاغارة على حى من غطفان وأوصاهم النبى الكريم بقوله : « سيروا الليل واكنموا النهار وشنوا الغارة ولا تقتلوا النساء ولا الصبيان » ، فلما وصلت سرية أبي قتادة الى مضارب جماعة من غطفان ومعهم ماشية كثيرة أغاروا على القوم فأصابوا كثيرا من الغنائم وبعض السبايا ، وقد سميت هذه السرية « خضرة » نسبة الى

(١) الفزوات الكبرى ومعارك الفتح فى العراق والشام ومصر -

عبد الكريم غزال ص ٩٨

(٢) المفازى - الواقدي ج ٢ ص ٧٧٤

المكان الذي ذهبت اليه السرية وهو فى فواحي نجد ، وكان ذلك فى شهر شعبان من السنة الثامنة للهجرة (١) .

* * *

● غزوة الفتح او فتح مكة :

نقضت قريش العهد المبرم فى صلح الحديبية ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ما قامت به قريش لا مقابل له الا فتح مكة ، وقرر رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة وأمر أهل بيته أن يجهزوه ، ثم دعا رسول الله أبا بكر وعمر وتشاور معهما فى الأمر ، وأمر عليه السلام بدعوة كافة الناس الى التجهز وبعث الى من حوله من العرب وطلب منهم الانضمام الى جيش المسلمين ، واستجاب الناس جميعا لدعوته عليه السلام ، وبدأوا يتدفقون على المدينة ، وكانت خطة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدخل مكة دون قتال ، وهذا يعنى أن يفاجأ قريش بالجيش الاسلامى دون أنه تكون قد استعدت لملاقاته .

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لعشر ليال من رمضان وخرج معه المهاجرون والأنصار لم يتخلف عنه أحد منهم ، وبعض القبائل ، وأمر رسول الله رجاله أن يوقدوا جميعا النار حيث نزلوا فأوقدوا عشرة آلاف فار ، فظهر ضوءها فى ظلام الصحراء ساطعا ينير فضاءها الواسع ، حتى أصبح ليلا نهارا . ووصل وفد قريش الى حيث شاهدوا النيران التى أوقدها المسلمون ، ورأى أبو سفيان جنود المسلمين فأسلم أبو سفيان وهرع الى مكة يجلل لها الأمان ويدعوهم الى الاستسلام وعدم المقاومة . ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وفتح مكة ولم تجد القوات أى مقاومة ، وفتح رسول الله البلد الأمين

(١) المغازى - الواقدي ج ٢ ص ٧٧٧

وهو يقرأ سورة الفتح حتى انتهى الى الكعبة الشريفة وعفا عن معشر قريش وقال : « اذهبوا فأنتم الطلقاء » (١) .

* * *

● سرية خالد بن الوليد الى بنى جذيمة :

وعندما رجع خالد بن الوليد من هدم العزى بعثه النبي صلى الله عليه وسلم الى بنى جذيمة الذين ينحدرون من عبد مناة بن كنانة ، على رأس سرية عددها ثلاثمائة وخمسون رجلا من المهاجرين والأنصار ، فدعاهم خالد الى الاسلام فقالوا له : اتنا مسلمون ، فسألهم أسئلة تسم عن شكه باسلامهم ثم احتدم خلاف بينه وبينهم أدى الى قتل عدد من بنى جذيمة ، وكان ذلك فى شهر شوال من السنة الثامنة للهجرة (٢) .

* * *

● غزوة حنين :

وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم « غزوة حنين » التى جاءت مباشرة بعد فتح مكة وذلك فى شهر شوال من السنة الثامنة للهجرة ، وفيها تعرض المسلمون لهجوم مفاجئ من جانب ثقيف ، واختلط الحابل بالنابل وساء موقف المسلمين وانهزم الناس وفروا ، لم يفر رسول الله فهو رأس الجيش وقائده ، ودعا الناس الى العودة وبدأ القتال الفعلى واقتصر المسلمون بعد هزيمة .. الإبن النصر من عند الله (٣) .

* * *

(١) العبقريّة العسكرية فى غزوات الرسول - محمد فرج ص ٥٤٧ (بتصرف) .

(٢) الغزوات الكبرى ومعارك الفتح فى العراق والشام ومصر - عبد الكريم غزال .

(٣) العبقريّة العسكرية فى غزوات الرسول - محمد فرج ص ٥٨١ وما بعدها .

● غزوة الطائف :

وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة أو حصار الطائف الذى استمر ثمانية عشر يوما ، وكان ذلك فى شوال من السنة الثامنة للهجرة^(١) .

* * *

● سرية الضحاك بن سفيان :

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية الى بنى كلاب بقيادة أميرها الضحاك بن سفيان الكلابى يدعوهم الى الاسلام ، وكان ذلك فى شهر ربيع الأول من السنة التاسعة للهجرة ، فأبوا فقاتلوهم فهزموهم^(٢) .

* * *

● سرية قطبة بن عامر :

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قطبة بن عامر على رأس سرية عددها عشرين رجلا الى حى خثعم بناحية « تبالة » وهذا مكان يقع على مقربة من الطائف ، فشنوا الغارة على سرح لخثعم فأصابوا ابلا وأغناما وعادوا الى المدينة ، وكان ذلك فى شهر ربيع الثانى من السنة التاسعة للهجرة^(٣) .

* * *

● سرية علقمة بن مجزر المدلجى :

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علقمة بن مجزر المدلجى أميرا على رأس سرية عددها ثلاثمائة رجل للنظر فى أمر جمع كبير من

(١) الغزوات الكبرى ومعارك الفتح فى العراق والشام ومصر - عبد الكريم غزال .

(٢) المفازى - الواقدى ج ٣ ص ٩٨٢

(٣) المرجع السابق - ج ٣ ص ٩٨١

بحارة الحبشة اقتربوا بمراكبهم من أحد السواحل الغربية من جدة ،
فلما شاهد أصحاب المراكب سرية المسلمين هربوا فى البحر فعادت
السرية ولم تلق كيدا ، وكان ذلك فى ربيع الآخر من سنة
تسع هجرية (١) .

* * *

● سرية على بن أبى طالب كرم الله وجهه الى الفلس :

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا كرم الله وجهه فى
خمسين ومائة رجل على مائة بعير وخمسين فرسا وجميعهم من
الأنصار . فسارت هذه السرية حتى نزلت محلة آل حاتم من أرض
طى فشنوا الغارة مع الفجر على سرح كان فى ذلك المكان فأصابوا
كثيرا من الغنائم ثم هدموا صنما اسمه « الفلس » وكان صنما لطفى ،
ثم عادوا الى المدينة ، وكان ذلك فى ربيع الآخر من سنة تسع هجرية (٢) .

* * *

● غزوة تبوك :

وقعت غزوة تبوك فى شهر رجب من العام التاسع للهجرة ، عندما
علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه الروم تجمعت بالشام مع
هرقل واجتمعت معهم بعض القبائل ، ندب الناس الى الخروج وحشهم
على النفقة فى سبيل الله فجاءوا بصدقات كثيرة ، وكان أول الداخلين
على رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق ثم جاء
عمر بن الخطاب ثم جاء عثمان بن عفان ونادى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فى القبائل داعيا الى الجهاد فتوافد عليه المؤمنون من
أطراف الجزيرة ، تجمع من المسلمين ثلاثون ألفا ، وكانت خيلهم عشرة
آلاف بقيادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولما وصلوا الى

(١) المغازى - الواقدي ج ٣ ص ٩٨٣

(٢) المرجع السابق ج ٣ ص ٩٨٤

تبوك لم يجدوا ما أخبروا به من تجمع الروم ونصارى العرب وعادوا
دون أن يلقوا كيدا^(١) .

* * *

● سرية خالد بن الوليد الى اكيدر بن عبد الملك بدومة الجندل :

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد على رأس
أربعمائة وعشرين فارسا الأسر أكيدر بن عبد الملك بدومة الجندل
أثناء غزوة تبوك^(٢) .

* * *

● سرية خالد بن الوليد الى نجران :

ثم كانت سرية بقيادة خالد بن الوليد بعثها صلى الله عليه وسلم
الى بنى « عبد المدان » فى نجران ليدعوهم الى الاسلام فقبلوا من
خالد ما دعاهم اليه ودخلوا فى الاسلام ، وكان ذلك فى شهر ربيع
الأول من السنة العاشرة للهجرة^(٣) .

* * *

● سرية على بن أبى طالب الى اليمن :

وبعث النبى صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب الى اليمن فى
شهر رمضان من السنة العاشرة للهجرة على رأس سرية عديدها
ثلاثمائة فارس من أجل دعوة القبائل فى اليمن الى الاسلام ، فلما بلغ
على رضى الله عنه أدنى الناحية التى كان يقصدها وهى أرض « مذحج »

(١) غزوة تبوك - محمد على القطب ، بتصرف .

(٢) المفازى - الواقدي ج ٣ ص ١٠٢٥

(٣) الفزوات الكبرى ومعارك الفتح فى العراق والشام ومصر -

عبد الكريم غزال (بتصرف) .

قام يدعو الناس الى الاسلام فأسلم بعض القبائل بدعوته ورفض الدعوة بعضهم الآخر ، فقاتلهم وانتصر عليهم وأصاب كثيرا من الغنائم .

هذه هي غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وعددها سبع وعشرون غزوة ماعدا «أمر الحديد» و «عمرة القضاء» أما السرايا فعددها سبع وأربعون سرية ماعدا سريتي خالد بن الوليد الى بنى جذيمة ، لأنها كانت ضمن غزوة الفتح ، وسريته الى أكيدر في دومة الجندل لأنها كانت ضمن غزوة تبوك ، أما بعض المؤرخين فلهم رأى آخر بما يخص هذا التصنيف ، اذ أن الاختلاف هو فى بعض التفاصيل فقط ، أما الخط العام لهذه الغزوات والسرايا فهو متفق عليه من قبل جميع المؤرخين الأوائل (١) .

* * *

(١) الغزوات الكبرى ومعارك الفتح فى العراق والشام ومصر -
عبد الكريم غزال ص ٩٨ - ١٢١

مراجع الفصل الثالث

- ١ - القرآن الكريم •
- ٢ - الجهاد فى القرآن - عطية دسوقي عمر •
- ٣ - معجم مقاييس اللغة - لابن فارس •
- ٤ - حقيقة الجهاد فى سبيل الله وغايته فى الاسلام - عبد الله بن أحمد قادورى •
- ٥ - بلغة السالك الأقرب المسالك الى مذهب الامام مالك - أحمد ابن محمد الصاوى المالكى •
- ٦ - منهاج الطالبين - النووى •
- ٧ - المغنى - لابن قدامة •
- ٨ - المحلى - ابن حزم الظاهرى •
- ٩ - الجهاد فى الاسلام بين الطلب والدفاع - صالح اللحيدان •
- ١٠ - مجمع الزوائد •
- ١١ - صحيح البخارى •
- ١٢ - صحيح مسلم •
- ١٣ - مسند الامام أحمد بن حنبل •
- ١٤ - سنن أبى داود •
- ١٥ - سنن ابن ماجه •
- ١٦ - سنن الدارمى •
- ١٧ - زاد المعاد فى هدى خير العباد - ابن قيم الجوزية •
- ١٨ - الجهاد فى الاسلام - محمد محمود الزامينى •
- ١٩ - الطبقات الكبرى - لابن سعد •
- ٢٠ - الدعوة الاسلامية والاعلام الدينى - عبد الله شحاتة •
- ٢١ - فتح البارى شرح صحيح البخارى •

٢٢ - المختصر فى سياسة الحروب - الهرثمى (مخطوطة فى
الجامعة العربية) •

٢٣ - الجهاد والنظم العسكرية فى التفكير الاسلامى - أحمد
شلبى •

٢٤ - الغزوات الكبرى ومعارك الفتح فى العراق والشام ومصر -
عبد الكريم غزال •

٢٥ - المغازى - الواقدى •

٢٦ - العبقريّة العسكرية فى غزوات الرسول - محمد فرج •

* * *

مُتَوَاتِرُ الْكِتَابِ

الصفحة

المقدمة لفضيلة الشيخ مناع القطان	٣
الحديث	٥

الفصل الأول : الصلاة لوقتها

(٧ - ٨٦)

الصفحة	الصفحة
الأذان	٤٨
الإقامة	٥٠
الصلوات المفروضة	٥٠
كيفية صلاة النبي ﷺ	٥٢
صلاة الجماعة	٥٦
صلاة الجمعة	٥٩
صلاة المسافر	٦١
صلاة المريض	٦٣
صلاة الجنائز	٦٤
الصلاة على الغائب	٦٥
صلاة العيدين	٦٦
صلاة الاستسقاء	٦٨
صلاة الاستخارة	٧٠
صلاة الحاجة	٧١
صلاة التراويح	٧١
صلاة الكسوف والخسوف	٧٣
تمهيد	٧
تقديم	٩
تعريف الصلاة	١٠
منزلة الصلاة في الاسلام	١١
آثار الصلاة وفوائدها	١٢
من أسرار الصلاة	١٣
سر تكرار الصلاة في اليوم	١٤
الصلوات رحلات الهية	١٧
شروط الصلاة	١٧
الفصل	١٩
التيمم	٢١
المسح على الخفين	٢٣
أركان الصلاة	٣٠
واجبات الصلاة	٣٦
سنن الصلاة	٣٩
مكروهات الصلاة	٤٤

الصفحة

٧٩	سجود السهو
٨٠	سجود التلاوة
٨٢	سجدة الشكر
٨٣	قضاء الصلاة الفائتة
٨٥	مراجع الفصل الأول

الصفحة

٧٤	صلاة التسبيح
٧٥	صلاة التوبة من الذنب
٧٦	صلاة الضحى
٧٦	تحية المسجد
٧٧	صلاة ركعتي الوضوء
٧٧	صلاة الخوف

الفصل الثانى : بر الوالدين
(٨٧ - ١٥٦)

١١٢	آداب البر بالاب	٨٧	مقدمة فى بر الوالدين
			بر الوالدين مقدم على	٨٨	بر الوالدين
١١٤	الجهاد فى سبيل الله	٨٨	الاحسان للوالدين فى القرآن
١١٧	بر الوالدين بعد موتهما		بر الوالدين والاحسان
١٢٢	صلة الرحم	٩٥	اليهما فى السنة
١٣٠	عقوق الوالدين	١٠١	فى ثمره بر الوالدين
١٣٩	الأدب مع الوالدين		(ا) قصة أصحاب الفار
١٤٢	حسن تربية الولد	١٠١	الثلاثة
١٤٥	العدل بين الأولاد	١٠٢	(ب) قصة أويس القرنى
١٥٠	الأسرة والحقوق الاجتماعية	١٠٥	البر بالام
١٥٦	مراجع الفصل الثانى	١٠٨	البر بالاب

الفصل الثالث : الجهاد فى سبيل الله
(١٥٧ - ٢٤٨)

١٦٣	حكم الجهاد	١٥٧	تمهيد
			سيد المجاهدين رسول الله ﷺ	١٦٠	تعريف الجهاد (لفة)
١٦٧	١٦١	تعريفه عند الفقهاء
١٦٨	جهاد النفس	١٦١	اهداف الجهاد

الصفحة	الصفحة
أول هجرة المسلمين الى	جهاد الشيطان ١٦٨
المدينة ١٧٨	مراتب الجهاد ١٧٠
خروج النبي ﷺ مهاجرا	اكمل الخلق في الجهاد .. ١٧٢
الى المدينة ١٧٨	الدعوة الاولى الى الاسلام ١٧٣
قدومه المدينة ١٧٩	المعذبون في الله في صدر
بناء المسجد النبوي الشريف ١٧٩	الاسلام ١٧٣
شدة عداوة العرب للمؤمنين ١٨٠	الهجرة الى الحبشة .. ١٧٤
الرباط ١٨١	ما لقي ﷺ في اول الدعوة
الشهداء ١٨٢	من صنوف العذاب .. ١٧٥
اعداد الامة للجهاد .. ١٨٥	عرض الرسول نفسه على
الاحاديث الواردة في فضل	القبائل ١٧٥
الجهاد ١٨٧	العقبة الاولى ١٧٦
اخلاق المجاهد ٢٠٢	بيعة العقبة الثانية .. ١٧٦
غزوات رسول الله ﷺ .. ٢٠٧	بعثة مصعب بن عمير وعمر
مراجع الفصل الثالث .. ٢٤٦	ابن أم مكتوم ١٧٧
٢٤٩ ٢٤٩	محتويات الكتاب

* * *

رقم الايداع بدار الكتب : ١٩٩٠/٧٩٠٩

دار الفنون والعلوم
٩٢٥٢٠٤
الزمر ٣٢٠٤٠٤ - جوارى مع الدعاء

